الجمال الصّوتي

تأريخه ورؤيته الفقهيّة

مراجعة في النّص الدّينيّ حول الغناء والمعازف

الجمال الصوتي تأريخه ورؤيته الفقهية.. مراجعة في النص الديني حول الغناء والمعازف

بدر العبري (باحث عُماني)

الطبعة العربية الأولى 2020.

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2020.

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan.publish@gmail.com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عمان، مسقط

omani-writers@hotmail.com

هاتف: 96824346753+/ 96824346754+

المدير العام: جعفر العقيلي

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2019/1228)

ISBN: 978-99969-3-368-4

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2019/12/6612)

بدر العبريّ

الجمال الصّوتي

تأريخه ورؤيته الفقهيّة

مراجعة في النّص الدّينيّ حول الغناء والمعازف

دراسة

تقدمة

بدر بن سالم بن حمدان العبريّ

كنتُ قد كتبت مذكّرة كبحث تخرّج من معهد (كلّيّة) العلوم الشّرعيّة بسلطنة عُمان، بكالوريوس، وذلك عام 1423هـ/ 2003م، تحت عنوان الغناء والمعازف بين الحلّ والتّحريم: دراسة تأريخيّة فقهيّة روائيّة، وفي الحقيقة كتبت المذكّرة وأنا في المرحلة الثّانويّة طوّرتها أثناء دراسة المعهد، إذ حينها كنّا نستمع للأناشيد الدّينيّة المصحوبة بدفّ، كأناشيد أبي راتب وأخيه مصطفى، وبدأتْ بعدها بعض الأصوات النّسائيّة تظهر في الإنشاد كميس شلش، وكنّا نرى بعض الرّموز الدّينيّة في بهلا يحضرون هذه الحفلات ولا ينكرونها، ثمّ بدأ صوت آخر يظهر بقوّة أنّ هذا حرام، ولا يجوز إلا للنّساء فقط، ومن يسمع هذه الأناشيد يُتبرّأ منه، فبدأت يومها أبحث في الموضوع حتى تبيّن لي سعة الخلاف ليس في الدّف وإنّما في الآلات جميعًا، حتى أدركت أنّ هؤلاء يبثّون الآحاديّة في الأقوال، بدعوى الكتاب والسّنّة، ويجعلون من قضايا الرّأي قضايا دين، ويرتّبون عليها الولاء والبراء، من هنا كان هدف البحث.

لهذا وبعد ما يقارب خمس عشرة سنة ارتأيت تطويره بصورة أكبر لأنّ الظّرفيّة اختلفت، والعقول أكثر انفتاحًا وتطوّراً، مع أنّه عرضت لي أحد المكتبات طباعة البحث فرفضْت، كذا ألحّ العديد لذلك، لسبب أنّي كتبته وأنا في

مقتبل العمر، ويحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر، ولهذا أعدْت صياغته ومراجعته فزدت فيه بمعدّل الضّعفين، كما إنّني حذفت العديد الّذي أراه غير مهمّ، وتجاوَزه الزّمن، وقد نشرتُ المبحث التّأريخيّ والرّؤى المجيزة بعد تطويره في ثلاثين مقالة في صحيفة شؤون عُمانيّة الإلكترونيّة، وها أنا أقدّمه للقرّاء الكرام، كرأي أراه وليس كدين أجزم به، فإنْ رأَوه حسناً فبه، وإلا فدائرة الرّأي الواسعة تسَع الجميع، والحمد لله ربّ العالمين.

ولاية السّيب/ الموالح الجنوبيّة
صباح الخميس 23 شوال 1440هـ/ 27 يونيو 2019م

مدخل مصطلحات وإشكاليّة الكتاب

الكتاب يحوي شقّين في المصطلح، شقّ الفنّ وما يتعلّق به من جانبين: جانب معنويّ يتعلّق بالغناء، واللّحن، واللّهو، وجانب مادّي يتعلّق بالمغنّى به نثراً أو شعراً وآلة، وأمّا الشّقّ الثّاني فيتعلّق بالجمال.

الشّقّ الأول

الفنّ

الفنّ الضّرب من الشّيء، والجمع أفنان وفنون[1]، ومقصد الفنّ في اللّغة العربيّة النّوع، والرّجل المفنّ يلجأ إلى طرائق مُبتكَرة للإتيان بالعجائب البصريّة والجماليّة[2].

ويُعتبَر مصطلح الفنّ بمفهومه الحاضر محدثاً من حيث حدّ المصطلح، لا من حيث النّوع، فهو موجود في القِدم كالمتقن والصّانع والخبير ونحوه، كما «يعدّ مفهوم الفنّ من المفاهيم الّتي شهدت العشرات بل المئات من التّعاريف، ولا يزال الفنّ مُفتقِراً حتى هذه اللّحظة إلى التّعريف الكامل، وعليه تعريف الفنّ يشبه تعريف الدّين والثّقافة وما إليهما»[3]، «فالفنّ ما يقوم به الإنسان من الجَمال»[4]، والفنّ يشمل جوانب عديدة من تصوير ورسم ونحت وشعر وغناء وموسيقى ونحوه، وأهمّ المصطلحات المهمّة المتعلّقة ببحثنا نشير إليها باختصار، والعلاقة المترتّبة بينها وفق هذين الجانبين:

---

(1) ابن منظور الأنصاريّ: محمّد بن مكرم؛ **لسان العرب**، ط دار صادر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1993م، ج13، ص32.

(2) معتوق: فريدرك؛ **سوسيولوجيا الفنّ الإسلاميّ**، ط منتدى المعارف، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 2017م، ص45.

(3) نجاد: حسين هاشم؛ **مدخل إلى فلسفة الفنّ من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين**، ترجمة عن الفارسيّة: وسيم حيدر، بحث منشور غي مجلّة نصوص معاصرة، عدد41، 1437هـ/ 2016م، ص224. (بتصرف بسيط).

(4) المرجع نفسه، ص226.

أولاً: الجانب المعنويّ للفنّ، ويدخل فيه -فيما يتعلّق ببحثنا-:

أولاً: الغناء، وهو مصدر غنّى، والجمع أغانٍ، والغناء بالفتح والمدّ النّفع، وبالكسر والمدّ السّماع، وبالقصر والمدّ اليسار[1]، وغنّى طرب وترنّم بالكلام الموزون وغيره، ويُقال غنّى الحمام صوّت، وفلان بفلان مدحه أو هجاه، وبالمرأة تغزّل بها[2]، وغنّى تغنية صوّت، والشّعر بالشّعر ترنّم به بالغناء[3]، والأغنية ما يترنّم ويتغنّى به[4].

ويطلق الغناء اصطلاحاً على «التّطريب والتّرنّم بشِعر أو نثر، ويكون برَفْع صوت وموالاته، مصحوباً بالموسيقى أو لاً»[5]، «والغناء المفروض فيه الكلام هو رفْع الصّوت مع ترداده بلَحن أو بغير لحن، واختُلف متى يكون حقيقة؟ قال بعضهم الغناء في ذاته حقيقة، وقيل حقيقة حال رفع الصّوت وموالاته خاصّة، ثمّ اقترن به عرْف الاستعمال، فصار المفهوم من الغناء التّلحين والتّطريب»[6].

---

(1) الرّازي: محمّد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م، ص433.

(2) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، ط دار الدّعوة، تركيا، ص664.

(3) **المنجد في اللّغة والأعلام**، ط دار المعرفة، لبنان/ بيروت، ص566.

(4) المرجع نفسه، ص561.

(5) الحمدان: عبد العزيز؛ **أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسّنة وأقوال العلماء**، ط دار المجتمع للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة/ جدّة، الطّبعة الثّانية، 1413هـ/ 1993م، 18، (بتصرف بسيط).

(6) زيدان: عبد الكريم، **المفصل في أحكام المرأة**، ط مؤسسة الرّسالة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م، ص56. (بتصرّف).

ونـدرك بهـذا أنّ الغنـاء مفهومـه واسـع تـأثّراً بالظّرفيّـة المصـطلحيّة -كمـا سنرى- إذ أصبح لصيق الصّلة بآلة، وخرج ما دون ذلك تحت اسم الأناشيد ونحوها مثلاً.

أمّـا صـناعة الغنـاء فيعرّفـه ابـن خلـدون[1] (ت 808هـ) «تلحـين الأشـعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقّع على كلّ صوت منها توقيعـاً عند كلّ قطعة، فيكون نغمة، ثمّ تؤلّف تلك النّغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة، فيلذّ سماعها لأجل ذلك التّناسب، وما يحدث عنه من الكيفيّة في تلك الأصوات»[2].

ومـن الغنـاء اشـتقّ بعـض المعاصـرين الغنائيّـة بـديلاً عـن الأوبّـرا، كالمرنـاه بديلاً عن التّلفزيون، والهاتف بديلاً عن التّلفون، والمبرّد بديلاً عن الفريزر، إلا أنّ الأوبّرا غلب عليها، لِقدمها وعودتها إلى اليونان كما هو الأشهر، وقيل: إلى قدماء المصريّين، وأصل «الغنائيّة مسرحيّة شعريّة حواريّة، تنشر ممثّلة وموقّعة على أنغام الموسيقى»[3]، ويطلق على هذا أيضـاً المغناة[4].

(1) من كبار علماء المالكيّة في نهاية القرن الثّامن الهجريّ، مؤسس علم الاجتماع، اشتهر بمقدّمته وتاريخه المسند إليه، توفي سنة 808هـ.

(2) ابن خلدون: عبد الرّحمن؛ **تاريخ ابن خلدون**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1413هـ/ 1993م، ج1، ص453.

(3) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص56.

(4) **المنجد في اللّغة والأعلام**، مرجع سابق، ص561.

ثانيًا: اللّحن، واللّحن الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، ويقال: فلان لحّان ولحّانة أيضًا أي يُخطىء، والتّلحين التّخطئة[1]، ولحَن في قراءته طرب فيها، والأغنية وضع لها صوتًا موسيقيًّا تُغنّى به، وفي الموسيقى الصّوت الموسيقيّ الموضوع للأغنية، ويقال: فلان لا يعرف لحن الشّعر أي لا يعرف كيف يغنّيه، وجمْعه ألحان ولحون[2].

واللّحن اصطلاحًا ما رُكّب من نغمات، ورُتّب ترتيبًا عجيبًا، موزونًا ببيت من الشّعر، أو ما يوافقه من الكلام المسجوع أو القراءات، باصطلاح العاقل العارف[3].

والعلاقة بين الغناء واللّحن أنّ اللّحن ركْن من أركان الغناء، وبينهما تَلازم لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فلا غناء بدون تلحين، والتّلحين هو الغناء، وكما في الغناء تدرّج من الفطريّ إلى الصّناعيّ والمهنيّ؛ فكذلك التّلحين.

ثالثًا: اللّهو، وهو مصدر لَهَا، ولهوْتَ اللّهو ما لعبْتَ به وشغَلَكَ من هوى وطرب ونحوه[4]، يقال: فلان لهو عن الخبر أيْ كثير اللّها عنه[5]، والملْهى

(1) الرّازي: محمّد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، مصدر سابق، ص48.

(2) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص820.

(3) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، تحقيق: عبد الملك دياب وغطاس عبد الملك خشبة، ط الهيئة المصريّة للكتاب، الطّبعة الأولى 1411هـ/ 1991م، ص108.

(4) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص843.

(5) المرجع نفسه، ص843.

جمع ملاهٍ، ويُقال: هذا ملهى القوم أيْ موضع إقامتهم[1]، والملاهي آلات اللّهو كالمزْهر والعود[2]، والملْهاة مسرحيّة منثورة أو منظومة تصنّف معايب النّاس ورذائلهم في صور مضحكة[3].

واللّهو عادة يطلق في السّلبيّ، وإن كان لغة تعمّ، والأصل العموم إلا بقَيد، ولهذا كثُر اللّهو سلباً في القرآن الكريم، كنحو قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[4]، فهنا اللّهو سلبيّ لقرينة الإضلال، بيد أنّ الحال يختلف في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[5]، فهنا بيان لطبيعة هذه الحياة ومتعلّقاتها الغريزيّة والشّهوانيّة.

وعليه اللّهو أعمّ من الغناء، والغناء شكل من أشكال اللّهو، كاللّعب والتّرويح عن النّفس وجلسات السّمر ونحوها، والأصل فيه الطّبيعة الحيوانيّة المباحة، ولا يحكم عليه بالسّلبيّة أصلاً إلا لما صاحَبه من عوارض سلبيّة.

الجانب الثّاني: المغنّى به، ويدخل فيه:

(1) المرجع نفسه، ص843.
(2) المرجع نفسه، ص843.
(3) المرجع نفسه، ص843.
(4) لقمان/ 6، وسيأتي بيان ذلك أكثر في مبحث الأدلّة.
(5) الحديد/ 20.

أولاً: الشّعر، والشّعر مصدر شعر فلان شعراً محتسب ملكة الشّعر فأجاده، والشّاعر قائل الشّعر، جمْعه شعراء[1]، والشّعر كلام موزون مقفّى قصداً[2]، وعند المناطقة: قول مؤلّف من أمور تخيّليّة يقصد به التّرغيب أو التّنفير[3]، والشّعر المنثور: كلام بليغ مسجوع، يجري على منهج الشّعر في التّخييل والتّأثير دون الوزن[4]، وهو ما يسمّى بشّعر النّثر.

والعلاقة بين الغناء والشّعر؛ أنّ الغناء أعمّ من الشّعر، فالغناء هو التّطريب والتّرنّم، ولا يشترط أن يكون شعراً، وإن كان التّغنّي بالشّعر أعظم للنّفس، وأقبل للسّماع؛ لقوّة إيقاع الشّعر، وتضمّنه للموسيقى الدّاخليّة فيه.

ثانيـاً: الآلات الموسيقيّة، والآلات جمع آلَ، وآلة أداة الطّرب، وعمود الخيمة، والآلة الحدباء سرير الميت، جمع آل وآلات[5]، والآلاتيّ العازف على آلة موسيقيّة، وهو غير المغنّي ومؤلّف الألحان الموسيقيّة[6].

والآلات الموسيقيّة تنقسم إلى: أولاً: آلات ذات أوتار، وتسمّى الآلات الوتريّة؛ ثانيـاً: آلات ينفخ فيها، وتسمّى آلات النّفخ؛ ثالثـاً: آلات ينقر عليها،

(1) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص484.
(2) المرجع نفسه، ص484.
(3) المرجع نفسه، ص484.
(4) المرجع نفسه، ص484.
(5) المرجع نفسه، ص33.
(6) المرجع نفسه، ص33.

وتسمّى الآلات الإيقاعيّة، أو آلات النّقر[1]، وتعتبر أوتار حنجرة الإنسان الآلة الطبيعيّة الأولى وجوداً، فهي الآلة الموسيقيّة العجيبة في تركيبها، الدّالّة على عظمة الخالق سبحانه[2].

والغناء أعمّ من الآلة ولَصيق بها، فالصّوت الّذي تُخرجه الآلة الطّبيعيّة كحنجرة الإنسان يُعتبر غناء ولو لم تصاحبه آلة مصنوعة.

ثالثاً: المعازف، مصدر عزف، عزفَت نفسه عن الشّيء زهدَت فيه، وانصرفت عنه[3]، يقال: هو عَزوف عن اللّهو أي لا يشتهيه[4]، ومفردها معزفة[5]، ويقال: فلان عزف وعزّيفاً أي لعب بالمعزف وغنّى، ويقال: عزف العود والشّيء صوّت، ويقال: عزفَت الرّيح، وعزفت القوس، فهو عازف وعزّاف[6]، والرّمال تعازفوا أي تناشدوا الأراجيز[7]، والعزف صوت الدّف[8]،

(1) عيد: يوسف وعكاري: أنطوان؛ **الموسوعة الموسيقيّة الشّاملة**، ط دار الفكر اللّبنانيّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1994م، القسم التّطبيقيّ العمليّ (2)، ص9.

(2) المصدر نفسه، القسم التّطبيقيّ العمليّ (2)، ص4.

(3) الرّازي: محمّد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، مصدر سابق، ص388.

(4) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص598.

(5) الرّازي: محمّد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، مصدر سابق، ص388.

(6) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص598.

(7) **المنجد في اللّغة والأعلام**، مرجع سابق، ص503.

(8) المرجع نفسه، ص503.

والعازف اللّاعب بالمعازف والمغنّي[1]، والعزّاف مبالغة العازف[2]، والمعزف آلة الطّرب كالعود والطّنبور[3]، والمعزوفة قطعة موسيقيّة تعزف[4]، وهي حديثة لا يصحبها غناء[5]، فنخلص من هذا أنّ المعازف مرادفة لآلة اللّهو، فلا تخصّص إلا بقرينة.

وعلاقة المعازف بالغناء أنّ المعازف آلة مساعدة للغناء وتحسينه وجودته والإبداع فيه، وليس بالشّريطة أن يكون الكلام الخارج من العازف غناء؛ لأنّ الغناء –كما أسلفنا– هو التّطريب والتّرنّم بكلام موزون شعراً أم نثراً، صاحَبَتْه آلة أمْ لم تصاحبْه، وعلاقته باللّحن أنّ اللّحن ركن من أركان العزف، فالمعازف لا تصدر صوتاً أنيقاً إلا إذا سايرت لحناً موزوناً، ذا إيقاع جميل، وعلاقته باللّهو أنّ اللّهو أعمّ من العزف، والمعازف نوع من أنواعه، وعلاقته بالشّعر «أنّ المعازف والشّعر يرجعان إلى جنس واحد، وهو التّأليف والوزن والمناسبة بين الحركة والسّكون، والفرق بينهما أنّ الشّعر يختصّ بترتيب الكلام في معانيها على نظم موزونة، مع مراعاة قواعد النّحو، وأمّا المعازف

(1) الرّازي: محمّد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، مصدر سابق، ص388.

(2) **المنجد في اللّغة والأعلام**، مرجع سابق، ص503.

(3) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص599.

(4) المرجع نفسه، ص599.

(5) **المنجد في اللّغة والأعلام**، مرجع سابق، ص503.

تختصّ بمراجعة أجزاء الكلام الموزون وإرساله صوتاً على نسب متآلفة بالكميّة والكيفيّة في طرائق تتحكّم على أسلوبها»[1].

رابعاً: الموسيقى، وهي لفظ يونانيّ معرّب، يطلق على فنون العزف، لا على آلات الطّرب[2]، «والموسيقى صناعة في تأليف النّغم والأصوات ومناسبتها وإيقاعها، وما يدخل منها في الجنس الموزون والمؤتلف، والكميّة والكيفيّة»[3]، وعلم الموسيقى «علم يبحث عن أصول النّغم من حيث تآلفها وتنافرها، وأحوال الأزمنة المتخلّلة، ليعلم كيف يؤلف اللّحن»[4]، والموسيقولوجيا «مصطلح حديث يطلق على مجموعة المعازف، والنّسق الفلسفيّة والعلميّة والفلكلوريّة المتعلقة بالصّوت وفنّ النّغم»[5]، والموسيقى

(1) الفارابيّ: أبو نصر محمّد بن محمّد؛ **الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، ط دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر، مصر/ القاهرة، (النّص المقتبس في المقال بتصرّف لمحقق الكتاب في المقدّمة)، ص17.

(2) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص7. (للمحقق من الهامش).

(3) الفارابيّ: أبو نصر محمّد بن محمّد؛ **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، (النّص المقتبس في المقال بتصرّف لمحقق الكتاب في المقدّمة)، ص15.

(4) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص7. (للمحقق من الهامش).

(5) ألفرداتيشتين؛ **الموسيقى في العصر الرّومانتيكيّ**، ترجمة أحمد حمد محمود، مراجعة: حسين فوزيّ، ط الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط 1392هـ/ 1973م، ص7، (من مقدّمة حسين فوزيّ للكتاب).

النّظريّة «علم أصول الموسيقى وقواعدها، ومن دعائم هذا العلم معرفة تركيب الألحان والأوزان وأحكام صياغتها»[1].

ويرى سليم الحلو (معاصر) أنّ كلمة موسيقى كانت تدلّ عند الرّوم القدامى على معنى أوسع ممّا اصطلح عليه المحدثون، بدليل أنّ المعبودات عندهم تسع كما في صورة الآلهة، أطلقوا على كلّ واحدة منهنّ كلمة موسا (moss)، بعدما اشتقّوها من كلمة موستيه (mossteh)، فأخذوها وزادوا عليها ألِفـًا فصارت موسا، ومعناها الملهمة، وأضافوا إليها «يقيّ» للدّلالة على النّسبة إلى الاسم الملحق بها كقولهم أرتمطيقيّ من أرتميط[2].

وعلاقة الموسيقى بالمعازف أنّ الموسيقى آلة من آلات المعازف، إلا أنّ الموسيقى تطلق أحيانـًا مرادفة للمعازف، خاصّة إذا أضيفت إلى العلم، ويرى عباس محمود العقاد[3] (ت 1964م) أنّ الموسيقى شيء عامّ لا ينحصر في الآلات المعهودة، حيث يقول: «يقولون إنّ الموسيقى هي اللّغة العامّة، وهذا قول حقّ، ولكنّه أجدر أن يكون وصفـًا لخاصّة من خواصّ الموسيقى هي الّتي جعلتها لغة النّاس أجمعين، يفهمونها على اختلاف اللّغات بسليقةٍ فيهم ليست

(1) الحلو: سليم؛ **الموسيقى الشّرقيّة**، ط منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان/ بيروت، ص13.
(2) المصدر نفسه، ص13.
(3) عبّاس بن محمود العقاد، إمام في الأدب، مصريّ، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع، من كتبه والّتي بلغت ثلاثة وثمانين كتابا: عن الله، وعبقرية خالد، وساعات بين الكتب، توفي سنة 1964م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، ط دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطّبعة السّابعة، 1986م، ج3، ص266.

بالقوميّة ولا الإقليميّة، ولكنّها سليقة الإنسان في كلّ موطن وزمان، وأحقّ من هذا أن نقول إنّ الموسيقى تعبير يترجم عن حالات نفسيّة لا يقصد بها أن تكون لغة عامّة أو خاصّة، ولكنّها لغة عامّة بغير قصد من الهاتِفين بها والسّامعين... والعلم بأنّ الموسيقى تعبير، وأنّ الأصوات لا تطرب بذاتها، ولكنّها تطرب بالشّعور الّذي تُوحيه، والخاطر الّذي تمثّله في الطّبائع والأذهان، يفسح للنّفس دائرة الطّرب، ويقيم لها الكون كلّه، وكأنّه فرقة غناء تفتأ تصدح لمن يسمعها وهي ناطقة وصامتة، وتدأب على الإيقاع وهي معبّرة، وغير محتاجة إلى التّعبير»[1].

(1) العقاد: عباس محمود؛ **المجموعة الكاملة، قسم الأدب والنّقد**، ط دار الكتاب اللّبنانيّ، لبنان/ بيروت، ج3، ص135 – 140.

الشّق الثّانيّ

الجمال

الجَمال مصطلح قديم نشأ مع الإنسان، ومرتبط بفنونه وإبداعه، إمّا بوصفه «علماً حديث النّشأة ويسمّى بـ(الاستيقطا) انبثق بعد تاريخ طويل من الفكر الفلسفيّ حول الفنّ والجمال، فهو علم حديث وقديم في وقت واحد، حديث من حيث إنّه لم يبدأ في التّشكّل كمجال مستقلّ من البحث الفلسفيّ، له مشكلاته ومفاهيمه الخاصّة إلا في العصر الحديث، وقديم لكوْنه لم ينشأ من فراغ»[1] أي ساير تطوّر الإنسان وتأريخه.

وبطبيعة الحال لسنا هنا في مجال تتبّع الخلاف في التّعريف حدّاً ومنتهى، ولا نشأته حيث نشير إلى ذلك في البحث في ما يتعلّق بالجمال الصّوتيّ أو الغنائيّ، كذا ليس مجال بحثنا الجانب الفلسفيّ البحْت والنّظريات الميتافيزيقيّة والماديّة والتّجريبيّة في ذلك.

ويرى فلاسفة المسلمين أنّ منشأ الجمال هو الجمال المطلق أي الله تعالى، فجميع أنوع الجمال في العالم انعكاس لجمال الحقّ سبحانه وتعالى[2]،

(1) توفيق: سعيد؛ **مدخل إلى موضوع علم الجمال: بحث عن معنى الاستطيقى**، ط دار النّصر للنّشر والتّوزيع، مصر، 2002م، ص17.

(2) نجاد: حسين هاشم؛ **مدخل إلى فلسفة الفنّ من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين**، مرجع سابق، ص229.

واللّذّة إدراك لهذا الجمال، فكلّما كان الجمال أشدّ، وكان إدراكه أقوى؛ كانت اللّذّة شديدة وعارمة بنفس المقدار[1].

فالعلاقة بين الجمال والفنّ علاقة تلازميّة، فقوة الجمال في الفنّ معناه قوّة التّأثير والإدراك، وهي طبيعة سننيّة في الكون، سواء أُرجِعَتْ إلى الجمال المطلق -أي الله- أو إلى محاكاة الطّبيعة، فهي جزء تكوينيّ، والجزء التّشريعيّ لا يتعارض مع الجانب التّكوينيّ، أيّا كان هذا الجمال الفنّيّ، كان صوتًا مسموعًا، أمْ ملموسًا، أم مرئيًّا، وهذه الدّراسة المتواضعة محصورة في الجانب الصّوتيّ، وتجيب عن التّساؤل التّالي: هل الشّريعة (الإسلاميّة) وقفت مع الجمال الصّوتيّ موقفا سلبيًّا؟ وما سبب ذلك؟

لهذا القارئ الكريم سينطلق من التّالي، من الأسئلة التّاليّة:

- ما التّطور التّأريخيّ للغناء والمعازف، وكيف كان في العصر النّبويّ وما بعده، وهل أثّر في الحكم الفقهيّ -أي الانفتاح على الحضارات والأمم الأخرى-؟
- هل يوجد إجماع سلبيّ؟ أمْ وجدت رؤى لها رؤية إيجابيّة خرجَت من صندوق السّلبيّة المطلقة؟
- كيف ينظر المعاصرون إلى فلسفة الجمال، وهل أثّر في تأصيلهم الفقهيّ سلبًا أم إيجابًا؟
- ما مجمل رأي المدارس الفقهيّة؟ وما عناصر التّقاطع والاختلاف بينها؟

(1) المرجع نفسه، ص240.

- هل يوجد دليل قرآني تطرّق إلى القضيّة إيجاباً أوسلباً، ولم يتطرّق إليه الاحتمال، وما مدى قوّة الأدلّة الرّوائية في هذا الباب؟ وهل يصحّ الاستناد إلى ما روي عن السّلف صحابة ومن بعدهم إيجاباً أو سلباً؟
- هل سدّ الذّرائع ساهم في حلّ القضيّة، أم أثّر سلباً فيها؟
- وأخيراً ما أهمّ الجوانب الأخرى المتعلّقة بالجمال الصّوتي وضوابطه؟ وهل الضّوابط على الإطلاق؟ أمْ ظرفيّة تدبيريّة في ذاتها أيضاً؟

الغناء وتطوّره في التّأريخ

• الغناء والمعازف في العصور القديمة

يصعب بطبيعة الحال توثيق العصور القديمة إلّا من خلال ما وصلَنا عن طريق النّقوش أو الكتابات الدّينيّة أو بعض الملاحم والكتابات الفلسفيّة، وكلّما تعمّقنا في القِدم كانت المرحلة أصعب في البيان والكشف.

إلا أنّه من المسلّم به أنّ الغناء والمعازف نشأت مع الإنسان وتطوّرت معه، فهي ليست وليدة الصّدفة، ولكن استطاع الإنسان أن يكتشف نفسه وما في الطّبيعة، ويسقط ذلك في آلات ومقامات تطوّرت مع تطوّر الحياة وفلسفتها.

ولمّا أتحدّث هنا عن العصور القديمة أقصد بذلك ما بعد اختراع الكتابة، أي قبل أكثر من 5500 عامًا، حتى قيام الحضارة العربيّة والإسلاميّة وما بعدها في العصور الوسطى، فهنا ندخل بهذا القيد الحضارة الرّومانيّة في العصور القديمة، وإنْ كانت بوّابة الحضارة العربيّة والإسلاميّة عمومًا.

واستثنينا ما يسمّى بفترة الجاهليّة؛ لأنّ لها مبحثًا مستقلًّا؛ لعلاقة هذه الفترة بالفكر الدّيني الإسلاميّ وإسقاطه على الفنّ تحليلاً وتحريمًا.

إنّ الصّراع الّذي كان بين الإنسان والطّبيعة أدّى إلى محاولة الإنسان أن يسلّي عن نفسه ببعض الملهيات الّتي تعطيه نشاطًا في مواصلة حياته من جديد، ولا توجد إشارات يمكن الاطمئنان إليها في بداية استخدام الإنسان

للمعازف، إلا أنّه من المؤكّد أنّ حنجرته الطّبيعيّة هي آلته الأولى، ثمّ ضربات يديه ووقع أقدامه، حتى تطوّر الأمر شيئاً فشيئاً[1].

وبالنّسبة للغناء بدون آلة هو الأقدم وجوداً، فلا يمكن أن نحدّد عهداً معيّناً يمكن أن يُقال إنّ الغناء ظهر فيه، ولكن من الثّابت أنّ العهد الّذي استنبطتْ فيه الآلات الموسيقيّة كان لاحقاً، فهذه اخترعها الإنسان منذ أمد بعيد في القِدم، ثمّ توسّع في صناعتها، وهذّبها لتكون أطوع في تناول النّغم، وأكثر مطابقة للأصوات الطّبيعيّة في الألحان، فتزيدها بهاء ونقاء، وتكسوها زينة[2].

وأشارت التّوراة إلى ظهور آلات الغناء قبل الحضارة المصريّة[3] القديمة، حيث ذكر فيها[4] أنّ أول من اتّخذ الغناء والإيقاع على المعازف بنو لامك من نسل قابين، وقيل إنّ يوبال بن لامك هو أوّل من اخترع العود[5].

---

(1) سليم: عبد السّتار؛ **دندنة على سنّ القلم**، مقال منشور في مجلّة السّراج العُمانيّة، عدد 5، ذو القعدة 1412هـ/ مايو 1992م، ص92.

(2) الفارابيّ: أبو نصر محمّد بن محمّد؛ **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، (النّص المقتبس في المقال بتصرّف لمحقق الكتاب في المقدّمة)، ص15 – 17.

(3) بعض المعاصرين يميل إلى تسميتها بالحضارة القبطيّة، ويرى تسمية مصر متأخرا عليها؛ بل بعضهم يرى أنّ أول من أطلق مصر عليها المسلمون بعد فتح عمرو بن العاص ت 43هـ، ويرون أنّ مصر المذكورة في القرآن لا علاقة لها بالحضارة المصريّة المعهودة.

(4) نذكر هذه الآراء من باب الخبر التّأريخيّ الّذي في ذاته قابل للصّدق والكذب، إلا أنّ أصل وروده في فترة مبكرة يجعل من الفكرة ذاتها أنّها حاضرة منذ فترة مبكرة في التّأريخ.

(5) من مقدّمة **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، ص15 – 17.

وبعضهم أسند أول ظهوره إلى النّبيّ داود –عليه الصّلاة والسّلام– وذلك بعد الطّوفان، حيث هذّب وضرب به، وقالوا إنّ العود الّذي كان يضرب به داود لم يزلْ ملقى بعد وفاته في البيت المقدس[1] إلى دخول بختنصر[2] وخراب بيت المقدس[3].

وحكا بعضهم إجماع أهل الصّناعة أنّ أول من أحدَث العود النّبيّ داود، إلا أنّ الصّفديّ[4] (ت 764هـ) ردّ هذا الإجماع، وبيّن أنّه لم يثبت[5].

وممّن مال إلى هذا الرّأي من المسلمين استأنسوا برواية النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أنّه قال لأبي موسى الأشعريّ[6] (ت 44هـ): إنّه أعطي مزماراً من مزامير آل داود[7].

---

(1) هذا اعتمادا على التّوراة السّبعينيّة، والّتي كتبت بعد السّبي البابليّ.

(2) ويسمى أيضا: نبوخذنصر أو بخترشاه، أقوى ملك كلدانيّ حكم بابل (605 – 562 ق م).

(3) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص15 – 16.

(4) خليل بن أبيك بن عبد الله الصّفديّ، صلاح الدّين، أديب مؤرخ، من صفد بفلسطين، وإليها نسب، من كتبه: الوافي بالوفيات في التّراجم، وألحان السّواجع، توفي سنة 764هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج2، ص315 – 316.

(5) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص15 – 16.

(6) عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى، من بني الأشعر، صحابيّ، أحد الحكمين بين عليّ ومعاوية بعد حرب صفين، ولد بزبيد في اليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى الحبشة، توفي سنة 44هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام، مصدر سابق، ج 4، ص114.**

(7) أخرجه مسلم بلفظ قريب من طريق أبي عبد الله بن بريدة، والثّاني من طريق أبي موسى الأشعريّ، كتاب الصّلاة، باب استحباب تحسين الصّوت بالقرآن. ينظر مثلا:

إلا أنّ جمهور علماء المسلمين فسّروه بأنّه كناية عن الصّوت الحسَن، وقيل لأنّه كان مباحاً في شريعتهم، وقيل فيه دلالة الجواز، وهذه الآراء سنناقشها لاحقاً.

ويرى فريق آخر أنّ بداية الغناء كان في الحضارة المصريّة[1]، حيث أشارت بعض الأساطير الخرافيّة المصريّة القديمة أنّ توت ربّ اليراعة واللّحن[2] والرّقص، يبدأ الخلق بالتّصفيق، وبضحكات سبع، يخرج من كلّ منهما إله، ثمّ يضحك ستّ مرّات، تصدر عن كلّ منهما مخلوقات وظواهر جديدة، وعندما تسمع الأرض الصّيحة تزوم[3] وتهزم، ثمّ تميد فيتفجر منها الماء، وهكذا[4].

النّيسابوريّ: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النّوويّ، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط 1401هـ/ 1981م، ج5، ص80.

والحديث صححه العديد من المتقدمين، جاء في سنن ابن ماجه: في الزّوائد: قلتُ أصلّه من الصّحيحين من حديث أبي موسى، وفي مسلم من حديث بريدة، وفي النّسائيّ من حديث عائشة، وإسناد أبي هريرة رجاله ثقات.القزوينيّ: أبو عبد الله محمد؛ سنن ابن ماجه، ط دار إحياء الكتب العربيّة، ج1، ص426.

(1) **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، ص15 – 16. (من مقدّمة المحقق).

(2) وجود تشابه في بعض التّفسيرات الكونيّة بين الأديان دليل على النّقل من جهة، وعلى المصدريّة الواحدة من جهة ثانية، إلا أنّ هذا النّقل يصيبه التّحريف، وهذه المصدريّة تختلط بالوثنيّة والفلسفات الشّعبيّة، ونقلنا لهذا الأثر لا لإثبات مصداقيّة النّص؛ ولكن لبيان محلّ الشّاهد وهو قدم ذكر الغناء والمعازف في التّراث الشّعبيّ المصريّ القديم، والموغل في التّأريخ.

(3) أي تغضب.

(4) فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان حتى القرن التّاسع عشر**، بحث للمؤلف مطبوع ضمن كتاب محيط الفنون، ط دار المعارف، مصر، ج2، ص9.

وقد ترك المصريون نقوشاً ولوحات يظهر فيها عازفون على مختلف الآلات تدلّ على المكانة الكبيرة للموسيقى عندهم، حيث اتّخذوها لأغراضهم الدّينيّة، فأدّوا بها طقوسهم وصلواتهم، كما كانت الطّبول تصحب المحاربين، وأمّا عامّة النّاس فقد كانت الموسيقى والرّقص الشّعبيّ في أعيادهم ومواسمهم، فمن الآلات الّتي اشتهرت عند قدماء المصريين آلة الهارب، وهي الآلة الّتي أصبحت تدعى بالقانون، والهارب المصريّ يماثله عند اليونان آلة القيثارة[1].

وأمّا الحضارة الإغريقيّة[2] فقد انتقل الغناء إليها انتقالاً كبيراً، فبعدما كان فنّاً تطبيقيّاً أصبح ذا قواعد نظريّة، جعلت من هذا المجال علماً له أصوله ومبادؤه وتفريعاته.

والقدماء من اليونانيين أول من وضع قواعد العلم والمعرفة بهذه الصّناعة، وكان علماؤهم يعدّون معرفتهم بالموسيقى من مستلزمات التّعاليم النّظريّة والفلسفيّة؛ لارتباطها بالعلوم الطّبيعيّة، وعلوم المنطق، وإلى هؤلاء يرجع الفضل في تعريف أصول مبادئ هذا العلم[3].

(1) سليم: عبد السّتار، دندنة على سنّ القلم، مقال منشور ضمن مجلّة السّراج العُمانيّة، مرجع سابق، ص92.

(2) يطلق العرب على الحضارة اليونانيّة القديمة باسم حضارة الإغريق، وهي الّتي قامت في روما وقبرص نشأة، وسمو بالإغريق نسبة إلى الجانب العرقيّ، إلا أنّه يطلق عليهم أيضا بالهيلينيين.

(3) الفارابيّ: أبو نصر محمد بن محمد؛ الموسيقى الكبير، مصدر سابق، ص15-17. (من مقدّمة المحقق).

وعندما انتصرت المسيحيّة[1] عام 313م على الوثنيّة في الدّولة الرّومانيّة أثّرت في الحياة الرّوحية والاجتماعيّة والفلسفيّة لهذه الدّولة، وسيسقط أثره على الغناء والموسيقى، حيث اتّخذت المسيحيّة الغناء مكانة هامّة في ممارسة الطّقوس والشّعائر[2].

فالنّصرانيّة أثّرت في تقدّم الموسيقى لاهتمامها بالجانب العاطفيّ، كما إنّها تأثّرت هي ذاتها، حيث دخل إليها بعض الشّعائر الوثنيّة، عن طريق التّهليلات المصحوبة أحيانًا بالموسيقى، مثل ما يُعرف بهللوايا، والّتي أول من ألّفها منهم رهبان الصّحراء في مصر وسورية[3].

ويشير بعض الباحثين إلى أنّ العود تأخّر دخوله في الدّولة الرّومانيّة إلى القرن السّادس عشر، حيث دخل عن طريق العرب[4]، بيد أنّ الرّوايات تشير أنّ العود كان موجوداً في الدّولة الرّومانيّة منذ فترة مبكّرة، ومن ذلك رواية

(1) أطلق عليهم القرآنُ اسم النّصارى مع أنّ أغلب النّصارى يطلقون على أنفسهم المسيحيين، أي نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، واختلف في سبب نسبتهم إلى النّصارى، فقيل نسبة إلى منطقة النّاصرة في فلسطين، وقيل نسبة إلى الحواريين الّذين نصروا المسيح عيسى، وقيل غير ذلك، والقول الثّاني أرجح فيما يبدو لي – والله أعلم–، وذلك لظاهر قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إلى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/ 52).

(2) فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان حتى القرن التّاسع عشر**، مصدر سابق، ج2، ص15.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص15.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص15.

الصّفديّ (ت 764هـ) أنّ الإسكندر[1] (ت 323 ق م) كان في صحبته عود لمّا كان يطوف بالبلاد، يضرب به تلميذٌ لأرسطوطاليس[2] (ت 322 ق م) مؤدّب الإسكندر، فإذا كان عنده ما يغيّر مزاجه من انقباض أو حدث له كسل دعا ذلك التّلميذ، فأحضر له العود، فضرب به، فيزول ما يجده[3]، وممّا يدلّ على ضعفه أيضاً أنّ العود من أساس الآلات والصّناعة وأقدمها وأسهلها.

والحضارة الفارسيّة لم يكن الغناء والموسيقى فيها أقلّ اهتماماً من الحضارة الرّومانيّة؛ وذلك لأنّ الموسيقى كانت جزءاً من شعائرهم التّعبديّة، وفي بلاد فارس حفل البلاط الفارسيّ بالقيان يعزفْن ويغنّيْن، وكان ملوك الفرس يرفعون الموسيقيّين، ويُقال إنّهم هم الّذين صنعوا النّاي والحنك والمربع والمزهر[4].

وسنرى أنّ العرب تأثّروا تأثّراً كبيراً بفلاسفة اليونان، خصوصاً في العصر العبّاسيّ، نتيجة ترجمة الكتب اليونانيّة إلى العربيّة، فنشأ عندهم فلاسفة برعوا

(1) ويسمى أيضاً: الإسكندر الأكبر، والإسكندر الكبير، والإسكندر المقدونيّ، والإسكندر ذو القرنين، من أعظم القادة العسكريين في التّأريخ، توفي سنة 323 ق م.
ينظر: الموسوعة العالميّة ويكيديا، تاريخ الزّيارة: الأربعاء 20/ 9/ 2017م، السّاعة السّادسة صباحاً.

(2) ويسمّى أيضاً: أَرِسْطُو وأرسطاطاليس، فيلسوف إغريقيّ، تلميذ أفلاطون، ومعلّم الإسكندر الأكبر، من كتبه: الفئات، والتّفسيرات، وتكوين أثينا، توفيّ سنة 322 ق م.
ينظر: اليازجيّ: فوزيّ وشربل: راغد؛ **المعجم الشّامل للعلماء والمخترعين**، إشراف: موريس شربل، ط دار الفارابي، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 2007م، ص23 – 24.

(3) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص15 – 16.

(4) سليم: عبد السّتار؛ **دندنة على سنّ القلم**، مرجع سابق، ص91 – 92.

في الموسيقى كالفارابيّ[1] (ت 339هـ)، وابن سينا[2] (ت 428هـ)، والصّفديّ (ت 764هـ)، ويمكن أن يقال إنّهم استفادوا من الحضارة الفارسيّة في الآلات، ومن الرّومان أصول ومبادئ العلم.

واعتُبر الفرس أساتذة العرب، فقد نقلوا منهم الآلات والألحان والمصطلحات الموسيقيّة، الّتي ما يزال منها موجوداً إلى اليوم، بل حتى النّغمات المكوّنة للمقام ما زالت كلّها فارسيّة النّطق مثل الدّوكاة[3].

وبلا شكّ إنّ الموسيقى والغناء كانا حاضرَيْن أيضاً في الحضارات البابليّة والآشوريّة والكلدانيّة وحضارتَي مجان ودلمون[4]، لعلاقتهم بالحضارات الأخرى حرباً وثقافة وتجارة، إلا أنّ التّأريخ بخل بأن يكتب عنهم إلا بعض ما حفظ من النّقوش والآثار والكتابات القديمة!!

وعلى العموم يمكن أن نجمل أهمّ الآلات في العصور القديمة:

---

(1) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان أوزلغ الفارابيّ، ولد في فاراب في اقليم تركستان، (كازخستان حاليا)، فيلسوف عربيّ، اشتهر بإتقان العلوم الحكميّة، وكانت له قوة في صناعة الطّب، سمي «المعلم الثّاني» نسبة إلى المعلم الأول أرسطو، من كتبه: الفصوص، وإحصاء الإيقاعات، والقانون، توفي سنة 339هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص20.

(2) ابن سينا الملقب بالشّيخ الرّئيس، عالم في الطّب والفلسفة والموسيقى وغيرها من الفنون، من كتبه: رسالة في الموسيقى، توفي سنة 428 هـ.
ينظر: مقدّمة عبد المجيد دياب لكتاب **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص26.

(3) المرجع نفسه، ص92.

(4) أغلب هذه الحضارات على الصّحيح حضارات عربيّة قديمة.

- العود: وهو من الآلات الوتريّة المألوفة منذ القِدم عند الأمم الشّرقيّة، لا تُماثله آلة أخرى في سهولة الاستعمال، وفخامة النّغم، ومطابقته للأصوات الإنسانيّة[1].
- الطّنبور: من الآلات القريبة من العود، ويستخرج منه النّغم بقسمة الأوتار الّتي تستعمل فيها[2]، والطّنبور فارسيّ معرّب[3].
- المزمار: من الآلات الّتي يحدث فيها النّغم بمُصاحبة الهواء السّالك في المنافذ المعمولة فيها لمقعرات تلك المنافذ[4].
- السّرناي: صنف من المزامير، غير أنّها أحدّ تمديداً من سائر أصنافها، وقد جرت عادة مستعمليها أن يجعلوا على محدبها ثمانية معاطف[5].
- الرّباب: آلة وتريّة قديمة، وهي الّتي يسمّيها الأوربيون كمانجة عجوز، ذات صندوق نصف بيضاويّ، ويشدّ عليها وتران أكثر الأمر، وقد دخلت الرّباب أوربا عن طريق الأندلس، وتطوّرت صناعتها شيئًا فشيئًا، وسمّيت في القرن السّابع عشر بآلة الكمان[6].

---

(1) الفارابيّ: أبو نصر محمد بن محمد؛ **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، ص498. (من الهامش).

(2) **المصدر نفسه**، ص629.

(3) الرّازيّ: محمد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م، ص 360. (مادّة طنب).

(4) الفارابيّ: أبو نصر محمد بن محمد؛ **الموسيقى الكبير**، مصدر سابق، ص772.

(5) المصدر نفسه، ص787 – 788.

(6) المصدر نفسه، ص800. (من الهامش).

- الصّنج: صنف من أصناف المعازف، غير أنّه قد يسمّى به آلة الإيقاع القديمة الّتي يستعملها الكهنة، وهو قطعتان من النّحاس مستديرتان، يُضرب بإحداهما فوق الأخرى[1].
- الكوبة: طبل طويل، متّسع الطّرفين، ضيّق الوسط[2].
- الطّبل: شكل أسطواني متّسع الأطراف والوسط.
- الدّف: شكل دائريّ مفتوح أحد الجانبين.
- الكمنجا: هي الرّباب ذات القوس بالفارسيّة[3].
- الكنارة: آلة وتريّة مصنوعة من الخشب، مثبّتة أوتارها في إطار خشبيّ غير منتظم الأضلاع، أحد ضِلعي الجانبين أقصر من الآخر، ويجري ضبط أوتارها بانزلاق الحلقات المثبّتة على الضّلع الأمامي للإطار، وهي المعروفة بالسّمسمة[4].

هذه من أهم الآلات وأشهرها في العصور القديمة، وهناك آلات أخرى نترك بيانها اختصاراً، لننتقل إلى الغناء والمعازف في العصر الجاهليّ.

(1) **المصدر نفسه**، ص823.

(2) حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، ط دار الألباب، دمشق – بيروت، الطّبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م، ص219.

(3) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص108.

(4) الخفيّ: محمد أحمد؛ **الموسيقى المصريّة حتى الفتح العربيّ**، بحث منشور ضمن كتاب محيط الفنون، ط دار المعارف/ مصر، ج2، ص54.

• الغناء والمعازف في العصر الجاهليّ

الجاهليّة في اللّغة نقيض العلم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة وجهِلَ عليه[1]، وقيل سمّي بذلك بسبب الطّيش والتّعصب القبليّ، لا لكوْنها أنّها ضدّ العلم، والمعرفة كانت سائدة حينها بسبب الخلطة للتّجارة ونحوها، وتعدّد الأديان في الجزيرة العربيّة، وقيل سمّي بالجاهلية لسبب جهل النّاس بعقيدة إبراهيم -عليه السّلام-، فسُمّيوا جاهليّين، وليس المقصود بالجهل الّذي هو ضدّ العلم؛ بل الجهل الّذي هو ضدّ الحلم[2].

لذا يعرّف العصر الجاهليّ بأنّه الفترة الممتدّة قبل بعثة سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، والّتي استمرّت قرنًا ونصفًا أو مئتين قبل البعثة[3].

واشتهر عند المؤرّخين أنّ الجاهلية فترة زمنية محدّدة، بينما يرى سيّد قطب[4] (ت 1966م) أنّ الجاهلية ليست فترة تاريخيّة؛ إنّما هي حاله توجد كلّما وُجدت مقوّماتها في وضع أو نظام، وهي في صميمها الرّجوع بالحكم والتّشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة، ويستوي أن تكون

---

(1) ينظر: ابن منظور: محمّد بن مكرم الأنصاريّ؛ **لسان العرب**، مادّة جهل، (نسخة الكترونيّة).

(2) شمس الدّين: عبد الحليم؛ **مقالة تعريف العصر الجاهليّ**، موقع موضوع، تاريخ الزّيارة: السّبت 23 سبتمبر 2017م، السّاعة الثّامنة والنّصف صباحا
http://mawdoo3.com.

(3) المرجع نفسه.

(4) سيد قطب من أكبر المنظّرين للفكر الإسلاميّ في العصر الحديث، التحق بجماعة الإخوان، سجن مراراً، حتى حكم عليه بالإعدام عام 1965م، من كتبه: في ظلال القرآن، والتّصوير الفنّي في القرآن، والعدالة الاجتماعيّة في الإسلام.

هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمّة، أو أهواء جيل كامل من النّاس، فكلّها ما دامت لا ترجع إلى شريعة الله أهواء[1].

والقرآن أشار إلى لفظة الجاهليّة في أربع مواضع[2]، وجميعها تشير إلى فترة معيّنة نُهي فيها عن صفات سائدة في زمن ما كالحميّة والتّبرّج والظّنّ السّيء، وهذا لا يعني أنّه لا تتكرّر هذه الصّفات السّلبيّة في زمن آخر يشابه ذلك، كما نراه اليوم من حميّة وتَقاتل لأسباب عرقيّة أو طائفيّة وهي من حميّة الجاهليّة، بيد أنّ تحديدها بفترة زمنيّة من قرن إلى قرنين، وبمنطقة معيّنة مفتقِر إلى دليل واضح وقويّ.

وعلى العموم هنا نشير إلى ما ورد ذكره من روايات في هذه المرحلة فيما يتعلّق بموضع بحثنا فقط للإشارة لا للعمق البحثيّ في المرحلة ذاتها، ومدى صحّة الرّوايات من انتحالها!!

ومن شبْه المؤكّد أنّ اليمن كانت أكثر دول الجزيرة تقدّمًا في المجال الغنائيّ؛ إلا أنّ الحجاز أخذت نصيب التّدوين في هذا الجانب أكثر من غيرها؛ لسبب تعلّق الحجاز بالبعثة النّبويّة، والدّعوة التّجديديّة الجديدة، وبداية تدوين الرّواية الشّفهيّة.

---

(1) قطب: سيد؛ **في ظلال القرآن**، تفسير سورة المائدة، آية (50)، (نسخة الكترونيّة).

(2) الموضع الأول قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (آل عمران/ 154)؛ الموضع الثّاني قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة/ 50)؛ الموضع الثّالث قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب/ 33)؛ والموضع الرّابع قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (الفتح/ 26).

والغناء في العصر الجاهليّ تأثّر بالدّول الّتي حوله كالرّومانيّة والفارسيّة، وهذا ستتأثّر به العديد من المناطق كعُمان والبحرين مثلاً للارتباط البحريّ، ولاستعمار الفرس لهذه المناطق في بعض الفترات التّأريخيّة.

ومن مظاهر تأثّر العرب بالفرس انتشار القيان، حيث كان بعضهم يجلب القيان من بلاد فارس والإغريق[1]، روى أبو الفرج الأصفهاني[2] (ت 356هـ) في كتابه الأغانيّ عن حسان بن ثابت[3] (ت 80هـ) يصف ليالي الجاهلية: لقد رأيتُ عشر قيان، خمس روميّات يغنّين الرّوميّة بالبرابط، وخمس يغنّين غناء أهل الحيرة، وكان جلبة بن الأبهم إذا جلس للشّراب فرشَ تحته الآس والياسمين وأصناف الرّياحين، وضُرب له العنبر والمسك في صحائف الذّهب

(1) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهلي**، لا طبعة، لا تأريخ، ص59.

(2) علي بن الحسين بن حمد القرشيّ الأمويّ المعروف بالأصفهانيّ، ولد بأصفهان سنة: 284هـ، نشأ ببغداد، واستوطن فيها، من شيوخه: أبو بكر بن زيد، والفضل بن الحباب، وجعفر بن قدامة، من كتبه: الأغانيّ، ومقاتل آل طالب، وأدب السّماع، توفي سنة 356هـ.

ينظر: الأصفهانيّ: أبو الفرج علي بن الحسين؛ **الأغانيّ**، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1407هـ/ 1986م، ص: ج – م (مقدّمة وترجمة المحقق).

(3) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، من بني النّجار الأنصاريّ، من شعراء الإسلام، يكنّى أبو الوليد، وقيل: أبو عبد الرّحمن، وأمّه الغير بنت خالد بن قيس، يقال له شاعر الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، توفي بالشّام سنة 80 هـ.

ينظر: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي بن محمد اليحاويّ، ط دار الجيل، بيروت/ لبنان، ط 1413هـ/ 1993م، ص341 – 342.

والفضة، وأُوتد له العود المندّى إن كان شاتيًا، وإن كان صائفًا بطّن بالثّلج، وأتى هو بكسى صيفيّة يمتاز هو وأصحابه بها، ثمّ قال: وما رأيتُ منه حتى فحشًا ولا عربدة[1].

ومن أهمّ الآلات الّتي عرفَها العرب في الجاهليّة الدّفّ والمزمار والطّبل والقضيب والزّهر والبربط[2]، والبربط آلة تشبه العود[3].

وكان للجانب الإنشاديّ انتشار في العصر الجاهليّ، وهو غالبًا بدون آلة، وقد يصحبه بعض الآلات كالدّفّ، ومن أنواعه عندهم الحداء، وهو عادة ما يستخدم في التّرحال، فقد كان يستعين به المرء في أسفاره، يؤنس به نفسه، ويستحثّ به مطيّته، حتى قال بعضهم:

فغنّها وهي لك الفداءُ إنّ غناء الإبل الحداءُ[4]

والحداء ذاته يؤثّر على الإبل، فهي تهتزّ وتطرب فتقوى وتنشط في المسير، ورُوي عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه قال لأنجشة حادي إبله: يا أنجشة، رفقًا بالقوارير[5]، يريد بذلك ألّا يسرف في حدائه وغنائه حتى لا تسرع الإبل،

(1) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مرجع سابق، ص61.

(2) سليم: عبد السّتار؛ **دندنة على سنّ القلم**، مجلّة السّراج العُمانيّة، مرجع سابق، ص92.

(3) المرجع نفسه، ص92.

(4) المطغي: عبد العظيم؛ **الفراغ وأزمة التّدين عن الشّباب الدّاء والدّواء**، ط دار الأنصار، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1398هـ/ 1978م، ص106 – 107.

(5) أخرجه البخاريّ من طريق أنس بن مالك، كتاب الأدب، باب ما يجوز في الشّعر والحداء والرّجز وما يكره فيه، باب (90)، حديث رقم: 9149.

فتعنف حركتها، فتهتزّ النّساء الّتي فوقها اهتزازاً مؤلماً، وقد يؤدّي إلى سقوطهنّ[1].

وقيل إنّ أول من حَدَا من العرب مضر بن نزار بن معد، فقد رُوي أنّه سقط من بعير في أحد أسفاره، فانكسرت يداه، فجعل يقول:

يا يداه..... يا يداه[2]

وكان من أحسن النّاس صوتاً، فاستُوقفت الإبل، وطاب لها السّير، فاتّخذه العرب عادة لهم بعد ذلك، ثمّ تطوّر شيئاً فشيئاً حتى أصبح له أنواع وتسميات مختلفة، كالتّغرود والموّال وغيرها، ومن قولهم في الحُداء:

يا هاديا يا هاديا..... ويا يداه يا يداه[3]

فالحداء من أوائل الغناء عند العرب، ثمّ عمدوا إلى التّرنّم وترنّموا فيه، حتى أصبح على ثلاثة أوجه: النّصب والسّناد والهزج، أمّا النّصب فغناء الرّكبان والقينات، وأمّا السّناد فاللّحن القليل ذو التّرجيع، كثير النّغمات والنّبرات، وأمّا الهزج فهو الخفيف الّذي يرقص فيه، ويصحبه الدّفّ والمزمار[4].

البخاريّ: محمد بن إسماعيل؛ **الجامع الصّحيح**، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط 1420هـ/ 2000م، ج4، ص116.

(1) الشّرباصيّ: أحمد، **يسألونك في الدّين والحياة**، ط دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، ص623 – 625.

(2) فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان وحتى القرن التّاسع عشر**، منشور ضمن كتاب محيط الفنون، ج2، ص10.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص10.

(4) حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص166.

ومن أنواع الغناء عند العرب أيضاً غناء ترقيص الأطفال، فقد شاع بكثرة عن العرب خاصّة البدو لكثرة المربّيات، وهذا النّوع من الغناء يستخدم فيه غالباً بحر الرّجز، وهو الّذي يسمّيه العرب حمار الشّعر، ليُسْره واستطاعة كثير من النّاس أن يركبوه وينظموا عليه[1]، والغناء عموماً له تأثير على نفسيّة الطّفل، وتُعتبر دقّات قلب الأمّ أول صوت يسمعه الطّفل ويطرب له[2].

ومن أمثلة التّرقيص المصحوب بالغناء عند الطّفل ترقيص حليمة السّعديّة[3] النّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم-، حيث كانت تغنّي حين ترقيصه، ومن غنائها:

يا ربّ إذا عطيْته فأبْقِه..... وأعْلِه إلى العلا ورقِّهِ

وادحضْ أباطيل العدا بحقّه[4]

ولم يتكلّف العرب الأوائل علماً، وما عرفوا صناعة[5]، وإنّما وافقوا في غنائهم بين النّغمات والشّعر وما شابهه.

---

(1) عبد التّواب: أحمد؛ **التّرقيص والغناء للأطفال عند العرب**، ط دار الفضيلة، القاهرة/ مصر، ص9.

(2) المصدر نفسه، ص11.

(3) حليمة السّعديّة من بادية بني سعد، مُرضعة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، حيث تشرّفت بإرضاعه بعدما أبتْ المرضعات لفقره ويتْمه.

ينظر: البوطيّ: محمد سعيد رمضان؛ **فقه السّيرة النّبويّة**، ط دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، ودار الفكر، دمشق/ سورية، الطّبعة الحادية عشرة، 1991م، ص44.

(4) عبد التّواب: أحمد؛ **التّرقيص والغناء للأطفال عند العرب**، مصدر سابق، ص23.

(5) حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص166. هذا على اعتبار الاستقراء الحجازيّ، وإلا فالحضارات العربيّة قديمة كالآشوريّة والفينيقيّة وغيرها، ولأنّه أهمل باقي أجزاء الجزيرة؛ لأنّ خلطتهم بغيرهم قديمة.

• الغناء والمعازف في العصر النّبويّ

الفترة النّبويّة وإن كانت قصيرة زمنيّـاً لا تتعدّى ثلاث وعشرين عامـاً، إلا أنّها كانت نقطة فاصلة ومهمّة للمجتمع المسلم، فهي أكبر من كوْنها حركة تجديديّة لأنّها أحدثت تغييراً جوهريّـاً بنزول القرآن الكريم ما زال أثره قويّـاً حتى يومنا هذا، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله تعالى.

والعصر هو الزَّمن الّذي ينسب إلى ملك أو دولة، أو إلى تطوّرات طبيعيّة أَو اجتماعيّـة، كعصـر الدّولـة العباسـيّة، والعصـر الحجـريّ، وعصـر البخـار والكهرباء، وعصر الذَّرَّة[1].

وعليه العصر النّبوي هنا يبدأ من بعثة النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بتأريخ 610م، وحتى وفاته 632م، وهذا هو الأشهر، وقيل يبدأ من تأريخ ولادته 571م وحتى وفاته، وقيل يمتدّ ويدخل فيه عهد الخلفاء الرّاشدين الأربعة، لرواية: أوصيكم بتقوى اللّه، والسّمع والطّاعة، وإن عبد حبشيّ، فإنّه من يعِشْ منكم يرَ اختلافـاً كثيراً، وايّاكم ومحدثات الأمور، فإنّها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعَليه بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنّواجذ[2]، وقيل

(1) مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، مادّة عصر، (نسخة الكترونيّة).

(2) أخرجه التّرمذيّ باللّفظ نفسه من طريق العرباض بن سارية، المجلد الرّابع، أبواب العلم عن رسول اللّه –صلّى اللّه عليه وسلّم–، باب (16) الأخذ بالسّنة واجتناب البدعة، حديث رقم: 2816؛ وابن ماجه بلفظ قريب من الطّريق نفسه، الجزء الأول، [افتتاح الكتاب في: الإيمان، وفضائل الصّحابة، والعلم]، باب (6) اتباع سنة الخلفاء الرّاشدين المهديين.

هذه الرّواية متعلّقة بالجانب السّياسيّ، وبعضهم يخصّ الشّيخين أبا بكر[1] (ت 13هـ) وعمر[2] (ت 23هـ)، وبعضهم يدخل مسلك آل البيت، إلا أنّ الأشهر عند الباحثين وضع الخلفاء الأربعة كعصر مستقلّ، وهو في الجملة لا يهمّنا هنا لأنّ التّغيير كان بطيئًا فيه، ولاشتغالهم بداية في عهد أبي بكر بتمكين الوضع، ثمّ الأحداث الّتي حدثت في أواخر عهد عثمان[3] (ت 35هـ) وعليّ[4] (ت

(1) عبد الله بن عثمان، بن أبي قحافة العتيق الصّديق، ولد بعد مولد الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، أول من أسلم من الرّجال، وأول خليفة بعد النّبيّ، توفي سنة: 13 هـ.
ينظر: السّباعيّ: مصطفى؛ **عظماؤنا في التّاريخ**، ط المكتب الإسلاميّ، بيروت/ لبنان – دمشق/ سوريا، ص110 – 111.

(2) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، أبو حفص، أمّه من بني مخزوم، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، كان من أشراف العرب في الجاهليّة، وإليه كانت السّفارة في الجاهليّة، أسلم سنة ست بعد البعثة، كان إسلامه نصراً، وهجرته جهراً؛ فقد هاجر وسط النّهار جهراً، شهد مع النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– بدراً وأُحداً والخندق وبقية المشاهد، بُويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر، فملأ الأرض عدلاً، وتوسّعت الدّولة في عهده، توفي سنة 23هـ إثر طعنة أبي لؤلؤة المجوسيّ (كما يُروى).
انظر: ابن الأثير: عزّ الدّين أبو الحسن الجزريّ الموصليّ؛ **أسد الغابة**، صحّحه عادل أحمد الرّفاعيّ، ط دار إحياء التّراث العربيّ، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م، ج4، ص156.

(3) عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية القرشيّ الأمويّ، أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله، ويقال أبو ليلى، ذو النّورين، من الطّبقة الأولى، صحابيّ، أحد السّابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، توفي سنة 35 هـ بالمدينة.
ينظر: **برنامج الموسوعة الشّاملة**، رواة التّهذيبين.

(4) عليّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشيّ، أبو الحسن الهاشميّ، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، من السّابقين الأولين، ورجّح جمع أنّه أول من أسلم، من الطّبقة الأولى، صحابيّ، توفي سنة 40 هـ.

40هـ) وما تبع ذلك من موقعة الجمل (36هـ) وصفّين (37هـ) والنّهروان (38هـ)[1]، وعليه يصعب فصل الخلافة الرّاشدة عن العهد النّبويّ خاصة في مبحثنا هذا، ولهذا لم نلتفت إليها، ونخصّص لها مبحثًا، فهي ضمنًا تحمل ثقافة العصر النّبويّ.

كما إنّه عندما نتحدّث عن العصر النّبوي فنحن نتحدّث عن المدينة بصورة أكبر لأسباب منها أنّ الرّوايات الاجتماعيّة أرّخت للمدينة أكثر من مكّة، ولانفتاح الإنسان المدنيّ في المدينة، ولارتباط التّشريع بالمدينة أكثر من غيرها، ولهذا عُرف عن أهل المدينة حبّ الرّقص والغناء خلافًا لأهل مكّة الّذين اشتهر عنهم الغلظة والجفاء إلى يومنا هذا، وإن كان الحضارمة الّذين استوطنوا مكّة كان لهم الأثر الكبير في الجانب الغنائيّ والإنشاد الصّوفيّ خصوصًا لاحقًا.

وتعلُّقُ أهل المدينة بالغناء قديم جداً، فقد روت عائشة[2] (ت 57هـ) أنّها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإنّ الأنصار يعجبهم اللّهو، وفي رواية: إنّ الأنصار فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول:

ينظر: **برنامج الموسوعة الشّاملة**، رواة التّهذيبين.

(1) فصّلنا الوضع السّياسيّ في الخلافة الرّاشدة في بحث: الدّولة في القرآن الكريم، نشرت حلقتان في مجلة مواطن الالكترونيّة حتى كتابة هذا النّص.

(2) عائشة بنت أبي بكر الصّدّيق زوج رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم –، وأمّها أمّ رومان بنت عامر، توفيت سنة 57هـ، وقيل 58هـ.

ينظر: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مصدر سابق، ج4، ص1881 – 1885.

أتيناكم أتيناكم..... فحيّانا وحيّاكم[1]

وقيل لمّا وصل النّبيّ المدينة استقبله أهلها وهم يردّدون:

طلع البدر علينا..... من ثنيّات الوداع[2]

ويرى ابن قيم الجوزيّة[3] (ت 751هـ) أنّ هذا بعد رجوعه من تبوك 9هـ؛ لأنّ ثنيّات الوداع إنّما هي من ناحية الشّام، لا يراها القادم إلى مكّة من المدينة، ولا يمرّ بها إلا إذا توجّه إلى الشّام[5]، وقيل كرّر ذلك مرّتين، مرّة عند قدومه المدينة، ومرّة عند رجوعه من تبوك، بينما يرى الألباني[6] (ت

(1) المطغي: عبد العظيم؛ **الفراغ وأزمة التّدين عن الشّباب الدّاء والدّواء**، مصدر سابق، ص106 – 107.

(2) النّدويّ: أبو الحسن؛ **السّيرة النّبويّة**، ط دار عمر بن الخطاب، 1401هـ/ 1981م، ص 219 – 220.

(3) محمّد بن أبي بكر بن أيوب، والجوزيّة مدرسة في دمشق، كان أبوه مديراً وقيّماً أي قائماً فيها، فنسب إليها، درس على ابن تيميّة، وأبي الفداء الدّمشقيّ، وأيّوب الكحال وغيرهم، له عشرات المؤلفات من أشهرها زاد المعاد، وإغاثة اللّهفان من مصايد الشّيطان، والطّب النّبويّ، توفي سنة 751هـ/ 1350م.

ينظر: ابن الجوزيّة: شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار ابن حزم، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1420هـ/ 1999م، ص5 – 10 (مقدّمة الكتاب).

(4) وسمعت الشّيخ سعيد بن مبروك القنوبيّ [معاصر] في مقطع يوتيوبيّ كأنّه يميل إلى هذا التّرجيح.

(5) ابن الجوزيّة: شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مصدر سابق، ص586.

(6) محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، باحث في شؤون الحديث، ويعدّ من علماء الحديث ذوي الشّهرة في العصر الحديث، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث

1420هـ/ 1999م) أنّ القصّة برمّتها ير صحيحة[1]، ولا يهمّنا بطبيعة الحال هنا هذا الرّأي؛ لأنّنا هنا في بيان وجود الإشارة ولو متأخّرة وضْعًا، إلا أنّ حضور الفكرة الإنشاديّة قائمة مبكّراً كما هو طبيعة وسجيّة الإنسان، وللشّواهد الأخرى في مرويات التّأريخ والحديث.

وعندما قام الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بحفر الخندق قام ينشد مع أصحابه هذه الأبيات:

والله لولا الله ما اهتدينا..... ولا تصدّقْنا ولا صلّينا

فأنزلَنْ سكينةً علينا..... وثبّت الأقدام إذْ لاقينا[2]

وكانوا يردّدون هذا الدّعاء بأسلوب ومقامات غنائيّة:

اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة..... فارْحَم الأنصار والمهاجرة[3]

وكانت القيان[1] تغنّي في العهد النّبويّ، فعَن عائشة (ت 57هـ) دخل عَلَيّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وعندي جاريتان تغنّيان غناء بعاث[2]،

وغيره، وأشهرها صحيح الجامع، والضّعيف الجامع، وصفة صلاة النّبيّ، توفي سنة 1420هـ/ 1999م.

ينظر: **الموسوعة العالميّة ويكبيديا**، تأريخ الزّيارة: الأربعاء، 27 سبتمبر 2017م، السّاعة الثّامنة والنّصف صباحًا.

(1) الألبانيّ: محمد ناصر الدّين، **سلسة الأحاديث الضّعيفة**، الطّبعة الثّالثة، 1406هـ، ج2، ص63.

(2) أخرجه البخاريّ بلفظ مختلف، كتاب الأدب، باب ما يجوز في الشّعر والرّجز وما يكره فيه، ج4، ص116.

(3) ابن هشام، عبد الملك بن هشام؛ **السّيرة النّبويّة**، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، ط مؤسسة علوم القرآن، ج2، ص496.

فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهزَني: مزمارة الشّيطان عند النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فأقبل النّبيّ فقال: دعْهما، فلمّا غفل غمزتْهما فخرجَتا[3]، ومن القيان المشهورة في هذا العصر سيرين[4] مولاة حسان بن ثابت (ت 80هـ).

أمّا المعازف فأكثرها وجوداً في هذا العصر الدّفّ، لما ورَد من الرّخصة في استعماله خصوصاً أيّام الأفراح، فعَن الرّبيع بنت معوذ[5] (ت؟) قالت: جاء النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يدخل حين بُنيَ عليّ، فجلس على فِراشِك مجلسك منّي، فجعلت جويريات لنا يضربْن بالدّفّ، ويندبْن من قُتل من آبائي

(1) وبعضهم يرى أنّ القيان هنا البنات الصّغيرات كما سيأتي في مبحث الأدلّة، والأصل عمومه.

(2) يوم من أيام العرب في الجاهليّة.

(3) أخرجه البخاريّ باللّفظ نفسه من طريق عائشة، الجزء الأول، كتاب العيدين، باب (2) الحراب والدّرق يوم العيد، حديث رقم 907.

(4) إحدى الجاريتين اللّتين أهداهما المقوقس 9هـ/ 630م إلى النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وقد وهبها النّبيّ إلى شاعره حسان بن ثابت. (هذه السّنة الاجتماعيّة السّائدة نذكرها هنا من باب الذّكر التّأريخي لا غير، بغضّ النّظر عن أبعادها التّاريخيّة، ومصاديقها القرآنيّة).

ينظر: الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهلي**، مصدر سابق، ص63.

(5) الرّبيع بنت معوذ ابن عفراء الأنصاريّة، لها صحبة ورواية، روى عنها من التّابعين: سليمان بن يسار، وعباد بن الوليد، وأبو عبيدة محمد بن عمّار بن ياسر.

ينظر: ابن عبد البرّ: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مصدر سابق، ج4، ص1837 – 1848.

يوم بدر، إذ قالت إحداهنّ: وفينا نبيّ يعلم ما في غد، فقال: دعي هذا، وقولي بالّذي تقولين[1].

وفي الجملة آلات المجتمع الجاهليّ هي ذاتها الآلات في المجتمع النّبوي، بغضّ النّظر عن المرويّات المصاحبة إباحةً أو منْعًا، كما سنراه في التّحليل الفلسفيّ والمجتمعيّ، وأيضًا في مبحث مناقشة الأدلّة.

- **الغناء والمعازف في عصر ما بعد العصر النّبويّ**

درج بعض الباحثين على تسميته بالعصر الإسلاميّ، وشخصيًّا لا أحبّذ هذه التّسمية لسببين: أنّ الإسلام لا يُحصر في عصر معيّن، وثانيًا الإسلام لا يمثّله عصر ما، فالعصور تجربة بشريّة تحوي الجانبين الخير والشّرّ، والصّواب والخطأ، فهي تنسب إلى نتاج البشر لا إلى الإسلام، فممكن أن نقول العصر الأمويّ مثلاً، ولكن ليس هو الإسلام الخالص، ولأنّ الإسلام ترك مساحة واسعة للبشر لبناء الحياة وإصلاحها وفق قيم بناء الإنسان ذاته.

لهذا نركّز هنا على الحضارة الأمويّة والعباسيّة والأندلس، لتأثير هذه الحضارات في وضع روايات الغناء، وفي توظيف الغناء ذاته، من هنا نفْقه سبب نظرة الرّواة والفقهاء إليه في الجملة نظرة سلبيّة، حيث ستؤثّر هذه النّظرة في وضع الرّواية من جهة، وفي الحكم السّلبيّ لهذا الجانب من جهة أخرى كما سنراه عند الاستقراء الفلسفيّ والاجتماعيّ.

وعليه يمكن أن نحدّد عصر ما بعد العصر النّبويّ بوجه عام من (11هـ) وحتى (656هـ) أي عصر سقوط الخلافة العباسيّة، والأصل يدخل في هذا

(1) رواه البخاريّ باللّفظ والطّريق نفسه، ج2، ص352، وج9، ص166 – 167.

العصر الخلافة الرّاشدة (من 11هـ وحتى 40هـ)، إلا أنّنا رأينا سابقًا بعضهم يعتبرها داخلة في العصر النّبويّ، وبعضهم يراها مستقلّة، إلا أنّها بلا شكّ بداية التّجربة السّياسيّة، وتميّزت بعدم الاستقرار في غالب فتراتها، ممّا سيؤثّر بلا شكّ في الجوانب الاجتماعيّة والحضاريّة كالغناء والمعازف.

وممّا يذكر من هذا في الخلافة الرّاشدة ما ذكره ابن عبد ربّه[1] (ت 327هـ) في العقد الفريد من طريق عبد الله بن عمر[2] (ت 73هـ) عن أبيه (ت 23هـ) قال: مرّ بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم بن عمر[3] (ت 70هـ) نغنّي غناء النّصب[4]، فقال: أعيدا عليّ، فأعدْنا عليه، فقال: أنتما كحِمارَي العباديّ،

(1) شهاب الدّين أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبيّ، مولى هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية، ولد سنة 246هـ، كان مغرمًا بالموسيقى والصّوت الحسن، وكان أديبًا شاعراً، مات عام 327هـ.

ينظر: ابن عبد ربه: شهاب الدّين أحمد بن محمد؛ **العقد الفريد**، تقديم أحمد أمين، ط دار الكتاب العربيّ، بيروت/ لبنان، ط 1403هـ/ 1983م، ج1، ص: هـ – و. (من كلام المترجم).

(2) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشيّ العدويّ، أبو عبد الرّحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وأجمعوا أنّه لم يشهد بدراً، واختلفوا في أحد، من رواة الأحاديث، توفي سنة 73هـ.

ينظر: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مصدر متقدّم، ج3، ص341 – 342.

(3) أبو عمرو عاصم بن عمر بن الخطاب، تابعيّ مدنيّ، جدّ الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز لأمّه، ولد في العهد النّبويّ، وتوفي سنة 70هـ.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص458.

(4) غناء عند العرب أرقّ من الحداء.

وقيل: أيّ حمارك شرّ؟ قال هذا ثمّ هذا[1]، وفي هذا أيضـًا رواية حمزة بن عَبْد اللهِ بن عمر[2] (ت؟) قال: كنتُ أحسّ من نفسي بحسن صوت، وكان صوت سالم بن عَبْد اللهِ كرغاء البعير فقلت له: أنا أحسن منك صوتـًا، فَقَالَ لنا عَبْد اللهِ بن عمر: خذا حتى أسمع؛ فغنّينا غناء الرّكبان، فقلتُ لأبي: أيّنا أحسن صوتـًا؟ فَقَالَ: أنتما كحِمارَي العباديّ[3].

وأمّا الدّولة الأمويّة (40 هـ وحتى 132هـ)، فهي بدأت على يَدَي معاوية بن أبي سفيان[4] (ت 60هـ)، وقد تميّز هذا العهد في جملته مقارنة بعهد الخلافة الرّاشدة؛ تميّز بالقوة والاستقرار في فترات مختلفة، مع التّمدد الخارجيّ، وهذا

ينظر: آبادي: فيروز؛ **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التّراث بإشراف محمد العرمسوسيّ، ط مؤسسة الرّسالة، بيروت/ لبنان، ط 1413هـ/ 1993م، باب الباء، مادّة نصب، ص177.

(1) ابن عبد ربه: شهاب الدّين أحمد بن محمد؛ **العقد الفريد**، مصدر سابق، ج1، ص8.

(2) أبو عمارة حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وشقيق سالم بن عبد الله بن عمر، ثقة.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص240.

(3) ابن القيسرانيّ: شرف الدّين أبو عبد الله محمد بن نصر؛ **كتاب السّماع**، القول في الغناء على الإطلاق، حديث رقم 13. (نسخة الكترونيّة).

(4) أبو عبد الرّحمن معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أميّة الأمويّ القرشيّ، الخليفة، ولد بمكة، وتعلّم الكتابة والحساب، وأسلم قبل الفتح، مؤسس الدّولة الأمويّة في الشّام وأوّل خلفائها، توفي سنة 60 هـ.

ينظر: ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص195. (بتصرف).

بـدوره سيسـقط علـى الجانـب الحضـاريّ، ومنـه مـا يتعلّـق بجانـب الغنـاء والمعازف.

وساعد في تطوّر الغناء والمعازف ولَعُ واهتمام بعض الخلفاء به كيزيد بن عبد الملك[1] (ت 105هـ)، ومن الأسباب أيضـًا في تطوّره ما ذكره الشّوكاني[2] (ت 1250هـ) أنّ بعض العلماء في هذه الفترة كانوا على ولَع به كعمر بن عبد العزيز[3] (ت 101هـ) قبل تولّيه الخلافة[4].

(1) تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن عبد العزيز عام: 101هـ، واستمرت خلافته حتى عام 105هـ العام الّذي مات فيه.
ينظر: العش: يوسف؛ **الدّولة الأمويّة والأحداث الّتي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان**، ط دار الفكر، دمشق/ سورية، الطّبعة الثّانية 1406هـ/ 1985م، ص278 – 282.
(2) محمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكانيّ اليمنيّ، ولد سنة 1172هـ، من شيوخه: عبد الرحمن المدائنيّ، والقاسم الخولانيّ، كان زيديّـًا ثمّ تأثر بأهل الحديث، من كبار علماء اليمن، من كتبه: نيل الأوطار والرّسائل السّلفيّة، وله في الغناء رسالة: إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السّماع، توفي سنة 1250هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص298.
(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ، ولد عام: 61هـ، ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك، اشتهر بالعدل، وأبطل سنّة لعن عليّ بن أبي طالب على المنابر، دامت خلافته سنتين ونصف، توفي سنة 101هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص50.
(4) الشّوكاني: محمد بن علي بن محمد؛ **نيل الأوطار**، ط مكتبة التّراث، القاهرة/ مصر، ج8، ص101.

واشتهر في العصر الأمويّ انتشار القيان، وزاد عددهنّ لإقبال الولاة والخلفاء لهنّ، ويعدّ سائب خاثر[1] (ت 63هـ) نواة النّهضة الموسيقيّة في الدّولة الأمويّة، وأول من نقل الغناء الفارسيّ، وأصبغه بالطّابع العربيّ، وعُرف هذا الأسلوب من الغناء بالغناء المتقَن الّذي يقابل غناء الرّكبان في العصر الجاهليّ[2]، وقيل إنّ سائبًا أول عربي استعمل العود حيث كان يُستعمل الدّفّ أو القضيب، حتى رأى نشيطًا الفارسيّ[3] (ت؟) يستعمل في غنائه العود فاستعمله هو أيضًا[4].

واشتهرت المدينة المنورة بالغناء، ومن أشهر المغنّين فيها عزّة الميلاء[5] (ت 115هـ) وهي من أمْهَر المُغنّين والمغنّيات في العصر الأمويّ، ومن أحسن

(1) أبو جعفر سائب بن يسار اللّيثيّ بالولاء، فارسيّ الأصل، أخذ عن نشيط الفارسيّ، أحد أئمة الغناء والتّلحين عند العرب، أستاذ معبد، وابن سريج، وعزة الميلاء، وغيرهم، توفي سنة 63هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص68.

(2) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مصدر سابق، ص65.

(3) نشيط الفارسيّ من أقدم المغنّين الفرس الّذين أخذ عنهم العرب الغناء، أخذ عنه سائب خاثر، وابن محرز.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تاريخ الزّيارة: الأحد 1/ 10/ 2017م، السّاعة السّابعة صباحا.

(4) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مصدر سابق، ص: 65.

(5) ولِدَت في المدينة المنورة، وتعلّمت الغناء على مغنيّة عجوز تسمّى رائعة، فحذقت فيه، حتّى أصبحت من أمهر المُغنّين والمغنيات في العصر الأمويّ، من أحسن النّاس ضربًا بالعود، وكانت مطبوعة على الغناء، ولمّا قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنّيَا أغاني بالفارسيّة، فلقنت عزة عنهما نغمًا، وألّفت عليها ألحانًا عجيبة، توفيت سنة: 78هـ، وقيل 115هـ.

النّاس ضرباً بالعود، وكانت مطبوعة على الغناء[1]، وعنها أخذ الغناء مسلم بن محرز مولى ابن عبد الدّار[2] (ت نحو 40هـ) المغنّي والملحّن والمجدّد في الغناء، وقيل اتّجه أبناء المهاجرين والأنصار إلى الغناء لمّا قامت الدّولة الأمويّة في دمشق، فأصبح الثّقل في دمشق، فاتّجه أهل المدينة إلى الاهتمام بالأدب والفنّ، فظهر منهم من اهتمّ بالغناء كطويس[3] (ت 92هـ) والغريض[1] (ت 95هـ) وابن محرز وغيرهم[2].

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تاريخ الزّيارة: الأحد 1/ 10/ 2017م، السّاعة السّابعة صباحاً.

(1) المرجع والزّيارة نفسها.

(2) مسلم بن محرز مولى ابن عبد الدّار، ولد بالمدينة المنورة، أحبّ الموسيقى من صغره، وكان يستمع إلى كبار المغنّين أمثال ابن مسجح، تعلّم الموسيقى من المغنية عزة الميلاء، ثمّ سافر إلى فارس ليكتب المزيد من المعلومات حول الفنّ الفارسيّ، ثمّ انتقل إلى الشّام فتعلم محاسن الألحان من الرّوم، ومزجها مع الألحان الفارسيّة ليؤلف منها أغاني صنعها من أشعار العرب، واشتهر بلقب صناج العرب، وينسب له التّجديد في الموسيقى العربية فابتكر ايقاعاً سمّي بإيقاع الرّمل، وغناء سمّي بغناء الزّوج.وأول من غنّى بزوج من الألحان للبيت الشّعريّ الواحد، فلم يكتَفِ بلحن واحد يردّد مع كلّ بيت، وقد سار المغنّون من بعده على خطاه.

الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص223.

(3) اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدنيّ، مولى بني مخزوم، وكنيته أبو عبد المنعم، طويس لقب غلب عليه، أول من غنى في المدينة بالعربيّة، كان بارعاً في صناعته، وكان طويلاً مضطرباً أحوَل العين، ومشؤوماً يضرب به المثل في الشّؤم فيُقال: أشأم من طويس، توفي سنة 92هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص105.

وبدأ في العهد الأمويّ أول التّصنيف في أخبار الموسيقى والغناء، فقد وضع يونس الكاتب[3] (ت 135هـ) كتاب النّغم، وكتاب القيان، وكان نواة لما صنّف بعد ذلك في هذا الفنّ[4].

أمّا العصر العباسيّ فيمتدّ منذ سقوط الدّولة الأمويّة على يدَي أبي العباس عبد الله الملقّب بالسّفّاح[5] (ت 136هـ) عام 132هـ، واستمرّت حتى سقوط بغداد على يدي التّتار عام 656هـ، وتميّزت هذه الدّولة في العديد من فتراتها بالاستقرار، خاصّة في العهد العباسيّ الأول (132هـ – 232هـ)، وحدث في هذا

(1) أبو مروان عبد الملك، عربي الأصل، مولود في مكة، والغريض معناهُ المُغنّي المجيد، تعلّم الغناء عن ابن سريج حتّى أصبح مغنيًا بارعـًا.وكان يصطحب في غنائه العود والقضيب والدّفّ، يقال أشهر مغنّي في العصر الأمويّ، توفي سنة 95هـ.
ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تاريخ الزّيارة: الأحد 1/ 10/ 2017م، السّاعة السّابعة والنّصف صباحـًا.

(2) حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص176.

(3) يونس بن سليمان بن شهريار، من هرمز، كاتب شاعر بارع في الغناء، نشأ تحت حضن الخلفاء كالوليد بن يزيد، أول من دوّن الغناء من العرب، حيث صنّف كتابـًا في الأغانيّ، ونسبها إلى من غنّى بها، مات سنة 135هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص261.

(4) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مصدر سابق، ص67.

(5) أبو العباس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، ولد عام 104هـ، وهي القرية الّتي كان أبوه وجدّه نازلين عليها، وقد عهد جدّه بالدّعوة لابنه إبراهيم، ولمّا أحس إبراهيم باقتراب أجله عهد الدّعوة لعبد الله السّفاح، ومن هنا انطلق إلى الكوفة وبويع بالخلافة 132هـ، استمرت خلافته أربع سنوات، حيث توفي بسبب الجدريّ عام 136هـ.
ينظر: الخضريّ: محمّد؛ **محاضرات في تاريخ الأمم (الدّولة العباسيّة)**، ط دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م، ص45 – 51.

العهد نقلة حضاريّة وعلميّة وفكريّة لا يكاد يماثلها من الحضارات العربيّة القديمة، واستفادوا من الأمم السّابقة، ونقلوا علومهم ترجمة وتنقيحاً وحفظاً وتطويراً، كما أنشؤوا المكتبات كمكتبة دار الحكمة الّتي أنشأها المأمون[1] (ت 218هـ)، وهي أقلّ في التّمدّد الخارجيّ من الدّولة الأمويّة في العموم.

والانفتاح العلميّ والتّرجمة في العصر العباسيّ طال الغناء أيضاً، من هنا حدث تقعيد لهذا الفنّ من قبل علماء وموسيقيّين وأدباء اهتمّوا به مثل:

- أبو منصور الحسن بن زبلة (ت 440هـ) تلميذ ابن سينا (ت 428هـ)، له كتاب الكافيّ في الموسيقى.
- أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرخان الفارابيّ (ت 339هـ)، صاحب كتاب الموسيقى الكبير.
- إخوان الصّفا وخلان الوفا[2].

(1) عبد الله المأمون بن هارون الرّشيد، ولد عام 170هـ، ولّاه أبوه العهد وهو ابن 13 سنة، بويع بالخلافة سنة 198هـ، ودامت خلافته عشرين سنة، حيث قتل غازياً بطرسوس عام 218هـ.

ينظر: الخضريّ: محمد؛ **محاضرات في تاريخ الأمم (الدّولة العباسيّة)**، مصدر سابق، ص: 163.

(2) جماعة سريّة سياسيّة فلسفيّة باطنيّة، عاشوا بالبصرة في النّصف الثّاني من القرن الرّابع الهجريّ، من أشهرهم محمّد بن مشير البستيّ الملقّب بالمقدسيّ، وزيد بن رفاعة، لهم معارف جمعوها في خمسين رسالة، وتقع في أربعة أقسام: الرّياضيّات، والطّبيعيّات، والنّفسانيات، والإلهيات.

ينظر: **مجلّة الوعي الإسلاميّ، ملحق براعم الإيمان**، عدد: 319، ذو الحجة 1423هـ/ مارس 2003م، دولة الكويت، ص29.

- الحسين بن أحمد الكاتب (ت 652هـ)، من كتبه الموسيقى كمال أدب الغناء.

بجانب بروز المهتمّين من العلماء والموسيقيين والأدباء كان اهتمام الخلفاء أيضاً، حيث قرّبوا إليهم المهتمّين بالغناء، واشترطوا في المغنّي أن يكون حافظاً للأشعار والنّوادر، ويُحسن النّحو والإعراب[1]، والّذي يتقن الموسيقى يكون له مكان عالٍ في الدّولة، وقد يحظى بمصاحبة الخليفة[2].

هذا الاهتمام من قبل الخلفاء نتج عنه محترفون في هذا الفنّ كالأميرة عليّة بنت المهديّ[3] (210هـ)، وإبراهيم الموصليّ[4] (ت 188هـ)، بجانب القينات الّلاتي انتشرْن في مجالس الخلفاء، فقد رُوي أنّه عزفتْ مائة قينة في مجلس واحد[5].

(1) حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص167.

(2) الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مصدر سابق، ص68.

(3) عُليَّة بنت المَهْديّ، شاعرة عربيّة، وهي أخت الخليفة العباسيّ هارون الرّشيد، تُعرف أيضاً بالعبَّاسة، ماتت سنة 210هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص35.

(4) إبراهيم بن ماهان بن مهمن الموصليّ التّميميّ بالولاء، أبو إسحاق النّديم، أوحد زمانه بالغناء واختراع الألحان، شاعر من ندماء الخلفاء، فارسيّ الأصل، كان ينظم الأبيات، ويلحّنها، ثمّ يغنّيها، مات سنة 188هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، ج1، ص58 – 59.

5 الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهليّ**، مصدر سابق، ص68.

أمّا المعازف فقد تنوّعت بصورة كبيرة عن السّابق نتيجة الاستفادة من الأمم الأخرى، بل قاموا بتطويرها وترقيتها، ومن المعازف الّتي أخذوها من الفرس وطوّروها الطّنبور.

وأمّا الحضارة الأمويّة الثّانية بالأندلس الّتي تأسّست على يدَي عبد الرّحمن الدّاخل[1] (172هـ)، والّتي استمرّت قرونًا، وهذه الحضارة شبيهة بالحضارة العبّاسيّة في الاهتمام بالغناء من قِبل الخلفاء والملوك، وظهر عندهم فنّ الموشّحات[2] لتلائم الإيقاع الموسيقيّ، بجانب تطويرهم أيضًا لأدوات وآلات الغناء.

وأوروبا استفادت من حضارة الأندلس، فما كان للكاتب الإسبانيّ ثيربانتس[3] (ت 1616م) أن يرقى في أدبه، ولا دانتي[1] (ت 1321م) الإيطاليّ

(1) عبد الرّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، صقر قريش، ويعرف بالدّاخل، مؤسّس الدّولة الأمويّة الثّانية في الأندلس عام 138هـ، توفي سنة 172هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص338.

(2) نوع من أنواع الشّعر الأندلسيّ، ظهر مع مقدّم بن معافى، ووضع ليتلائم مع الإيقاع الموسيقيّ.
ينظر: ضيف: شوقي؛ **الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ**، ط دار المعارف، مصر، الطّبعة التّاسعة، ص450 – 455.

(3) ميغيل دي ثيربانتس سابيدرا، جنديّ وكاتب مسرحيّ وروائيّ، يُعدّ إحدى الشّخصيات الرّائدة في الأدب الأسبانيّ على مستوى العالم، واشتهر عالميًّا بعد كتابة روايته الشّهيرة دون كيخوطيّ دي لا مانتشا بين عامي 1605 – 1615م، توفي سنة 1616م.
ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء، 4 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية والنّصف ظهراً.

في الكوميديا الإلهيّة، ولا شكسبير[2] (ت 1616م) الإنكليزيّ في مسرحيّاته، فما كان لهؤلاء أن يتقدّموا إلا بعد استفادتهم من حضارة الأندلس[3]، ومن استفادة الأوربيّين أخْذهم العود عن طريق الأندلسيّين[4].

وأمّا الدّولة الفاطميّة فقد تأسّست على يدَي عبيد الله المهديّ[5] (ت 322هـ) في شمال أفريقيا، وهم يرجعون بنسبهم إلى محمَّد بن إسماعيل بن

---

(1) دانتي أليغييري، شاعر إيطاليّ من فلورنسا، أعظم أعماله: الكوميديا الإلهيّة المكوّنة من ثلاثة أقسام: الجحيم، والمطهر، والفردوس، يعتبر البيان الأدبيّ الأعظم الّذي أنتجه أوربا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللّغة الإيطاليّة الحديثة، توفي سنة 1321م.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء، 4 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّالثة والثّلث عصراً.

(2) وليم شكسبير، شاعر،، وكاتب مسرحيّ، وممثّل إنجليزيّ بارز في الأدب الإنجليزيّ خاصة والأدب العالميّ عامّة، سمّي بشاعر الوطنيّة، وشاعر أفون الملحميّ، توفي سنة 1616م.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء، 4 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّالثة وخمس وعشرين دقيقة عصراً.

(3) الحجيّ: عبد الرّحمن عليّ؛ **أندلسيات**، ط دار الانشاد، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1388هـ/ 1969م، ص165.

(4) فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان وحتى القرن التّاسع عشر**، مصدر سابق، ج2، ص44.

(5) عبيد الله بن محمّد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمّد المكتوم، الفاطميّ العلويّ، من ولد جعفر الصّادق، مؤسس دولة العلويّين في المغرب، وجدّ العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، وأحد الدّهاة، في نسبه خلاف طويل، ووصلت إلى المهديّ رسل أبي عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفي بالله العباسيّ، فطلبه، ففرّ من سلمية إلى العراق.ثمّ لحق بمصر فالإسكندريّة، ومنها إلى المغرب، وكان ظهوره بسجلماسة في

جعفر الصَّادق[1] (ت نحو 198هـ)، فهُم بهذا عَلَويّون، ومن سُلالة الرّسول مُحمَّد – صلّى الله عليه وسلّم- عبر ابنته فاطمة الزّهراء[2] (ت في عهد أبي بكر 11 – 13هـ) ورابع الخُلفاء الرَّاشدين عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ)[3]، ولهذا فهي دولة إسماعيليّة المذهب، فاطميّة الانتساب، وكانت المنصورة مركز حكمهم، ثمّ القاهرة، وأصبح ثقلهم في مصر[4]، واستمرّ عهدهم حتى عام 567هـ تقريباً.

وهذه الدّولة لا تختلف عن الدّولة العباسيّة في الاهتمام بالمعرفة والفلسفة والفنون، لذا سيكون للغناء والمعازف موقع كبير فيها أيضاً، خاصة والخلفاء

أواخر 296 هـ، واستفحل أمره حتى بويع في القيروان بيعة عامة سنة 297 هـ، وكان يتولّى أموره بنفسه، ليس له وزير ولا حاجب، توفي سنة: 322هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص197.

(1) محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصّادق، إمام عند القرامطة، ترى الإسماعيليّة هو الإمام المختفي بعد وفاة أبيه، ويلقّب بالمكتوم خوفاً من بطش العباسيين، وتعدّه القرامطة من أولي العزم، وأول الأئمّة السّبعة المستورين عند الدّروز، توفي نحو سنة 198هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص34.

(2) فاطمة بنت رسول الله محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – ابن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشميّة القرشيّة، وأمّها خديجة بنت خويلد، من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوّجها عليّ ابن أبي طالب في الثّامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن والحسين وأمّ كلثوم وزينب، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص132.

(3) ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الخميس: 12 أكتوبر 2017م، السّاعة الخامسة والثّلث عصراً.

(4) المرجع والزّيارة نفسها.

اهتمّوا بذلك كمثل ما أقامه الخليفة المعزّ لدين الله[1] (ت 365هـ) رابع الخلفاء الفاطميّين، ومؤسّس مدينة القاهرة؛ من اهتمام بالفنون الجميلة وخاصّة الموسيقى والغناء، كما اهتمّ بعده أيضاً العزيز بالله[2] (ت 386هـ)، والظّاهر لإعزاز دين الله[3] (ت 427هـ) وغيرهم، حتى كان هذا العصر عصر الطّرب والتّرف، حيث أقام خلفاء حفلات جمعت بين جلال الملك وطرب الشّعب وبهجته، وكانت هذه الحفلات تقام في القصر الشّرقيّ الكبير مقر الخليفة الفاطميّ، والمغنّي في هذا العصر يجلس في مجلس الملك[4].

(1) تميم معدّ بن منصور، رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية -تونس حالياً-، وأول الخلفاء الفاطميين في مصر، والإمام الرّابع عشر من أئمة الإسماعيليّة، أرسل أكفأ قادة جيشه جوهر الصّقليّ للاستيلاء على مصر من العباسيين، فدخلها وأسّس مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط، والّتي تعتبر أول عاصمة للعرب في مصر، توفي سنة 365هـ.
ينظر: الموسوعة العالميّة ويكيبيديا، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة صباحاً.

(2) نزار العزيز بالله بن معد المعزّ لدين الله بن منصور العبيديّ الفاطميّ أبو منصور، صاحب مصر والمغرب، ولد في المهديّة، وبويع بعد وفاة أبيه سنة 365 هـ، وكانت في أيامه فتن وقلاقل، وكان كريم الأخلاق حليماً يكره سفك الدّماء، مغرى بصيد السّباع، أديباً فاضلاً، وفي زمنه بني قصر البحر، وقصر الذّهب وجامع القرافة في القاهرة، وخطب له بمكة، وطالت مدته، إلى أن خرج يريد غزو الرّوم، فلمّا كان في مدينة بلبيس أدركته الوفاة سنة 386هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص15 – 16.

(3) أبو الحسن عليّ ابن الحاكم بأمر الله منصور، الخليفة الفاطميّ السّابع، والإمام السّابع عشر من أئمة الشّيعة الإسماعيليّة، توفي سنة 427هـ.
ينظر: الموسوعة العالمية ويكيبيديا، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة صباحاً.

(4) صفحة شارع المعزّ لدين الله الفاطميّ على الفيس بوك، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة السّادسة مساء.

ويقال بأنّ أول مولد[1] أقيم في التّأريخ كان في القاهرة، وقد أقامه الفاطميّون إبّان حكمهم لها في القرن العاشر الميلاديّ[2]، والمولد مشتقّ من الفعل العربيّ وُلِد، ويستخدم للدّلالة على الولادة بصفة عامّة، ومولد الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بصفة خاصّة، فهو اسم يُطلق على الاحتفالات السّنويّة المرتبطة بمولد الرّسول، أو الممارسات الموسيقيّة الشّعريّة الّتي تضفي معنى وترفيهاً على هذه الاحتفالات[3].

ومن اشتهر بهذا الفنّ في هذا العصر:

- أبو الحسين محمّد بن الطّحان (ت بعد 449هـ)، كان ملحّناً ومغنّياً، ألّف كتاب: جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنّين[4].
- المغنّية نسب (ت؟)، كانت من أشهر المغنّين، وهَبها المستنصر[5] (ت 487هـ) أرض الطّبالة[1].

(1) أي الاحتفال بليلة مولد النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وهي عادة لا زالت إلى يومنا هذا.

(2) أولسن: بول روفسنج؛ **الموسيقى في البحرين: الموسيقى التّقليديّة في الخليج العربيّ**، ترجمة فاطمة الحلواجيّ، الطّبعة الأولى، ط المؤسسة العربيّة للنّشر والتّوزيع، بيروت/ لبنان، 2005م، ص138 –139.

(3) الفاروقيّ: لويس لمياء؛ **المولد والمالد: نمطان من الموسيقى الدّينيّة الإسلاميّة من سلطنة عُمان**، بحث طبع في كتاب الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة (6 –16 أكتوبر 1985م)، ط مطبوعات مركز عُمان للموسيقى التّقليديّة، ج3، ص19.

(4) صفحة شارع المعزّ لدين الله الفاطميّ على الفيس بوك، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة مساء.

(5) أبو تميم معد بن الظّاهر المعروف بالمستنصر بالله، الخليفة الفاطميّ الثّامن، كانت الدّولة الفاطميّة حين اعتلى عرشها الخليفة المستنصر بالله الفاطميّ قد استقرّت

- عليّ بن سعيد الصّدفيّ (ت؟)، كان شاعراً أجاد العزف علي العود[2].
- ابن الهيثم (ت 430هـ)، كان من أكبر علماء الرّياضة الّذين عرفتهم مصر، له في الموسيقي كتاب تحت عنوان رسالة تأثيرات اللّحون الموسيقيّة في النّفوس الحيوانيّة[3].

وأمّا الدّولة الأيوبيّة فأتتْ بعد الدّولة الفاطميّة في مصر، حيث تأسّست على يد صلاح الدّين الأيوبيّ[4] (ت 589 هـ) كامتداد سنيّ للدّولة العباسيّة، لذا دعا للخليفة العباسيّ في البداية، واستمرّت 262 سنة[1].

واتّسعت اتّساعًا هائلاً، وبلغت دعوتها الشّيعيّة أقصى مدى لها في الذّيوع والانتشار، وامتلأت خزائنها بالأموال، توفي سنة 487هـ.

ينظر: الموسوعة العالمية ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة والثّلث صباحًا.

(1) صفحة شارع المعزّ لدين الله الفاطميّ على الفيس بوك، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة مساء.

(2) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(3) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(4) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدّين الأيوبيّ، الملقب بالملك النّاصر، كان أبوه وأهله من قرية دُوين (في شرقي أذربيجان)، وهم بطن من الرّواديّة من قبيلة الهذانيّة من الأكراد، نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدّين، وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والسّاحل الشّاميّ يوم حطّين، الّذي تلاه استرداد طبريّة وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثمّ افتتاح القدس سنة 583هـ، ووقائع على أبواب صور، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يده سنة 587هـ بعد أن اجتمع لحربه ملِكا فرنسا وإنكلترة بجيشيهما وأسطوليهما، وأخيرا عقد الصّلح بينه وبين كبير الفرنج ريكارد قلب الأسد (ملك انكلترة) على أن يحتفظ الفرنج بالسّاحل من عكا إلى يافا، وأن يسمح لحجّاجهم بزيارة بيت القدس، وأن تخرب عسقلان، ويكون السّاحل من أوّلها إلى الجنوب لصلاح الدّين، وعاد ريكارد إلى بلاده، وانصرف

وهـذه الدّولـة امتـداد للحضـارتين العباسـيّة والفاطميّـة، بجانـب تـأثّرهم بحضارة الأندلس، لهذا ستنشط فيها الفنون والمعارف أيضـاً، وفيها ازدهرت الموسيقي والفنون عامّة في هذا العصر، ومن خلال الحروب الصليبيّة (1095 – 1271م) وصلت إلى أوربا جميع الفنون العربيّة ومنها الموسيقى وآلاتها خاصّة آلات النّفخ النّحاسيّة، وآلة القانون[2].

ومن أعلام هذا العصر في الغناء:

- ابن سناء الملك (ت 608هـ)، ولد في القاهرة عام 550 هـ، كان شاعراً كبيراً، اعتني بالموشّحات وله كتاب فيها[3].
- المغنّيـة عجيبـة (ت؟) اشـتهرت بالغنـاء بمصـاحبة آلَتَـي الجنـك[4] والدّفّ[5].

صلاح الدّين من القدس، بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات، ومكث في دمشق مدّة قصيرة انتهت بوفاته سنة 589 هـ

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص 219 – 220.

(1) الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية عشر ظهراً.

(2) صفحة شارع المعزّ لدين الله الفاطميّ على الفيس بوك، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية عشر والرّبع ظهراً.

(3) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(4) الجُنْكُ الطُّنبور، آلة من آلات الطّرب.

ينظر: مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ المعجم الوسيط، مصدر سابق، حرف الجيم، مادّة جنك. (نسخة الكترونيّة).

(5) صفحة شارع المعز لدين الله الفاطمىّ على الفيس بوك، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية عشر والرّبع ظهراً.

وأمّا دولة المماليك فهي إحدى الدّول الإسلاميَّة الّتي قامت في مصر خِلال أواخر العصر العبَّاسي الثّالث، وامتدَّت حُدُودها لاحقًا لتشمل الشّام والحجاز، ودام ملكها منذ سُقُوط الدّولة الأيوبيَّة سنة: 648هـ، وحتَّى بلغت الدّولة العثمانيَّة ذروة قوّتها، وضمّ السّلطان سليم الأوَّل[1] (ت 926هـ) الدّيار الشّاميّة والمصريّة إلى دولته بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانيّة سنة: 923هـ[2].

ودولة المماليك امتداد للدّولة الأيوبيّة، وازدهرت في هذا العصر الحركة العلميّة والفنيّة في مصر، كما شجّع الملوك الغناء والطّرب، وظهر الأدب العامّيّ الّذي يُعدّ وسطًا بين الأدب الفصيح والأدب الشّعبيّ، ومن خلاله برزت الألحان الغنائيّة الجميلة في صورة الموشّح الّذي استخدم فيه بعض الألفاظ العاميّة، وظهر في هذا العصر أيضًا فنّ خيال الظّلّ في عصر الظّاهر بيبرس[3] (ت 676هـ)، وفية يُلتزم استصحاب الموسيقى التّصويريّة أو الغناء أو

(1) السّلطان التّاسع للعثمانيين، من أعظم سلاطينهم، مدّ الدّولة العثمانيّة إلى مصر وبلاد العرب، حكم ثماني سنوات، وتوفي سنة 926هـ.
ينظر: أرسلان: شكيب؛ **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، حقّقه حسن السّماحيّ سويدان، ط دار ابن كثير، ودار التّربية، دمشق – سورية، الطّبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م، ص134 وما بعدها.

(2) الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية عشر وأربعين دقيقة ظهراً.

(3) بيبرس العلائيّ البندقداريّ الصّالحيّ، ركن الدّين، الملك الظّاهر، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، مولده بأرض القبچاق، كان شجاعًا جبّاراً، يباشر الحروب بنفسه، وله الوقائع الهائلة مع التّتار والإفرنج (الصّليبيين)، وله الفتوحات منها بلاد (النّوبة) و(دنقلة)، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسّلاطين لها، وفي

الاثنين معاً[1]، كما ظهر المدّاحون، وشعراء الرّبابة، هذا إلى جانب المولويّة -حلقات ذكر الدّراويش-، وهي إحدى الطّرق الصّوفيّة تطوّرت من حيث اعتمادها على الموسيقى والغناء[2].

ومن أعلام الموسيقى والغناء في العهد المملوكيّ:

- خديجة الرّحبانيّة (ت؟)، مغنّية بارعة[3].
- ناصر الدّين القاهريّ (ت؟)، برع في معرفة أصول النّغم، وأجاد الغناء[4].
- الرّئيس نور الدّين بن رحاب (ت؟)، أجاد الغناء، وإنشاد المدائح والتّلحين[5].
- جلال السّنطبريّ (ت؟)، أجاد العزف على السّنطور[6].
- عليّ بن غانم (ت؟)، أجاد العزف على الطّنبور[7].

أيّامه انتقلت الخلافة إلى الدّيار المصريّة سنة 659هـ، وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً، توفي في دمشق سنة: 676ه، ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظّاهريّة. ينظر: الزّركليّ: خير الدّين بن محمود؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج2، ص79.

(1) صفحة شارع المعزّ لدين الله الفاطميّ على الفيس بوك، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الخميس: 13 أكتوبر 2017م، السّاعة الواحدة ظهراً.

(2) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(3) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(4) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(5) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(6) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

(7) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

ومع هذا يرى بعض الباحثين أنّ العصر المملوكيّ حدث فيه تراجع في هذا الجانب عمّا قبّله، وكان من أكبر ما يؤخذ على المغنّي في عصر المماليك أن يقصد إلى ترفيه الشّعب، فالمطربون والمطربات كانوا متاعاً للحاكم ولا يصحّ أن يستمتع بفنّهم أحد من عامّة الشّعب، وقد قبض الأمير يشبك بن حيدر[1] (ت؟) والي القاهرة على خديجة الرّحبانيّة وهي تغنّي في أحد الأفراح بتهمة إفساد عقول النّاس، وأمر بضربها خمسين عصاً، وقرّر عليها غرامة ماليّة، وكتب عليها تعهّداً بأن لا تزاول مهنتها، فمرضت وماتت ولم تتجاوز من العمر ثلاثين سنة[2].

وأمّا الدّولة العثمانيّة فنسبة إلى عثمان أرطغرل أو عثمان الأول[3] (ت 728هـ) وهو مؤسّسها عام 699هـ[4]، واستمرّت لمدة ستّة قرون، حتى سقطت على يدي الأوربيين، وقد سمّيت في نهايتها برجل أوربا المريض، وكانت في البداية عظيمة الامتداد، واسعة الأركان، إلا أنّها أقلّ اهتماماً بالمعارف والعلوم ممّن سبقها من دول، إلا أنّ العثمانيين استفادوا من أوربا خاصّة بعد فتح القسطنطينيّة عام 857هـ، فنقلوا عنهم الموسيقى الأندلسيّة والمغربيّة، وقد كان

(1) لم أهتدِ إلى ترجمته.

(2) مقال: جواري السّلطان، نشر في موقع مصرس، نشر في 27/ 5/ 2012م، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة السّادسة صباحاً.

(3) عثمان الأول أكبر أولاد أرطغرل، وكان المقدّم عند سلطان قونيه، ثم ملك مدينة حصار، ومنحه حق ضرب السّكة، فصار اسمه يقرن باسم السّلطان في صلاة الجمعة، وكان شديد البأس صارماً، خضع له بعض أمراء الرّوم، وتوفي سنة: 728هـ.
ينظر: أرسلان: شكيب؛ **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مصدر سابق، ص55 – 56.

(4) أرسلان: شكيب؛ **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مصدر سابق، ص54 – 55.

الأوربيون أخذوه من حضارة الأندلس، وكان الخلفاء يحبّون الموسيقى حبّاً شديداً حتى إنّهم شجّعوا ممارستها والاستماع إليها، وكانوا يحتفظون في قصورهم بعدد من الموسيقيين والمغنّين الممتازين، لذا ازدهرت موسيقاهم إلى درجة أنّها أثّرت في موسيقى الشّرق الأدنى وشبه جزيرة البلقان، وقد ترجمت الأعمال الأدبيّة والموسيقيّة إلى اللّغة التّركيّة[1].

هذه أهم الدّول الّتي يمكن أن نشير إليها ولا ننسى الدّولة الصّفويّة في إيران مثلاً، وقد حكمت إيران وأذربيجان وباكستان وبعض أجزاء تركيا والعراق وحتى سورية وغيرها من المناطق، وتنسب إلى صفيّ الدّين الإردبيليّ[2] (ت 753هـ)، وتمتدّ من 905هـ وحتى 1148هـ.

والدّولة الصّفويّة في أصلها شافعيّة صوفيّة، والصّوفيون ارتبطوا بالموالد وقد تحدّثنا عنها آنفاً، إلا أنّ الصّفويّين تحوّلوا إلى المذهب الشّيعيّ الإماميّ في عهد صدر الدّين خواجة[3] (ت 1424م)، والمذهب الشّيعيّ الإماميّ له

(1) مقال: **الموسيقى في العصر الأندلسيّ**، موقع الحكواتيّ، تأريخ الزّيارة: الجمعة: 14 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّالثة عصراً.

(2) صفي الدّين الإردبيليّ، الجدّ الخامس للشّاه إسماعيل، وقد نشأ نشأة صوفيّة، وكان صاحب طريقة، ممّا ساعد على التفاف الكثير من المريدين حوله، وانتشار دعوته وأنصاره، وبعد وفاته خلفه في رئاسة أتباعه ابنه صدر الدّين موسى، توفي سنة: 753هـ.

ينظر: مقال: **الصّفويون من البداية إلى النّهاية**، الرّاصد، مجلّة الكترونيّة، العدد الثّاني والأربعين، ذو الحجة 1427هـ، تأريخ الزّيارة: الأحد: 15 أكتوبر 2017م، السّاعة الخامسة والنّصف صباحاً.

(3) ابن صدر الدّين موسى، وحفيد صفي الدّين الإردبيليّ.

اهتمام بالموالد والعزاء والحسينيّات، وهذا مرتبط بالغناء الدّينيّ، وأدخلت هذه الدّولة العديد من السّلوكيات إلى المجتمع الشّيعيّ كالتّطبير، وعموماً موقعها في بلاد فارس خصوصاً سيساهم في وراثتها للفنّ الفارسيّ وأدبيّاته.

وبطبيعة الحال قامت في هذه الفترة من بعد سقوط الدّولة الأمويّة وحتى العهد الحديث العديد من الدّول والدّويلات كالرّستميّة والأغالبة والمرابطيّة والإخشيديّة والسّلاجقة والغزنويّة وغيرها، ولكنّنا لن نتطرّق إليها لضعف المصادر المتوفّرة عندنا، ولأنّها امتداد للدّول الكبيرة.

• الغناء والمعازف في التّراث والتّأريخ العُمانيّ

يتطور التّعامل مع الغناء والموسيقى من خلال العقليّة المتصوّرة له، فعندما يكون التّصوّر أنّ الغناء قيمة جماليّة فلسفيّة في الوجود، له علاقة بهذا الإنسان ورسالته في الحياة، لهذا ارتبط بقيمة الجمال وفلسفته من جهة، وبالرّياضيات من جهة أخرى، حتى أصبح علْماً مستقلًّا قائماً بذاته، فالعقليّة المتصوّرة لهذا سيختلف إسقاطها عن العقليّة الأخرى المتصوّرة له أنّه مجرّد لهو ولعب لا قيمة له.

وبما أنّ عهد الإمامة في عُمان، خصوصاً في عهدها الذّهبيّ من عام 179هـ وحتى عام 272هـ كانت دولة فقهيّة تنظر إلى الغناء والمعازف نظرة سلبيّة، سيسقط هذا على التّعامل السّياسيّ، وعليه الفكر السّياسيّ والفقهيّ العُمانيّ

ينظر: مقال: **الصّفويون من البداية إلى النّهاية**، الرّاصد، مجلّة الكترونيّة، العدد الثّاني والأربعين، ذو الحجة 1427هـ، مصدر سابق، تأريخ الزّيارة: الأحد: 15 أكتوبر 2017م، السّاعة الخامسة والنّصف صباحاً.

التّقليديّ تاريخيّاً لم يستوعب الموسيقى والفنون عامّة، فوضعها في خانة اللّهو واللّعب باعتبارها مظهراً من مظاهر التّرف المنبوذ[1].

وهكذا إذا نزلنا إلى النّباهنة في القرن السّابع الهجريّ، وامتدّت لخمسة قرون، بخل التّأريخ بأن يسجّل عن هذه الفترة، ومع هذا يشير الشّاعر النّبهانيّ اللّواح[2] (ت؟) إلى انتشار الطّرب في مدينة نزوى أيام النّباهنة[3].

وأمّا الدّولة اليعربيّة (من 1034هـ وحتى 1161هـ) فقد اهتمّت بالتّوسّع أكثر من الاهتمام بالمعرفة، وهذا الضّيف التّونسيّ الجربيّ عمر بن سعيد بن محمّد (ت؟) في عهد الإمام بلعرب بن سلطان[4] (ت 1104هـ) حيث رأى

(1) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان: إشكاليات ونصوص**، كتاب مجلّة نزوى، ط مؤسسة عُمان للصّحافة والنّشر والاعلان، عدد 30، جمادى الآخرة 1437هـ/ 2016م، ص17. (نقلاً عن كتاب الموسيقى العُمانيّة لمسلم بن أحمد الكثيريّ).

(2) سالم بن غسان بن راشد بن عبد الله بن عليّ اللّواح الخروصيّ، وجدّه المعروف باللّواح، ولد في قرية ثقب في النّصف الثّاني من القرن التّاسع الهجريّ، بالقرب من وادي بني خروص على سفح الجبل الأخضر، نشأ على يدي والده في قريته، وقرأ القرآن بقرية الهجار من وادي بني خروص، ثمّ رحل في طلب العلم إلى نزوى وأخذ الفقه والأدب.
ينظر: اللّواح الخروصيّ: سالم بن غسان؛ **ديوان اللّواح**، تحقيق: محمّد علي الصّليبيّ، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى 1409هـ/ 1989م، ج2، ص5 – 10.من ترجمة المحقق.

(3) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان: إشكاليات ونصوص**، مصدر سابق، ص50.

(4) إمام يعربيّ، بويع بالإمامة في اليوم الّذي مات فيه والده سلطان بن سيف 1090هـ، بنا حصن جبرين ببهلا، عزل من الحكم وبويع أخوه سيف بن سلطان الأول سنة 1104هـ.

مجالس العلم في عُمان قليلة، مع قلّة المدارس[1]، فأنشأ حصن جبرين في بهلا كمدرسة وحصن، إلا أنّها ركّزت على العلوم الفقهيّة واللّغويّة، ولم يكتب لها الاستمراريّة بسبب الخلاف السّياسيّ.

وأمّا دولة البوسعيد من 1161هـ وحتى يومنا هذا فهي الأفضل حالاً، خاصّة في الشّقّ الأفريقيّ، والصّراع الّذي حدث بينها وبين الّذين حاولوا إعادة الإمامة أثّر سلباً في جميع جوانب الحياة، ممّا جعلها تعيش مرحلة من البؤس المعيشيّ والمعرفيّ، ولهذا أرسل علماء الإصلاح في ميزاب الجزائر رسالة إلى الإمام غالب بن عليّ الهنائيّ[2] (ت 2009م) عقب وفاة الإمام محمّد بن عبد الله الخليليّ[3] (ت 1373هـ) نصحوه فيها بتشييد المدارس والمعاهد والكلّيّات، وإرسال البعثات، وتعميم الصّناعات، وتأسيس المطابع

ينظر: السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، ط مكتبة الضّامريّ للنّشر والتّوزيع، السّيب/ سلطنة عُمان، الطّبعة الثّانية، 1434هـ/ 2013م، ص144-149.

(1) السّالميّ: عبد الله بن حميد؛ **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، الحيل/ سلطنة عُمان، ط 2000م، المجلّد الثّانيّ، ص86 - 91.

(2) بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام محمّد بن عبد الله الخليليّ سنة 1373هـ، وشهد عصره صراعاً مع السّلطان سعيد بن تيمور، فخرج ولجأ إلى السّعودية بعد حرب الجبل الأخضر سنة 1379هـ/ 1959م، وظلّ بها حتى توفي سنة 2009م.

ينظر: السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص203 - 205.

(3) بويع بالإمامة بعد مقتل الإمام سالم بن راشد الخروصيّ سنة 1338هـ، وشهد عصره هدوءاً وتفاهماً بين نظام الحكم والسّلطنة بعد معاهدة السّيب 1339هـ/ 1920م بينه وبين السّلطان تيمور بن فيصل، توفي سنة 1373هـ.

ينظر: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص202 - 203.

والشّركات، وإصدار الجرائد والمجلات[1]، إلا أنّ عهد السّلطان قابوس (معاصر) أعاد المياه إلى مجاريها.

وعلى العموم تشير مراسلة مازن بن غضوبة[2] (ت؟) للنبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قلتُ: يا رسول الله، إنّي مولع بالطّرب وبشرب الخمر، لجوج بالنّساء، وقد نفد أكثر مالي في هذا، وليس لي ولد، فادْعُ الله أن يُذهب عنّي ما أجد، ويهَب لي ولداً تقرّ به عيني، ويأتينا بالحيا، فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: اللّهمّ أبدلْه بالطّرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالعهر عفّة الفرج، وبالخمر ريّاً لا إثم فيه، وآتِهم بالحيا، وهب له ولداً تقرّ به عينه[3]؛ وفي هذا إشارة إلى انتشار الطّرب في العصر الجاهليّ.

ويشير نور الدّين السّالميّ[4] (ت 1332هـ) عن محمّد بن محبوب[1] (ت 260هـ) قوله:

---

(1) بكلّي: عبد الرّحمن؛ **رسائل البكريّ**، ط مكتبة البكريّ، غرداية/ الجزائر، ط 1427هـ/ 2007م، ص310.

(2) مازن بن غضوبة السّعديّ النّبهانيّ الطّائيّ أول من أسلم من أهل عُمان – على المشهور–، كان زعيماً لقومه من قبائل طي، وكان يسكن مدينة سمائل، وسادناً للصّنم المعروف باجر الّذي تعبده قبائل طي، ولما رجع من عند النّبيّ – صّلى عليه وسلّم – بنا أول مسجد في عُمان.
ينظر: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص28 – 31.

(3) السّالميّ: عبد الله بن حميد؛ **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، مصدر سابق، المجلّد الأول، ص52.

(4) عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السّالميّ، يلقب بنور الدّين، من بني ضبة، فهو ينتمي إلى قبيلة السّوالم، وقد اشتهرت هذه القبيلة بظهور الإمام السّالميّ، وشيخ البيان محمد بن شيخان، ولد الإمام السّالميّ سنة 1286هـ،

روى ابن محبوب لنا عن صحْبه *** بأنّ ضرب الطّبل لا بأس به[2]

ويعلّل ذلك السّالميّ بقوله:

ولم يرخصوا بضرب الطّبل *** للّهو لكن لمعاني العدل

وذاك كالإرهاب للأعداء *** وكإجابة الصّريخ النّائيّ

وكدعاء لصلاة العيدِ *** أو اجتماع بينهم سديد[3]

ببلدة الحوقين، وهي من أعمال الرّستاق، تلقى تعلمه في بلدة الحوقين، وقد حفظ القرآن على يد والده، وتعلّم على يد الشّيخ راشد بن سيف اللّمكيّ، انتقل إلى الشّرقية سنة 1308هـ، فالْتحق بحلق الأمير صالح بن عليّ الحارثيّ، فكان ذلك الالتحاق من مرحلة التّنظير والدّرس إلى مرحلة التّطبيق والميدان، من آثاره المطبوعة: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، في التاريخ، وطلعة الشّمس على الألفيّة في علم أصول الفقه، ومدارج الكمال، توفي سنة 1332هـ.

ينظر: **معجم أعلام الإباضية** (قسم المشرق)، نسخة الكترونيّة.

(1) محمّد بن محبوب بن الرّحيل بن سيف بن هبيرة القرشيّ المخزوميّ، وكان جدّه الرّحيل بن سيف بن هبيرة بن سيف من الدّعاة البارزين في مرحلة الكتمان بالبصرة، ويرجع نسبه إلى قريش كما يقول الرّقيشيّ، وكان جدّه هبيرة بن سيف من فرسان النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ويكنّى بـ«أبي عبد الله»، فإذا ذكر في كتب الإباضيّة المشارقة فإنه هو المقصود غالبًا، وذلك لكثرة رواياته وآرائه، وقد تأثّر به الكثير من الفقهاء، وتحتل آراؤه مكانة رفيعة في التّراث الإباضيّ مشرقًا ومغربًا، نشأ أيام الإمام غسان بن عبد الله، وعاصر الإمام المهنا، وتألّق نجمه في أيام الصّلت بن مالك سنة: 237هـ حيث شارك مع عليّة القوم في مبايعته، توفي سنة: 260هـ.

ينظر: **برنامج معجم أعلام الإباضية** (قسم المشرق)، نسخة الكترونيّة.

(2) السّالميّ: نور الدّين عبد الله بن حميد؛ **جوهر النّظام في علميّ الأديان والأحكام**، تعليق أبو إسحاق اطفيش وإبراهيم العبريّ، ط الألوان الحديثة، الطّبعة الحادية عشر، 1410هـ/ 1989م، المجلد الثّاني، ص194.

(3) المصدر نفسه، المجلد الثّاني، ص194.

ويذكر أبو زكريا يحيى بن سعيد[1] (ت 427هـ) عن القصبة الكبيرة – أي المزمار، فإنّ المسلمين –أي الإباضيّة– أجازوا استماعها لمزيد قرْبها من الآخرة، أخبرني زياد بن الوضاح[2] (ت ق 3هـ) أنّه رأى أباه[3] (ت ق 3هـ) يستمعها وهو يبكي[4].

(1) القاضي الفقيه أبو زكريا يحيى بن سعيد بن قريش العقريّ النزويّ (ت: 472هـ/ 1079م)، من فقهاء القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ، من كتبه الإيضاح في الأحكام.

ينظر: السّعدي: فهد بن عليّ بن هاشل، **معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضيّة**، ط الجيل الواعد، سلطنة عُمان/ مسقط، الطّبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م، 3، ص305 – 306.

(2) زياد بن الوضاح بن عقبة، أبو الوضاح، من علماء القرن الثّالث الهجريّ، أحد العلماء الكبار في عُمان، ويعرف في الأثر العُماني بابن عقبة، عاصر الإمام المهنا بن جيفر (حكم 226–237هـ)، وكان معديًّا (ضابط، أو موظف كبير) لوالي الإمام بصحار، وكان من المبايعين للإمام الصّلت بن مالك سنة 237هـ، وكان من أهل المشورة والرأي في اختيار الإمام الصّلت.

ينظر: **معجم أعلام الإباضيّة** (قسم المشرق)، نسخة الكترونيّة.

(3) عالم فقيه، حمل العلم عن موسى بن عليّ وغيره من الفقهاء، وكان من رجال دولة الإمام المهنا ابن جيفر حكم (226–237هـ)، وكان من المبايعين للإمام الصّلت بن مالك سنة 237هـ، وكان إذا حضر في مجلس ارتضاه النّاس كلّهم وأطاعوه، ومن العلماء الّذين اجتمعوا في عهد الإمام المهنا، للفصل في قضية خلق القرآن، والّتي كادت أن تؤدّي إلى الفرقة بين المسلمين، فاتّفقوا على أن ما سوى الله مخلوق، ومن العلماء الّذين نهوا عن الخوض في سيرة الإمام المهنا، إذ وقع الخلاف في ولايته أو البراءة منه.

ينظر: موقع تادرات، مركز الدّراسات الإباضيّة، تأريخ الزّيارة: الأربعاء 18 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية والثّلث ظهراً.

(4) العقريّ النّزويّ: أبو زكريا يحيى بن سعيد، **الإيضاح في الأحكام**، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ج4، ص74.

وقاسَ أحمد بن حمد الخليليّ (معاصر) الأغانيّ الحربيّة والعسكريّة الّتي تتضمّن الآلات الموسيقيّة الّتي تستعمل في الحرب على الطّبل –أي في الجواز– فالحكم واحد لا يختلف[1]، وأجاز الدّفّ لأجل الإشهار –أي في الزّواج– لا لأجل إمتاع الأسماع[2]، كما إنّه أجاز استماع الأناشيد المصحوبة بدفّ لأجل التّحمّس للجهاد لا للطّرب[3].

وأمّا المولد أو المالد فقد كان حاضراً عند الشّافعيّة الصّوفيّة في عُمان منذ فترة مبكّرة جدّاً[4]، إلا أنّه لم يعهد في المجتمع الإباضيّ خاصّة في الدّاخل الاحتفاء به إلا عند بعض سلاطين البوسعيد، وكانت النّظرة إليه سلبيّة[5]، والإباضيّة في عُمان تأثّروا بهذا أبان اختلاطهم بالصّوفيّة الشّوافع خصوصاً في شرق أفريقيا، فانتشر لديهم قراءة البرزنجيّ الشّافعيّ[6] (ت 1317هـ) بصوت

(1) لقاء مع سماحة الشّيخ الخليليّ، مجلّة جبرين، من أعداد عام 1984م، ص29.
(2) **فتاوى سماحة الشّيخ الخليليّ**، مخطوط.
(3) المصدر نفسه.
(4) العبريّ: بدر بن سالم؛ **الأعمال الكاملة**، ج13، مرقون.
(5) المصدر نفسه.
(6) جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين البرزنجيّ الحسينيّ، ولد في مدينة السّليمانيّة في العراق عام 1250هـ، ثمّ سافر إلى مصر والْتحق بالجامع الأزهر لطلب العلم، وفي عام 1271هـ عاد مع أسرته إلى المدينة المنورة، واستكمل فيها دراسته وعلومه، كان عالماً أديباً شاعراً له عدد من المؤلّفات، منها: نزهة النّاظرين في مسجد سيد الأوّلين والآخرين، والشّجرة الأترجيّة في سلالة السّادة البرزنجيّة، توفي في المدينة المنورة عام 1317هـ، ودفن في بقيع الغرقد.
ينظر: الزّركليّ؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج2، ص122.

غنائيّ، والّذي جعل من أبي مسلم البهلاني[1] (ت 1339هـ) تأليف كتاب النّشأة المحمديّة كبديل عن البرزنجيّ[2]، وعند بعض الشّوافع يقرؤون من الفيوضات الرّبانيّة لعبد القادر الجيلاني[3] (ت 561هـ)، أو من ديوان ابن الفارض[4] (ت 632هـ) في مدح النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–[1].

(1) ناصر بن سالم بن عديم البهلانيّ الرّواحيّ، وينتمي إلى أصول إلى قبيلة رواحة من عبس، من أكبر شعراء عُمان في العصر الحديث، استهوى كتب الفقه والأدب، فهمّ بها دراسة حتى بزغ نجمه، واشتهر أمره قاضياً نبيهاً، وعالماً فقيهاً، وأديباً لامعاً، وفي عهد السّلطان بن ثويني تقلّد منصب القضاء، وبعدها منصب رئاسة القضاء بها حيث كان له منزلة رفيعة ومرتبة عالية عند الحكام حتى أيام السّيد علي بن حمود بن محمد، حيث استقال بعدها وصرف همّته في التّأليف وإحياء آثار السّلف الصّالح، وإنشاد الأذكار، من كتبه: العقيدة الوهبيّة، ونثار الجوهر، والنّشأة المحمديّة، توفي سنة: 1339هـ.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 18 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية والنّصف ظهراً.

(2) العبريّ: بدر بن سالم؛ **الأعمال الكاملة**، مصدر سابق، ج13، مرقون.

(3) أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقّب في التّراث المغربيّ بالشّيخ بوعلام الجيلانيّ، وبالمشرق عبد القادر الجيلانيّ، ويعرف أيضاً بـ«سلطان الأولياء»، وهو إمام صوفيّ، وفقيه حنبليّ، لقّبه أتباعه بـ«باز الله الأشهب»، و«تاج العارفين»، و«محيي الدّين» و«قطب بغداد»، وإليه تنتسب الطّريقة القادريّة الصّوفيّة، توفي سنة\ 561هـ.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء 18 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية وأربعين دقيقة ظهراً.

(4) أبو حفص شرف الدّين عمر بن علي بن مرشد الحمويّ، أحد أشهر الشّعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهيّ حتى أنه لقّب بـ «سلطان العاشقين»، والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر، توفي سنة: 632هـ.

فأصبح فنّ المالد يتصدّر الفنون الدّينيّة في عُمان، حيث يقام في بعض الولايات ليلة الخميس من كلّ أسبوع[2]، ويقام فيما مضى حمداً لله تعالى على عودة السّفن التّجاريّة إلى أرض الوطن[3].

وعموماً الإنشاد الدّينيّ في عُمان اليوم تقدّم عن السّابق، وانفتح على غيره من الشّعوب الأخرى، ودخلت فيه المقامات الموسيقيّة، ويستخدم فيه أحياناً الدّفّ أو الطّبل، وأحياناً الموسيقى، وأصبح له مهرجاناته ورموزه كسائر الدّول الّتي تهتمّ بالإنشاد الدّينيّ.

وتقترب الرّزحة من الإنشاد الدّينيّ، وتقام عادة في المناسبات الدّينيّة والاجتماعيّة، ومعها بعض ضروب التّرفيه[4] والرّقص، وغناء النّساء دان دان[5]، وفنّ السّيف عند البدو[6]، والعازي الّذي يصاحب الرّزحة خاصة في

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء 18 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّانية وخمس وأربعين دقيقة ظهراً.

(1) مصطفى: يوسف شوقيّ، والشّيديّ: جمعة بن خميس؛ **الهوامة والتّوحّد في فنّ المالد: دراسة مقارنة في بعض ولايات الباطنة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة، مصدر سابق، ج1، ص154.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص149.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص149.

(4) مصطفى: يوسف شوقيّ، وهوك: كورين؛ **حصر وتصنيف فنون عُمان التّقليديّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة، مصدر سابق، ج3، ص10.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص11.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص11.

الحروب[1]، ومن الإنشاد الدّينيّ العُمانيّ القديم التّيمينة والتّسبيح للتّعبير عن الحبّ للخالق والرّسول والأماكن المقدّسة والكعبة خصوصاً[2].

وكما أسلفْنا أنّ سلاطين آل بوسعيد كان لهم اهتمامٌ كبير بالغناء والموسيقى، وهذا سعيد بن سلطان[3] (ت 1856م) كانت تتجمّع حوله عائلته عصراً على القهوة والعصير، مع حاكٍ كبير – أي صندوق لتشغيل أسطوانات الموسيقى- يدور ويرسل ألحاناً من الأسطوانات الّتي بداخله، وأحياناً تغنّي عندهم امرأة عربيّة اسمها عمرة[4].

ولما رأى السّيد برغش[5] (ت 1888م) لكلّ دولة من الدّول المتمدّنة مقامة خاصّة تعزف بها آلات موسيقيّة في المواسم والأعياد الرّسميّة إجلالاً للملك

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص15. (بتصرف).

(2) الشّيديّ: جمعة بن خميس؛ **أنماط المأثور الموسيقيّ العُمانيّ**: دراسة توثيقيّة وصفيّة، ط مركز عُمان للموسيقى التّقليديّة، وزارة الإعلام/ سلطنة عُمان، 1429 – 2008م، ص35.

(3) ولد في ولاية سمائل عام 1791م، وتولّى مقاليد الحكم عام 1806م، واتّخذ من زنجبار عاصمة له عام 1832م، وتعتبر فترة حكمه الفترة الذّهبيّة في التّأريخ العُمانيّ، وامتدّ نفوذه إلى شرقي أفريقيا وسواحل الخليج وفارس وجوادر، توفي سنة 1273هـ/ 1856م.

ينظر: البحرانيّ: عماد بن جاسم؛ **زنجبار بملامح عُمانيّة**، ط دار سؤال، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 2017م، ص35 – 36.

(4) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان**: إشكاليات ونصوص، مصدر سابق، ص26.

(5) برغش بن سعيد بن سلطان، ثالث سلاطين البوسعيد في زنجبار، والابن السّابع للسّيد سعيد بن سلطان، تولى الحكم سنة 1870م، وينسب إليه الفضل في بناء وتطوير البنية التّحتيّة لزنجبار، وتطوير شبكات المياه، والحمامات العموميّة، والشّرطة،

فحسن في عينيه أن يتّخذ مقامة خاصّة بدولته، ولمّا خرج إلى أوربا سمع مقامات دول عديدة، ولم يستحسن منها غير مقامة الدّولة البريطانيّة الّتي مطلعها: احفظ الملكة، فأصدر أمراً إلى قائد جيشه أن يجعل الموسيقى العسكريّة تعزف بهذه المقامة مرّتين في الأسبوع على باب قصره وفي جميع الأعياد والمواسم، والّذين يعزفون هم من جيشه من البورتكيز، وآلاتهم من أحسن الآلات وأتْقَنِها[1].

القضيّة المرتبطة بالغناء والمعازف قضيّة النّشيد الوطنيّ، حيث يرى وليد النّبهانيّ (معاصر) غياب توثيق المؤسّسات الرّسميّة لأهمّ قطعة موسيقيّة أي السّلام السّلطانيّ، حيث حدّد عدد كلماته عام 2004م[2].

بيد أنّه في عهد السّيد برغش بن سعيد (ت 1888م) تمّ إنشاء أول مقامة وطنيّة زنجباريّة:

فليحيى السّيدُ	عمرَ البيداء
مولانا الأمجدُ	قهرَ الأعداء
في كلّ زمانِ	بنصرٍ رنّانِ
فليحيى منصورا	طوّع العقوق

والحدائق والمستشفيات، وبنا بيت العجائب سنة 1837م، وأنشأ المطبعة السّلطانيّة لطباعة الكتب الدّينيّة والأدبيّة، وأغلق في عهد سوق الرّقيق، توفي سنة 1888م.

ينظر: البحرانيّ: عماد بن جاسم؛ **زنجبار بملامح عُمانيّة**، مصدر سابق، ص: 46 – 47.

(1) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان**: إشكاليات ونصوص، مصدر سابق، ص22–23.

(2) المصدر نفسه، ص20.

سـعيداً مـبرورا أعتـق الرّقيـق
بجـاه الـرّحمنِ جـاد بالإحسـانِ
طـوبى لزنجبـار مَلَـكَ الـبلاد
قـد عمّهـا الفخـار وسـاسَ العبـاد
مـن فـيض المنـانِ بعـدلٍ حقـاني
سـادها السّـيدُ فليهتـفِ الشّـعبُ
بـرغشُ الأمجـدُ احفظـه يـا ربُّ
بـالأمرِ الرّبـاني في كـلِّ أوانِ[1]

ولما زار السّلطان تيمور بن فيصل[2] (ت 1965م) الهند أعجب في بومباي بالفِرَق الموسيقيّة، فظهرتْ لديه فكرة في إنشاء فرقة موسيقيّة في مسقط، وفيها نظم أحد الشّيوخ قصيدة النّشيد الوطنيّ، ولحّنها قائد الفرقة الموسيقيّة، وبات النّشيد الوطني يُعزف في نهاية كلّ احتفال موسيقيّ[3].

(1) المصدر نفسه، ص24.

(2) تيمور بن فيصل بن تركي، صار في الحكم بعد وفاة والده، وفي عهده تم عقد اتفاقية السّيب بين السّلطنة والإمامة عام 1920م، وكان أديباً محبّاً للعلم، حافظاً للشّعر، عاشقاً للسّفر، تنازل عن الحكم لابنه سعيد بن تيمور عام 1350هـ.
ينظر: السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص195 – 198.

(3) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان: إشكاليات ونصوص**، مصدر سابق، ص25 – 26.

ولما التجأ الإمام غالب بن عليّ الهنائيّ (ت 2009م) إلى السّعوديّة بعد خروجه من عُمان وضع نشيداً وطنيّاً:

لقّني الخصمَ دروسًا يا ... مجدُكَ السّامي بهِ نفتخرُ
نحنُ أسدُ اللهِ في سوقِ ... عزمُنا كالنّارِ يشوي من طغى
عزمُنا والمجدُ أسمى ... عندنا والحرُّ لا يرضى
فليجرّب بأسَنا المستعمرُ
نحنُ فداكِ يا عُمان ... وارفعي الرّايةَ فوقَ الأنجمِ
نحنُ كالشّامةِ بينَ الأممِ ... سادةً نحيا على مرِّ الزّمان
ثورةٌ كبرى وعزمٌ أكبرُ
دمدمي يا نارُنا واندلعي ... واصعقي آذانَ منْ لم يسمعِ
ردّدي نزوى نداء المدفعِ ... واهتفي بالحقِّ في كلِّ مكان
فليَدمْ هذا الأشمُّ الأخضرُ
فليدمْ هذا الأشمُّ الأخضرُ[1]

وعموماً لم يكن في عُمان نشيد وطني موحّد في الغالب، وفي أحيان كثيرة لم تكن الفكرة حاضرة إلا لماماً، ولمّا رجع حمد بن سيف بن سالم البيمانيّ[2] (ت 1384هـ/ 1965م) من زنجبار سنة 1372هـ/ 1952م أسّس

(1) **النشيد الوطنيّ لإمامة عُمان قبل التّدخل البريطاني لحرب عُمان ولجوء الإمام للسّعوديّة**، سبلة عُمان، تأريخ الزّيارة: السّبت 21 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّالثة ظهرا.

(2) ولد في حارة الخضراء ببهلا عام 1341هـ/ 1923م، ورحل إلى زنجبار عام 1361هـ/ 1942م، كان محبّاً للقراءة ومطّلعاً على الثّقافات الأخرى، ومتابعاً

مدرسة شبه نظاميّة في محلّة الخضراء ببهلا جعل فيها للطّلاب والمدرسة نشيداً يُنشَد أشبه بالنّشيد الوطنيّ، وذلك عام 1964م، وممّا قال فيه:

أيا طالبَ العلمِ قمْ عاجلا ... لحمْلِ العلومِ ونيلِ الكرمْ
أتدري بما قالتِ الحُكَمُ ... بأنّ الجهالةَ تزولُ النّعمْ
فقم يا أخيّا وكن داعياً ... لطردِ العضالِ وخلِّ الوهمْ
وطردُ الجهالةِ علمٌ أتى ... كنورِ النّهارِ يزيلُ الظّلمْ
فقم يا أخيّا وكن واعياً ... لحملِ العلومِ ونحيي الرّممْ
فنحنُ شبابٌ لجيلٍ نشأ ... بعلمِ الثّقافةِ بين الأممْ
ونحنُ سنخدمُ هذا ... بجدِّ المواضي ومدِّ القلمْ
سنحمي البلادَ ونعدلُ بها ... بقسطاسِ ربي بما قدْ حكمْ
فخذْ من نصيحة ابنِ ... عُمانيّ قالَ وعي ما نظمْ[1]

ولمّا حكم السّلطان قابوس بن سعيد (معاصر) عُمان عام 1970م، أصبح النّشيد الوطنيّ لعُمان موحّداً:

للصّحافة وأحداث العالم، ورجع إلى عُمان من زنجبار عام 1372هـ/ 1952م أنشأ في بهلا أول مدرسة نظاميّة قسّمها إلى سبعة فصول، ودرّس فيها القرآن والتّربية الاجتماعيّة والأخلاقيّة والتّربويّة والتّعبير والخط والخطابة والإنشاد، وتوقفت بوفاته عام 1384هـ/ 1965.

ينظر: العدويّ: خميس بن راشد؛ **مطوية الشّيخ حمد بن سيف البيمانيّ**، إصدار مكتبة النّدوة ببهلا، سلطنة عُمان، لا تاريخ، ص1 – 5.

(1) البيمانيّ: حمد بن سيف بن سالم؛ درر المعاني من أسئلة البيمانيّ، لا طبع، لا تاريخ، ص57.

يـــا ربّنـــا احفـــظْ لنـــا جلالـــــةَ السّـــــلطانْ

بِالعزِّ وَالأمانْ

وليـــــــدمْ مؤيّـــــــدا عـــــاهلاً ممجّـــــدا

بالنّفوسِ يفتدى

يا عُمان نحنُ عهد النّبيّ أوفياء مـنْ كـرامِ العـربِ

أبْشـــري قـــابوسُ جـــاء فلتباركْـــــه السّـــــماء

واسْعَدي ولتَقيه بالدّعاء

إلا أنّه اختُلِف مَن وضع كلمات النّشيد فقيل محمود الخصيبيّ[1] (ت 1998م)، وعدّل الكلمات حفيظ الغسّانيّ مدير المدرسة السّعيديّة بصلالة خلال السّبعينات، وقيل الّذي وضعه أصلاً حفيظ الغساني[2] (ت 2015م)، وقيل الشّاعر المغربيّ علي الصّقليّ[3] (معاصر)، وقيل توفيق عزيز (معاصر)

(1) محمود بن محمّد الخصيبيّ، ولد عام 1927م في سمائل، تدرج في مختلف وظائف التّعليم بدولة الكويت، ثمّ عاد إلى السّلطنة، والتحق بالتّربية والتّعليم، ثمّ انتقل إلى وزارة الإعلام بسلطنة عُمان، من دواوينه: صوت النّاي، توفي سنة 1998م.

ينظر: موقع جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، تأريخ الزّيارة: السّبت 21 أكتوبر 2017م، السّاعة السّادسة مساء.

(2) مدير المدرسة السّعيديّة بمسقط ثمّ مسشار جلالة السّلطان قابوس للشّؤون الصّحفيّة.

الرّبيعيّ: عبد الرّزاق؛ **مقال من كتب السّلام السّلطانيّ؟**، نشر في مجلة أثير الالكترونيّة، الخميس 27 مارس 2014م.

(3) عليّ الصّقليّ الحسينيّ، من مواليد فاس سنة 1932م، أديب وأستاذ جامعيّ مغربيّ، درس بالقرويين ونال الإجازة في الأدب، تقلّب في عدة وظائف أدبيّة وإداريّة، شاعر معروف له إنتاج مهم، من بين أعماله: النّشيد الوطنيّ الرّسميّ المغربيّ، ودواوين شعريّة للأطفال.

المـدرّس بالمدرسـة السّـعيديّة، وقيـل أكثـر مـن شـخص وضـعه ولحّنـه بالاشتراك[1].

إلا أنّ الأستاذ توفيق بن محمّد جمال عزيز كتب مذكّرة في صفحتين بتأريخ 20 يناير 2009م، وذلك لحفظ حقّه، أثبت فيها أنّه صاغ النّشيد الوطنيّ العُمانيّ في شهر يناير 1971م بما يتطابق مع السّلام السّلطانيّ الّذي قام بتأليفه أحد الموسيقيّين الأوربّيين عام 1896م بمناسبة افتتاح قناة السّويس، ليتمّ عزْفه لسلطان عُمان آنذاك[2]، وكان نصّه:

يـا ربّ احفـظ لنـا بلادنـا عُمـان
والشّـعبُ في الأوطـان بـالعزِّ وَالإيمـان
ولتَـدمْ علـى المـدى موطنـاً مخلّـدا
بالنّفوسِ يُفتدى
يا عُمـان نحنُ مـن عهـد مخلصون من كرام العربِ
أبشـري نحـنُ الفـداء وبنـوكِ الأوفيـاء
فاسعدي ولتبارك السّماء[3]

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكيديا، تأريخ الزّيارة: السّبت 21 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّامنة والنّصف مساء.

(1) الرّبيعيّ: عبد الرّزاق؛ **مقال من كتب السّلام السّلطانيّ؟**، نشر في مجلة أثير الالكترونيّة، مصدر سابق.

(2) جمال عزيز: توفيق بن محمد؛ **مذكرة توثيق النّشيد السّلطانيّ العُمانيّ، توثيق الكلمات واللّحن الموسيقيّ**، بتاريخ 20 يناير 2009م، مرقون.

(3) المصدر نفسه.

وقد عُرض النّشيد على حمود بن حمد البوسعيديّ (معاصر) رئيس الدّيوان السّلطانيّ آنذاك، فاقترح عليه أن يتضمّن النّشيد اسم السّلطان قابوس (معاصر)[1]، كما هو معمول به الآن، فعدّله حسب ما هو عليه الآن، وأشرْنا إلى نصّه آنفًا.

بيد أنّ وليد النّبهانيّ (معاصر) يشكّك في صحّة رواية مقطوعة قناة السّويس؛ لأنّه قبل افتتاح قناة السّويس كانت ثورة عزان بن قيس[2] (ت 1287ه)، وقد أحكمت مسقط ونواحيها، وإثر ذلك فرّ سلطان مسقط سالم بن ثوينيّ[3] (ت 1876م) إلى بندر عباس، ولا يوجد دليل على مشاركته في افتتاح القناة[4].

وأمّا نشيد الحرس الوطني يا حيّ يا قيوم احفظ لنا عُمان فقد وضعه سعيد الصّقلاويّ[5] (معاصر)، ونصّه:

---

(1) المصدر نفسه.

(2) بويع بالإمامة سنة 1285هـ/ 1287م، واستطاع توحيد البلاد العُمانيّة، وإخراج الوهابيّة من البريمي، قتل سنة 1287هـ.

ينظر: السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص189-190.

(3) استولى على الحكم بعد وفاة أبيه ثويني بن سعيد سنة 1282هـ، وأهم ما حدث في عصر تألّب القبائل الهناويّة عليه، وعدم رضا السّلطان البريطانيّة ورجال الدّين عنه، توفي 1876م.

ينظر: السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، مصدر سابق، ص188.

(4) النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان**: إشكاليات ونصوص، مصدر سابق، ص21.

(5) الرّبيعيّ: عبد الرّزاق؛ **مقال من كتب السّلام السّلطانيّ؟**، نشر في مجلة أثير الالكترونيّة، مصدر سابق.

يـا حـيُّ يـا قيـومْ احفـظْ لنـا عُمـان
أبيـــــةً تـــــدومْ وبـــالعُلا تُـــزانْ
يظلُّهـــا الرّخـــاءْ منْ خيرِك العميمْ
فـلتسلمي عُمـان يـا حـرةَ المـرامْ
حصـونُكِ الأمـانْ راياتُـكِ السّـلامْ
عهـداً لـك الـولاءْ يا موطني الكريمْ
شـعارُنا المصـانْ على مدى الزّمـانْ
اللهُ والأوطـــــانْ والعـزُّ للسّـلطانْ
بعـــزّةِ الـــرّحمنْ وهديـــهِ القـــويمْ

عمومـاً الفـنّ الغنـائيّ تطـوّر في العهـد الجديـد، فكـان السّـلطان قـابوس (معاصر) بنفسه يدعم من البداية الفِرق الموسيقيّة، كالفرقة الشّرقيّة الخاصة[1]، ونشطت كثيراً مع بداية الإذاعة العُمانيّة 1971م، ومن ثمّ التّلفزيون العُمانيّ 1974م.

وقد ركّزت النّهضة المعاصرة في الغناء على الحفاظ على الفنون التّقليديّة، حيث شهد أربعون عالمـاً وخبيراً موسيقيّـاً في النّدوة الدّوليّة للموسيقى على

(1) لقـاء في الخليجيّـة مـع الفنـان سـالم بـن علـيّ في برنـامج وينـك للمـذيع محمّـد الخميسيّ.

جعل عُمان أول دولة عربيّة تتمتّع بعضويّة المجلس الدّوليّ للموسيقى التّقليديّة[1]، وانتقلت من المجال الفلكلوريّ إلى المجال السّيمفونيّ[2].

بجانب دعم المؤسّسات الخاصّة كان هناك جمعيّة هواة العود تتبع ديوان البلاط السّلطانيّ، وفرقة الأوركسترا السّيمفونيّة السّلطانيّة العُمانيّة والّتي تأسّست عام 1985م، ومركز عُمان للموسيقى التّقليديّة التّابع لوزارة الأعلام 1983م (ديوان البلاط السّلطانيّ، مركز السّلطان قابوس للثّقافة والعلوم حاليًا)، والموسيقى العسكريّة[3]، وغيرها الكثير، وأخيراً دار الأوبّرا السّلطانيّة.

وإذا جئنا إلى الآلات ففنون عُمان التّقليديّة في الجملة تعتمد بصفة أساسيّة على أداء الصّوت البشريّ للألحان، والقسط الأكبر لا يصحبه سوى قرع الطّبول، وأنماط تصحبه آلات زامرة محدودة النّوع والعدد[4]، وتُعتبر فصيلة الكاسر والرّحمانيّ في الطّبول فصيلة عُمانيّة أصيلة[5]، وأمّا آلة الرّبابة فدخلت مؤخّراً إلى المجتمع الموسيقيّ العُمانيّ[6].

---

(1) العفيفيّ: مجدي؛ **منظومة الثّقافة العُمانيّة في عصر النّهضة**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، ط 2006م، ص141.

(2) المصدر نفسه، ص141 – 142.

(3) المصدر نفسه، ص142 – 148.

(4) مصطفى: يوسف؛ **آلات موسيقى عُمان التّقليديّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة، مصدر سابق، ج1، ص67.

(5) الكثيريّ: مسلم بن أحمد؛ **الموسيقى العُمانيّة: مقاربة تعريفيّة وتحليليّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة، مصدر سابق، ج1، ص111.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص114.

وانتشر في المجتمع العُمانيّ كبقية دول الخليج العربيّ استعمال العود الشّرقيّ، وإن كان أسلوب العزف حافظَ على بعض خصوصيّاته كاستخدام الرّيشة، أو ما يسمّى باللّهجات العُمانيّة نقشَ وينقشُ العود أي يعزف عليه[1]، ويرى الباحثون أنّ آلة القبّوس -من آلات العود- أقدم وجوداً في عُمان من العود الشّرقيّ، إذ تعود إلى القرن الثّامن عشر الميلاديّ[2].

- **الغناء والمعازف في عصر النّهضة الأوربيّة**

عصر النّهضة في الأصل حركة ثقافيّة وُلدت وامتدّت من القرن الرّابع عشر إلى السّابع عشر ميلاديًا، ابتداء في إيطاليا في أواخر العصور الوسطى، ولاحقًا انتشر إلى باقي أوربا[3]، وتُعتبر جزءاً من العصر الحديث، وبعضهم يرى القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر امتداداً لعصر النّهضة.

وهذه الفترة ظهرت فيها فلسفات نقديّة، وحركات سياسيّة ومعرفيّة تحرّريّة، وبلا شكّ سيؤثّر على الجانب الفنيّ والغنائيّ، كذلك ظهور المسرح بقوة والأوبرا والصّحافة وبداية اكتشاف التّصوير والطّباعة، هذا بدوره سيؤثّر في رفع عجلة الكتابة والخبر والنّقد، كما إنّه سيَرِث تركة الحضارات السّابقة، ويطوّرها بشكل كبير، ويضع القاعدة لعصر جديد في القرن العشرين الّذي سيغيّر ملامح العالم كليّاً.

---

(1) قطاط: محمود؛ **آلة العود بين دقّة العلم وأسرار الفنّ**، ط وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، ط 2006م، ص161.

(2) المصدر نفسه، ص161.

(3) مقال **عصر النّهضة**، موقع المعرفة، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة صباحًا.

وكما رأينا سابقًا أنّ الحضارة الأوربيّة استفادت كثيراً من الحضارة العربيّة خصوصًا حضارة الأندلس، كما إنّها استفادت من الحضارات القديمة كالحضارة الإغريقيّة، ففي الميدان الموسيقيّ كانت أوربا لا تعرف سوى شذرات ضئيلة من النّظريّات الموسيقيّة الإغريقيّة، بينما توصّل العرب منذ القرن الثّامن الميلاديّ إلى عمل بحوث ودراسات فاقت النّظريات والدّراسات الموسيقيّة الإغريقيّة ذاتها، وقد ترجمت بحوث الفارابيّ (ت 339هـ) إلى اللّغة اللّاتينيّة، وأصبحت كتبه مراجع قيّمة للباحثين والدّارسين الأوربّيين فيما بعد[1].

وبنسبة كبيرة كان الغناء الأوربي خلال القرن الثّالث عشر ذا نكهة شرقيّة واضحة، وبعض الإيقاعات الّتي كانت تستخدم في أوربا في ذلك الوقت انحدرت من أصل مغربيّ، وثبتت نسبتها إلى أصول عربيّة[2]، فمثلاً إنّ طائفة التّروبادور –أي المغنّين الشّعبيين – في فرنسا اتّصلت بالثّقافات الشرقيّة، خصوصًا أثناء الحرب الصّليبيّة، كذلك أُتيحت فرصة للمُنشدين المتجوّلين التّابعين للبلاد العربيّة في أن يتجولوا في أوربا عارضين غناءهم التّقليديّ الّذي صادف هوى في نفوس كثير من الشّعوب الأوربيّة[3].

واستطاعت أوربا أن تطوّر الغناء الشّرقيّ فحوّلته من اللّحن المفرد المعبّر بذاته إلى التّمثيليات الغنائيّة (الأوبرا)، والتّمثيليات الدّينيّة (الأوراتوريو)،

(1) مقال: **الموسيقى في العصر الأندلسيّ**، موقع الحكواتيّ، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة السّابعة صباحًا.
(2) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.
(3) المرجع نفسه، والزّيارة نفسها.

والسّيمفونيا، والكونشرتوات، والرّباعيات الوتريّة، تشارك في أدائها أصوات آدميّة في شكل موحّد[1].

وكانت الموسيقى الكنسيّة في أوربا ذات سَيْر لحْنيّ مفرد، وبدأت موسيقى تعدّد الأصوات تتألّف في القرن التّاسع الميلاديّ[2]، كما ظهر الطّباق في نهاية القرن الرّابع عشر الميلاديّ، وهو سَيْر لحْنيّ متوازن في أصوات عدّة عموديّة مختلفة[3].

وفي القرن السّادس عشر الميلادي ظهر المسرح الغنائيّ (الأوبرا) في قصْر الكونت دي باردي في فلورنسا، حيث اجتمعت نخبة من الشّعراء والموسيقيّين الإيطاليّين لإيجاد نمط فنّي جديد ضدّ فنّ الطّباق، وأطلقوا على أنفسهم الرّفاق الفلورنسيون[4].

وبظهور الأوبرا ظهرت وتطوّرت الآلات الموسيقيّة مثل السّوناتا والسّمفونيّة والحواريّة (الكونشرتو) وبعض أشكال موسيقى الحجرة، كما إنّه تطوّرت الآلات الوتريّة ليتبوّأ البيانو عرشها[5].

ويُعتبر القرن التّاسع عشر عصر الإبداع، وفيه تمخّضت اتّجاهات موسيقيّة كثيرة غيّرت الموسيقى في العالم جميعًا إلى يومنا هذا، ومن أهمّ المنظّرين في

(1) فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان وحتى القرن التّاسع عشر**، مصدر سابق، ج2، ص12.

(2) عبد الوهاب: أحمد؛ **المهارات الموسيقيّة**، ط مركز الرّاية، القاهرة/ مصر، ط 2014م، ص16.

(3) المصدر نفسه، ص16.

(4) المصدر نفسه، ص17.

(5) المصدر نفسه، ص18.

هـذا العصـر فيـبر[1] (ت 1826م) وبتهـوفنّ[2] (ت 1827م) وشـوبرت[3] (ت 1828م) وشوبان[4] (ت 1849م)، وغيرهم كثير[1].

(1) كارل ماريا فون فيبر، مؤلف موسيقيّ ألمانيّ ومايسترو وعازف بيانو وعازف جيتار وناقد، ويعدّ أحد أهـم مؤلّفي الموسيقى الأوائل في المدرسة الرّومانسيّة، تـوفي سنة 1826م.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّامنة صباحـًا.

(2) لودفيغ فان بيتهوفن، كان ملحّنـًا وعازف بيانو ألماني، ومن الشّخصيّات البـارزة في الحقبـة الكلاسـيكيّة الّتي تسـبق الرّومانسـيّة؛ ويُعتَـبرُ مـن أعظـم عبـاقرة الموسـيقى في جميع، العصور وأكثرهم تأثيراً، وأبدَع أعمالاً موسيقيّة خالِدة، كما له الفضـل الأعظـم في تطـوير الموسـيقى الكلاسـيكيّة وتشـمل مؤلّفاتـه تسـع سـيمفونيّات، وخمـس مقطوعات على البيانو، وأخرى على الكمان، واثنتينِ وثلاثينَ سوناتا على البيـانو، وستّة عشر مقطوعة رباعيّة وتريّة، توفي سنة 1827م.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّامنة صباحـًا.

(3) فرانز بيتر شوبرت، مؤلّف موسيقيّ نمساويّ، رغم رحيله المبكر في سـن الحاديـة والثّلاثين؛ إلا أنّه قام بتأليف أكثر من ألف مقطوعة موسيقيّة، يعتبر الكثيـرون بعض أعماله من أفضل المقطوعات في تـاريخ الموسيقى، وتعرف مؤلّفاته لاحتوائها على ألحان مميزة، يعدّ من آخر موسيقيّي الفترة الكلاسيكيّة، ومن أوائل مـؤلّفي الموسيقى الرّومانسيّة، توفي سنة 1828م.

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّامنة والرّبع صباحـًا.

(4) فريديريك فرانسوا شوبان، مؤلّف ومُلحّن موسيقي في الفـترة الرّومانسـيّة، بولنـديّ الأصل، وُلِد فيما سُمّي لاحقـًا دوقيـة وارسـو وترعـرع في وارسـو، الّتي أصبحت بعـد 1815 جزءاً من مملكة بولندا، حيث أكمل هناك تعليمه الموسيقيّ، وألّـف العديـد مـن أعماله الموسيقيّة قبل مغادرته بولندا في العشرين من عمره، توفّي سنة 1849م.

وإذا جئنا إلى الجانب الفنّي بوجهه الأشمل نجد من الفلاسفة ممّن اهتم بهذا الجانب، من هؤلاء كانت[2] (ت 1804م) حيث يرى للفنون ثلاثة طرق: الّتي تستخدم الكلمات كالشّعر والخطابة، والّتي تستخدم الصّور التّشكيليّة كالعمارة والنّحت، والّتي تستخدم الأصوات كالموسيقى، وأضاف إلى هذه الأنواع نوعاً آخر سمّاه الفنون المركّبة، أي مؤلّفة من عدّة فنون: أدب، ضوء، تمثيل، إخراج، ديكور، رقص... إلخ، كفنون المسرح، والغناء، والأوبّرا، والرّقص[3].

ينظر: الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 25 أكتوبر 2017م، السّاعة الثّامنة والثّلث صباحاً.

(1) للمزيد ينظر: عبد الوهاب: أحمد؛ **المهارات الموسيقيّة**، مصدر سابق، ص18 – 20.

(2) إيمانويل كانْت فيلسوف ألماني، ومن ألْمع فلاسفة عصر التّنوير الأوربيّ، درس فلسفة ليبنينز وولفيان على يد مارتن نوتزن، كما درس اللّغة اللّاتينيّة والفلسفة والرّياضيات وعلوم الدّين والفيزياء والفلك، وحصل على الأستاذيّة في المنطقة والرّياضيات، توفي سنة 1804م.

ينظر: عليّ: سيد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، ط المعهد العالي للفكر الإسلاميّ، هرندن – فرجينيا/ الولايات المتحدة الأمريكيّة، الطّبعة الأولى، 1433هـ/ 2012م، ص96.

(3) عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، مصدر سابق، ص96.

ثمّ يأتي هيجل[1] (ت 1831م) حيث صنّف الفنون من الرّؤية الميتافيزيقيّة للفنّ، فالفنون عنده تندرج في ثلاثة مستويات: المستوى الرّمزيّ في فنّ العمارة، وفيه تطغى المادّة على الرّوح، ومستوى الفنون الكلاسيكيّة النّحت وفيه يتساوى مستوى المادّة والرّوح، ومستوى الفنون الرّومانتيكيّة المتمثّلة في التّصوير والموسيقى والشّعر، وفيه تسيطر الرّوح وتسود[2].

ثمّ يأتي شوبنهاور[3] (ت 1860م) حيث يصنّف الفنون تصنيفاً هرميّاً، فيرتّبها حسب ما تعبّر عنه من مُثل تكون نابعة من قوى الإرادة، فالمثُل الخاصّة بقوى الطّبيعة غير العضويّة هي أدنى درجات المثُل تعبيراً عن الإرادة، لهذا نجده يرى أنّ فنّ العمارة أدنى درجات الفنون؛ لأنّ المنفعة تتغلّب على الجانب الجماليّ، فيرتفع إلى فنّ النّحت وبعده التّصوير، ويعتبر الشّعر أعلى درجة من التّصوير؛ لأنّه يعبّر عن المثل بواسطة الخيال الّذي يجسّد التّصورات

(1) جورج هيجل أحد أهم الفلاسفة الألمان الّذين أسّسوا الفلسفة المثاليّة في أوائل القرن التّاسع عشر الميلاديّ، درس اللّاهوت والفلسفة والكلاسيكيات، كما درس التّأريخ، وفقه اللّغة الألمانيّة، توفي سنة 1831م.

ينظر: عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، مصدر سابق، ص97.

(2 عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، مصدر سابق، ص97.

(3) أرثر شوبنهاور فيلسوف ألمانيّ، من الّذين كرّسوا حياتهم للكتابة الأدبيّة وتذوّق الفنون، تأثّر بفلسفة أفلاطون وكانت، من كتبه الشّهيرة العالم كإرادة وفكر، ومن الفلاسفة الّذين نزّهوا الجمال عن المنفعة والأخلاق، توفي سنة 1860.

ينظر: عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، مصدر سابق، ص98 – 99.

عن طريق الكلمات، أمّا الفنّ الّذي له مكانة عُليا عنده فهو فنّ الموسيقى، فالموسيقى عنده كالأعداد والأشكال تكشف عن قانون الوجود، عن الفرح في ذاته، وعن الحزن في ذاته، والموسيقى عالم مستقلّ من عالم الظّواهر المحسوسة؛ لأنّها تجسّد قوانين الوجود، ولكنّها لا تحاكيه[1].

- **الغناء والمعازف في العصر الحديث والوطن العربيّ خصوصاً**

عندما نتحدّث عن العصر الحديث فإنّنا نقصد بها فترة ما بعد النّهضة الأوربيّة، وإن كانت هي أوسع تأريخاً كما أشرنا سابقاً، وعموماً في هذه الفترة تهيّأ للغناء ما لم يتهيّأ في العصور السّابقة مطلقاً، في جميع الجوانب، التّنظيريّة والتّطبيقيّة، ووصل إلى درجة كبيرة من الرّقيّ والتّنوع والتّداخل بين الشّعوب والأمم.

وممّا أثّر في الغناء ليصل إلى أكبر شريحة من النّاس اختراع الرّاديو عام 1896م، وفي الوطن العربيّ بدأت الإذاعة الصّوتيّة في مصر على أيدي الهواة عام 1925م[2]، وقبله كان اكتشاف التّلفزيون (المرناة) عام 1884م، ويعتبر تلفزيون العراق أول تلفزيون عربيّ بدأ إرساله التّلفزيونيّ الأول عام 1954م[3]، وما تبع ذلك من ظهور الأسطوانات الغنائيّة ثمّ الشّريط (الكاسيت) والفيديو

(1) للمزيد ينظر: عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، مصدر سابق، ص98 – 100.

(2) صفحة إعلام القاهرة على الفيس بوك، تأريخ الزّيارة: الاثنين 30 أكتوبر 2017، السّاعة الخامسة صباحاً.

(3) الموسوعة العالميّة ويكيبيديا، تأريخ الزّيارة: الاثنين 30 أكتوبر 2017، السّاعة الخامسة والرّبع صباحاً.

حتى ظهور الفضائيّات والشّبكة العالميّة وبرامج التّواصل الاجتماعيّ، هذا بدوره جعل المادة الغنائيّة متاحة للجميع، ولجميع الطّبقات في المجتمع.

وإذا كانت أوربا خصوصاً أخذت النّصيب الوافر في عصور النّهضة؛ إلا أنّ العصر الحديث كان عصر الإحياء في أغلب دول العالم، وبدأت الفنون القديمة ترجع من جديد لتتمازج مع الحديث كفنون دول شرق آسيا وتركيّا وإيران والفنون العربيّة والإفريقيّة عموماً والهنديّة وغيرها.

ويعتبر سيّد درويش[1] (ت 1923م) مؤسّس مدرسة القرن العشرين في الموسيقى العربيّة[2]، وواصل مسيرة أستاذه سلامة حجازي[3] (ت 1917م)[4]، وهؤلاء مهّدوا القاعدة لمن بعدهم، حتى جاء المنظّرون الأربعة محمّد القصبجيّ[5] (ت 1966م)، ومحمّد عبد الوهاب[1] (ت 1991م)، وزكريا

(1) سيّد بن درويش البحر النّجار، ملحّن، من كبار الموسيقيّين بمصر، ترك أثراً في نقل النّغم المصريّ من حال إلى حال، أحدث في الموسيقى العربيّة نغمة سمّاها الزّنجران، وهي خليط من الحجاز والجاركاه، ظهرت عبقريته في ألحان شهرزاد، والعشرة الطّيبة، وكليوباترا، توفي سنة 1923م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص146 – 147.

(2) سحاب: إلياس؛ **الموسيقى العربيّة في القرن العشرين**، موقع قناة الجزيرة، تأريخ الزّيارة: الاثنين 30 أكتوبر 2017، السّاعة السّادسة صباحاً.

(3) سلامة حجازيّ مؤسّس أول جوقة تمثيليّة في مصر، ومن كبار المغنّين، كان حسن الصّوت، توفي سنة 1917م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص 106 – 107.

(4) سحاب: إلياس؛ **الموسيقى العربيّة في القرن العشرين**، موقع قناة الجزيرة، تأريخ الزّيارة: الاثنين 30 أكتوبر 2017، السّاعة السّادسة صباحاً.

(5) ملحّن مصري كبير، لحّن لأمّ كلثوم وغيرها، توفي سنة 1966م.

أحمد[2] (ت 1961م)، ورياض السّنباطيّ[3] (ت 1981م) وأحدثوا نقلة كبيرة فن الفنّ الغنائيّ في العالم العربيّ، انطلاقًا من مصر، حتى أصبحت مركز الفنّ العربيّ، وقِبلة الرّاغبين في هذا المجال، ثمّ تأتي مرحلة محمّد الموجيّ[4] (ت 1995م)، وكمال الطّويل[5] (ت 2003م)، وبليغ حمديّ[6] (ت 1993م)، والسّيد مكاويّ[7] (ت 1977)، وغيرهم[8].

---

(1) من أشهر الموسيقاريّين المصريين وفي الوطن العربيّ في القرن العشرين، لقّب بموسيقار الأجيال، توفي سنة 1991م.

(2) موسيقار وملحّن مصريّ، بدأ من الموشحات إلى تلحين المسرحيات الغنائيّة، لحّن لفرقة علي الكسّار، ومنيرة المهديّة، ونجيب الرّيحانيّ، وغيرهم، توفي سنة 1961م.

(3) رياض محمّد السّنباطيّ، موسيقار وملحّن مصريّ، أحد أبرز الموسيقيين العرب، والمتفرّد بتلحين القصيدة العربيّة.بلغ عدد مؤلّفاته الغنائيّة 539 عملاً، وبلغ عدد مؤلّفاته الموسيقيّة 38 قطعة، وبلغ عدد شعراء الأغنية الذين لحّن لهم 120 شاعراً، توفي سنة 1981م.

ينظر: الموسوعة العالمية ويكيبديا، تأريخ الزّيارة: الأربعاء: 12 يونيو 2019م، السّاعة الخامسة والنّصف عصراً.

(4) من الشّباب المجدّدين في الأغنية المصريّة، لحّن لكبار الفنانين، وعلى رأسهم عبد الحليم حافظ، وأمّ كلثوم، وفايزة أحمد، وشادية، توفي سنة 1995م.

(5) ملحّن ومؤلّف موسيقيّ مصريّ كبير، آخِر مَن لحّن لأمّ كلثوم، ولحّن لعبد الحليم حافظ، وغيرهم، توفي سنة 2003م.

(6) أشهر الملحّنين الشّباب، لحّن وألّف العديد من الأبواب الغنائيّة، اشتهر تلحينه لأغنية مولاي للنّقشبنديّ، ولحّن لعبد الحليم حافظ، وأمّ كلثوم، ونجاة الصّغيرة، ووردة الجزائريّة، وشادية، وغيرهم، توفي سنة 1993م.

(7) شيخ الملحّنين، لحن للإذاعة المصريّة، وللعديد من الفنانين، توفي سنة 1977م.

(8) سحاب: إلياس؛ **الموسيقى العربيّة في القرن العشرين**، موقع قناة الجزيرة، تأريخ الزّيارة: الاثنين 30 أكتوبر 2017، السّاعة السّادسة صباحًا.

ومرحلة منتصف السّبعينيّات يراها إلياس سحاب (معاصر) مرحلة انتهاء الفنّ الكلاسيكيّ وبداية الفنّ الاستهلاكيّ[1]، الّذي سيرجع بالفنّ الغنائيّ إلى الخلف، في حين يسمّيه آخرون بالفنّ الشّبابيّ، وما تبِعه من ظهور الفيديو كليب الّذي أثّر في الأغنيّة الشّبابيّة، ودخول سفراء دول عربيّة ابتداء من لبنان في الخمسينيّات تُنافس مصر، وأحيانًا تتفوّق عليها، وهذا لا ينكر تراجع الفنّ الغنائيّ في بعض جوانبه عندما أصبح من يمتهنه للمال والجذب لا للفنّ، وهذا أثّر كما يراه وديع الصّافيّ (ت 2013م) حتى في تراجع اللّحن العربيّ واستقلاله مقابل الغزو الغربيّ وتأثيره على الجيل الجديد[2].

عمومًا ظهرت أصوات راقية وكبيرة فنيًّا وغنائيًّا في هذه الفترة وإلى يومنا هذا[3]، كأمّ كلثوم (ت 1975م) وعبد الحليم حافظ (ت 1977م) وفريد الأطرش (ت 1974م)، وناظم الغزاليّ (ت 1963م) ونجاة الصّغيرة (معاصرة) وفيروز (معاصرة) وغيرهم كثير، وأثّر ذلك على الأناشيد الدّينيّة، كما عند سيد محمّد النّقشبنديّ (ت 1976م)، بل أثّرت المقامات الموسيقيّة على الأذان والأدعيّة وتلاوة القرآن الكريم كما عند عبد الباسط عبد الصّمد (ت 1988م).

وظهرت الفنون الغنائيّة كالمسرحيّات الغنائيّة، والأفلام الغنائيّة، والسّيمفونيات والأوبّرا، ومراكز التّعليم الغنائيّ، ونشطت الكتابات الفنيّة والموسيقيّة.

---

(1) المرجع والزّيارة نفسها.

(2) لقاء مع وديع الصّافي ونجاح سلام مع القناة الأردنيّة، أجرت اللّقاء ليلى رستم بتأريخ 1966م.

(3) ما يأتي من رموز غنائيّة لا تحتاج إلى ترجمة لشهرتها وظهورها.

وأمّا من حيث الفنون فقد ظهر في القرن العشرين آلان كارتيبه (ت 1951م)، وله كتاب منظومة الفنون الجميلة، وفيه صنّف الفنون إلى صنفين: صنْف الفنون الجميلة مثل فنون الموسيقى، والغناء، والمسرح، والمرقص، حيث يقوم بها مجموعة من الفنّانين مجتمعين[1]؛ وصنّف الفنون الفرديّة، وهي الّتي يقوم بها الفنّان بمفرده، مثل الرّسم، والنّحت، والتّصوير[2]، وبينهما نوعان من الفنون: فنّ ينتقل من الفرد إلى الجماعة كفنّ الشّعر والبلاغة، وفنّ ينتقل من الجماعة إلى الفرد كفنّ العمارة[3].

وأمّا إيتيان سوريو (ت؟) فقد صنّف الفنون على الكيفيّات الحسّيّة الغالبة، فعدّ اللّون الصّفة الغالبة في فنّ التّصوير، والبروز في النّحت، والحركة في الرّقص، والصّوت في الموسيقى[4]، وحصر الفنون في سبع كيفيّات أساسيّة: الخطوط، والأحجام، والألوان، والإضاءة، والحركات، والأصوات المفسّرة للّغة، والأصوات الموسيقيّة الخالصة[5].

ومن العرب كان غازي الخالديّ (ت 2006م)، وصنّف الفنون على أساس المهمّة الأصليّة للفنون، وارتباطها بالإنسان، فوضعها في مجموعات: الفنون التّشكيليّة الّتي تهدف إلى صناعة الشّكل مجسّمًا أو مسطّحًا، والتّطبيقيّة الّتي

(1) عليّ: سيّد أحمد بخيت؛ تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة، مصدر سابق، ص100 – 101.

(2) المصدر نفسه، ص101.

(3) المصدر نفسه، ص101.

(4) المصدر نفسه، ص102.

(5) المصدر نفسه، ص102.

تنفّذ باليد وتعتمد على التّصميم، والحركيّة الّتي تعتمد على الحركة كالتّمثيل والرّقص، والسّمعيّة كالموسيقى والغناء، والجامعة كالسّينما والتّلفزيون والفيديو[1].

لهذا ندرك التّطوّر العجيب للفنون والموسيقى والغناء عموماً، والّذي سيؤثّر على النّظرة البشريّة والاجتماعيّة له، والإسقاط الفلسفيّ والجماليّ.

- **الغناء والمعازف وفلسفة الجمال**

بعد الحديث عن الجانب التّأريخيّ والّذي تحدّثنا عنه سلفاً (من العصور القديمة وحتى العصر الحديث) لابدّ من التّطرّق إلى الجانب الفلسفيّ والاجتماعيّ من خلال تحليل ما أشرْنا إليه تأريخيّاً، ليعطي مقدّمة واسعة للنّظرة الفقهيّة، وسبب الخلاف الكبير فيها.

ومن البديهيّ أنّ من فلسفة الوجود الجمال، سواء كان الجمال منظوراً أمْ مسموعاً أم ملموساً أم متذوّقاً، فهو جزء من صيرورة الإنسان في الكون، فهو يتمتّع بالمناظر الّتي خلقها الله تعالى في الوجود، يقول سبحانه: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾[2].

لذا نجد الإنسان منذ القِدم تُصيبه دهشة جمال الكون، فطالما تمتّع بجمال السّماء والنّجوم، وشدّ رحاله في السّهول والسّواحل والجبال والغابات، حتى

(1) المصدر نفسه، ص106 – 107.
(2) النّحل (5–6).

أصبحت السّياحة اليوم فنّـًا جماليّـًا يتسابق فيه العالم، ليتعرّف الإنسان ويكتشف أكثر جمال الطّبيعة.

كذلك تَمتّـعَ الإنسان بجمال الصّوت، فهو يتمتّع بصوت العصافير، وصوت حنجرة الإنسان الطّبيعيّة، واعتبر بعض المفسّرين قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]، أي الصّوت الحسن في قوله: ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[2].

وأمّا الملموس والمتذوَّق فهو يلمس جماليات ما حوله يتمتّع بهم كملاعبته لأطفاله، وتذوّقه لكلّ ما هو طيّب من الطّعام والشّراب.

وعلم الجمال ينتمي إلى علوم الفلسفة، وهو أحدث فرع فيها، ويسمّى الإستاطيقا Aesthetics، حيث يرجع هذا العلم إلى نهاية القرن الثّامن الميلاديّ عند الفلاسفة الإغريق[3].

وترى أميرة حلمي مطر (معاصرة) أنّ الجمال والفنّ نشأ مع وجود الإنسان، إلا أنّه كعلم فلسفيّ نشأ مع نشأة فلاسفة علماء اليونان القدماء[1].

---

(1) فاطر (1).

(2) ينظر مثلاً: السّيوطيّ: جلال الدّين عبد الرّحمن بن كمال الدّين؛ **الدّر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط دار الفكر لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، ج 7، ص4، وقد ذكره عن ابن عباس، وأبي هريرة، وينظر أيضـًا: القرطبيّ: محمد بن أحمد بن أبي بكر؛ **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر لبنان/ بيروت، ج 14، ص320، وذكره عن ابن جريج.

(3) موقع فيدو على الشّبكة العالميّة، الرابط:

http://www.feedo.net/QualityOfLife/QualityOfLifeBasics/Aesthetics.htm الزّيارة: 28 شعبان 1437هـ 6 مايو 2016م، وقت الزّيارة: السّاعة الخامسة مساء (بتصرف).

وفي الحقيقة إنّ ربْط نشأة الفلسفة ومن ثمّ فلسفة الجمال بعلماء الإغريق فيه وجهة نظر؛ لأنّ الفلسفة وُجدت قبل اليونان، ومنها الفلسفة المصريّة القبطيّة أو ما سمّيت لاحقًا بالفرعونيّة، والفلسفة الكلدانيّة، ولكن لعلماء الإغريق فضْل التّقعيد والتّجميع والتّكوين والتّطوير، وعلماء المسلمين وفلاسفتهم فضْل حفظ الفلسفة الإغريقيّة وترجمتها وتطويرها.

وكما أسلفنا الجمال في الإنسان وعشقه له فطريّ غريزيّ، لذلك حاول البحث عنه وفهْمه ومن ثمّ تقليده، أمّا تقليده فلَه صور عديدة من ذلك جمال اللّباس، ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[2]، واللّباس تقليد للِباس الطّبيعة، وحاول الإنسان تطويره في أشكاله ورسوماته، وتعدُّد اللّباس في ذاته فنّ إنسانيّ بديع.

كذلك قلّد جمال الطّبيعة في صنع بيته والتّفنّن فيه، ممّا أعطى للهندسة المعماريّة ذوقًا جماليًّا وفنيًّا.

وحاول أيضًا تقليد أصوات الطّبيعة في صنع الآلات والألحان، وابتكار المقامات والقواعد الموسيقيّة، بجانب الإبداع الشّعريّ وقواعده، والفنون الشّعبيّة.

وفي المقابل كان التّصوير والنّقش والرّسومات الفنيّة، واليوم الإبداع الرّسميّ عن طريق الفوتوشوب والرّسومات الإلكترونيّة.

---

(1) مطر: أميرة حلمي؛ **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للنشر والتوزيع، مصر/ القاهرة، ط 1998م، ص11.

(2) الأعراف (31).

وجاءت الأديان السّماوية لإضافة بعْد جماليّ روحيّ ليتكامل الجمالان الروحيّ والبدنيّ، ولقد حاول يوسف القرضاويّ (معاصر) في كتابه الإسلام والفنّ أن يجمع بين الجمالين: جمال العقل بالمعرفة، وجمال البدن بالرّياضة، ضاربًا العديد من النّماذج، منطلقًا من جماليّة الكون وجمال القرآن.

واختلف الفلاسفة والمؤرّخون في العلاقة بين الفنّ والجمال من حيث الذّاتيّة والأسبقيّة، إلا أنّهم اتّفقوا أنّ العلاقة بينهما علاقة مطابقة.

فبعضهم يرى أنّ الجمال هو جانب فلسفيّ تنظيريّ ظهر لاحقًا، والفنّ هو طبيعة إنسانيّة سابقة له، تجسّد الثّاني في أشكال فنيّة تولّد منها فلسفة الجمال.

وبعضهم يرى أنّ الجمال طبيعة ذاتيّة وجدت مع الإنسان، ثمّ تشكّل إلى جوانب فنيّة متنوّعة.

وعلى العموم في نظري إنّ الجمال هو الطبيعة البشريّة الّتي وُجدت في أصل الكون، ثمّ عشقها الإنسان لفِطرة بشريّة فيه من خلال علاقته مع نفسه ومع الكون، فأسقط هذا الجمال في أشكال فنيّة متعدّدة، ومع تنوّع هذه الأشكال وجدت فلسفة الجمال.

فالجمال كأصل بسيط سابق للفنّ، والفنّ نتيجة طبيعيّة له، ووسيلة في إسقاطه وتقريبه، أمّا الجمال كفلسفة وعلم فهو متأخّر عن الفنّ.

والعلاقة بين الغناء والمعازف من حيث قيمة الجمال، أنّ الأوّل صورة من صور تقليد الطّبيعة ومحاكاتها في جمال الصّوت، والمقامات الموسيقيّة لها أوازن كالعروض في الشّعر الفصيح، والمنطق في الخطاب والجدال، والنّحو في القراءة والكتابة، والصّرف في الحديث والخطبة، لهذا لا يمكن تحليل الجانب التّأريخيّ بعيداً عن هذه الفلسفة الجماليّة.

الجمال في المنظور القرآنيّ

ينظر بعضهم إلى فلسفة الجمال في المنظور الفقهيّ الإسلاميّ بحساسيّة مبالغ فيها؛ لأنّه يتصوّر الجمال عريـًا وسفوراً وبُعْداً عن تعاليم السّماء، لذلك كانت النّظرة الفقهيّة خصوصـًا وما ينتج عنها من أبعاد اجتماعيّة أقرب إلى السّلبيّة في الكثير من الوسائل الجماليّة، بجانب قلّة الأبحاث الفقهيّة في الجمال كنظرة فلسفيّة، فمع تطوّر الفنّ فيما يخصّ الغناء والموسيقى في المجتمع العبّاسيّ إلا أنّه في المقابل اشتهر القول بالتّحريم بدافع الزّهد والورع، ولأنّ الغناء والمعازف كانا مصاحبَيْن غالبـًا لمجالس الأُنْس وشرْب الخمر، وشاعت الحرمة بين النّاس وتناقلوها[1].

لهذا حاول العديد من المعاصرين تغيير الصّورة النّمطيّة في النّظرة الفقهيّة للجمال في الإسلام، ومن هؤلاء محمّد عمارة (معاصر) في كتابه الإسلام والفنون الجميلة، وبيّن فيه أنّ الإسلام في أصله دين جمال، وجاء لتمكين هذا الجمال والحفاظ عليه وضبْطه بما يتوافق وفطرة الإنسان.

فهو يذكر في الفصل الأول من كتابه أنّ هناك ممّن يجعل خصومة بين الإسلام والجمال، ويظهر ذلك من خلال السّلوك المتجهّم إزاء آيات الجمال والفنون والإبداعات الجماليّة في هذه الحياة[2].

---

(1) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص46، الاقتباس من مقدّمة المحقّق بتصرّف.

(2) عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، الطّبعة الأولى، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة، 1411هـ/ 1991م، ص13.

وعليه حاول نقض الصّورة السّلبيّة من داخل النّص الدّينيّ الإسلاميّ ذاته، فالآيات القرآنيّة تنطلق بالإنسان بداية إلى جمال الكون، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والإنسان أُمر بالنّظر في هذه الآيات الكونيّة والتّمتع جماليًّا بها[2].

وبيّن عمارة أنّ الله تعالى استخدم في بعض الآيات حتى عبارات الجمال نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[3]، فلفظة الزّينة هي لفظة جمال[4].

والقرآن الكريم أمَر المسلم بالتّزيّن والجمال، وفي الوقت نفسه أنكر فيمن شدّد وحرّم ذلك على نفسه، أمّا الأول فيظهر من خلال قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[5]، وأتبعها مباشرة بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

(1) الأنعام (99).

(2) عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، مصدر سابق، ص18 بتصرف.

(3) الحجر (16).

(4) عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، مصدر سابق، ص18.

(5) الأعراف (31).

وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ثمّ عرّج عمارة إلى نماذج عمليّة للجمال النّبويّ كمثل تسريحه – صلّى الله عليه وسلّم – لشعره، وتزيّنه وتعطّره، وظهوره الجماليّ في اللّباس وحسن هيئته، واختياره لأصحابه الاسم الحسن، وكان يحبّ الجميل من الطّعام، بلا تقتير ولا إسراف، وحبّه للصّوت الحسن، وتحبّبه إلى خدمه وحسن معشره، وعدم إنكاره على النّاس في لَهْوهم في أعيادهم، أي ما يسمّى اليوم بالفنون الشّعبيّة[2].

عمومـًا يصعب في هذه العجالة ذكر العديد من الأمثلة إلا أنّه يمكن تلخيص ذلك أنّ فلسفة الجمال كامنة في القرآن حتى في نسَقه الجماليّ، ومقاماته الموسيقيّة، وآياته الجماليّة في الرّوح وعلم الاجتماع والاقتصاد والقِيم الكبرى الّتي تجلّى فيها.

وقد جمع القرآن بين الجَمالَين المادّيّ والقلبيّ، فكما إنّ هناك جمال المادّة المتمثّلة في الصّورة الحسنة؛ هناك جمال الرّوح والقلب المتمثّل في التّواضع والتّسامح والتّعارف والحبّ للإنسان وعدم الكبر والظّلم، مع العدل والقسط، حتى مع المخالف، يقول سبحانه: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي**

(1) الأعراف (32).

(2) للمزيد ينظر: عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، مصدر سابق، ص22 وما بعدها.

الـدِّينِ وَلَـمْ يُخْرِجُـوكُمْ مِـنْ دِيَـارِكُمْ أَنْ تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَـيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1]، والبرّ والقسط أعلى درجات الجمال الاجتماعيّ.

والقرآن يؤكّد على ذلك مع النّاس جميعًا في صورة جماليّة لا تقتصر عند جماليّة حسن الاصطفاف في المسجد، وفنيّة النّقوش، وعمارة البيوت والصّوامع؛ بل ينطلق إلى جماليّة الفنّ الاجتماعيّ مع جميع شرائح المجتمع، كما يتجسّد من قوله تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[2].

ويرى عفيف البهنسيّ (معاصر) أنّ الجمال في المنظور الإسلاميّ ثلاثة: الحريّة والإبداع، والبحث عن المثُل والقِيم، والتّساميّ والإطلاق[3].

فالجمال صورة فلسفيّة ذات أبعاد تصوريّة ومجتمعيّة، إلا أنّه سيحدث تراجعٌ لأسباب عديدة ستتّضح لاحقًا عند دراسة الجانب الفقهيّ والرّوائيّ، ولهذا تولّدت بعض النّظريات الإسلاميّة المعاصرة والمتجدّدة في النّظرة إلى الغناء والمعازف.

---

(1) الممتحنة (8).

(2) البقرة (177).

(3) البهنسيّ: عفيف؛ **الجماليّة الإسلاميّة في الفنّ الحديث**، ط دار الكتاب العربيّ، دمشق/ القاهرة، الطّبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م، ص8.

- **رؤية أبي حامد الغزاليّ في الغناء والمعازف**[1]

أبو حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ (ت 505هـ) فيلسوف ومتصوّف، له مائتي مصنّفًا، أصله من طوس بخُراسان، وسمّي بالغزاليّ نسبة إلى صناعة الغزل، رحل إلى نيسابور ثمّ إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشّام فمصر، ثمّ عاد إلى بلده[2].

والغزاليّ شافعيّ المذهب، عاش في عهد الدّويلات الّتي قامت نتيجة ضعف الدّولة العباسيّة، ولمكانته العلميّة والفلسفيّة ولّاه نظام الملك[3] (ت 485هـ) التّدريس في مدرسته ببغداد.

وفي عصره كثُر الجدل حول الغناء والمعازف لسببين: الأول صناعة الرّوايات المحذّرة من الغناء والمعازف، بجانب روايات الزّهّاد والقصّاصين

(1) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: الغزاليّ: أبو حامد محمّد؛ **إحياء علوم الدّين**، ط دار الفكر، بيروت لبنان، الطّبعة الثّالثة، 1418هـ/ 1997م، كتاب السّماع، ج5، ص103 وما بعدها؛ وينظر: الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، ط دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، ج7، ص556 وما بعدها.

(2) الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص22.

(3) قوام الدّين أبو عليّ الحسين بن عليّ الطّوسيّ الملقّب بخواجة بزك أي نظام الملك، من مواليد طوس في بلاد فارس، أو ما يسمّى حاليّـًا إيران، أحد أشهر وزراء السّلاجقة، كان وزيراً لألب أرسلان وابنه ملكشاه، لم يكن وزيرًا لامعًا وسياسيًّا ماهرًا فحسب؛ بل كان داعيًا للعلم والأدب محبًّا لهما؛ أنشأ المدارس المعروفة باسمه «المدارس النّظاميّة»، وأجرى لها الرّواتب، وجذب إليها كبار الفقهاء والمحدِّثين، وفي مقدِّمتهم أبو حامد الغزاليّ، اغتاله الإسماعيليون عام 1092م.

ينظر: **الموسوعة العالميّة ويكيبيديا**، تأريخ الزّيارة: الخميس 9 نوفمبر 2017م، السّاعة التّاسعة والنّصف صباحًا.

والوعّاظ، وفي المقابل رؤية الفلاسفة الّتي تنظر إلى المعازف والغناء كفنون علميّة لا علاقة لها بالحلّ والحرمة.

لهذا سيكون هنا فريقان: فريق ينظر إلى الغناء والمعازف بنظرة سلبيّة كبيرة، فمنهم من مال إلى تحريم الاثنين مطلقًا، ومنهم من رخص في بعض الآلات، ومنهم من رخص في الغناء دون المعازف[1]، وفريق يرى أنّها تدور وفق العلّة، فإن استُخدمت في خير فخير، وإن استُخدمت في شرّ فشَرّ.

وبما إنّ أبا حامد الغزاليّ فقيه وفيلسوف في الوقت نفسه؛ لهذا ستكون له رؤيته الخاصّة، فهو يرى أنّ الغناء أساسه صوت طيّب، مفهوم المعنى، والطّيب ينقسم إلى موزون وغير موزون، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وغير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات.

وهو يربط بين حواسّ الإنسان ومظاهر الطّبيعة، حيث يجد علاقة كبيرة بينهما، ممّا يحدث لذّة في حواسّ الإنسان، فالبصر لذّته النّظر إلى المبصرَات الجميلة كالخضرة، والشّمّ لذّته الرّوائح الطّيبة، واللّمس لذّته مسّ النّاعم، والعقل لذّته العلم والمعرفة، وهكذا السّمع لذّته الصّوت الحسن من جماد وإنسان.

وعليه ما من شيء صنعه الإنسان إلا وله أصل في الخلْقة، وأصل المعازف حناجر الحيوانات، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرَّم لكونها طيّبة أو موزونة، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب والطّيور، لهذا ينبغي أن يُقاس

(1) سيأتي تفصيل هذه الأقوال ومناقشة أدلتها في مباحث مستقلّة.

على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الإنسان كالقضيب والطّبل والدّفّ وغيرها من الآلات.

ومع هذه القاعدة الفلسفيّة العميقة، إلّا إنّ الغزاليّ كفقيه وقع أمام نصوص روائيّة[1] محرّمة لبعض الآلات كالأوتار والمعازف، لهذا قام باستقراء هذه الرّوايات حسب المنطلق العقليّ الفلسفيّ، وخلص أنّها ليست محرّمة لذاتها؛ بل لما اقترنت به من أمور ثلاثة:

- أنّها تدعو إلى شرْب الخمر.
- تذكّر مجالس الأنس بالشّرب.
- الاجتماع عليها غالبًا من عادة أهل الفسق.

ولهذا يرى أنّه لو استخدمت هذه الآلات في مجتمع، وكانت صفاته معاكسة؛ لكان الحكْم آخر؛ لأنّها لم تحرَّم من حيث كونها كأصوات؛ وإنّما لعوارض أخرى.

وهذا يذكّرنا بما قاله السّالميّ (ت 1332هـ) عن القهوة، فهي لمّا دخلت عُمان حرّمت لأسباب قريبة من تحريم المعازف، ولو كانت القهوة موجودة في القرون الأولى لوُضعت روايات في التّحذير منها، يقول في الجوهر:

وَقهوةُ البنِّ الّتي تُستعملُ ... فيها خلافُ العلماءِ يُنقَلُ

قدْ وردَ التّحريمُ في الآثارِ ... في ذاكَ عنْ ساداتِنا

وَلهمْ في ذاكَ اعتبارُ ... تلوحُ في غرّتِهِ الأنوارُ

وَذاكَ أنّ السّفهاءَ جعلوا ... ذلكَ عادةً عليها عوّلوا

(1) سيأتي مناقشة بعضها في بحث مستقل.

فَاستعملوها في مقامِ اللّهوِ ... مكانَ خمرِهمْ بِهذا النّحوِ
يُدارُ كأسُها كَكأسِ الخمرِ ... وسميّت باسمِها في الذّكرِ
كَقهوةٍ وَخمرةٍ وَكأسِ ... في هيئةٍ سائغةٍ لِلحاسي
تشبّهاً منهمْ بِشربِ ... وَهيَ أمورٌ منعُها لمْ يُنكِرِ
نفسُ التّشبّهِ الحرامِ لا ... فَذا هوَ المانعُ لا نفسُ
للهِ ما أطولَ ذاكَ النّظرا ... في قطعِ مادّةِ الفسادِ إنْ
وبعدَ أن طالَ الزّمانُ ... مرادُ ما عناه من قدْ سلفا
قامَ أناسٌ ما دروا بالأصلِ ... يستبعدونَ قولَ غيرِ
وذاكَ حيث اندرسَ ... وصارَ وجهُ الحلِّ فيها

وبعدما تحدّث الغزاليّ عن الآلات تابع الحديث عن الغناء بعيداً عن الآلات، فيرى أنّ الغناء الخارج من حنجرة الإنسان ما هو إلا ترتيل الأشعار، فهو بين الحلال والحرام، فإن كان فيه محظور نثراً ونظماً حُرّم النّطق به، سواء كان النّطق بلحن أو بغير لحن، فكما إنّ إنشاده حلال؛ فتَلْحينه حلال، حيث إنّ حلاله حلال، وحرامه حرام.

ثمّ بيّن أنّ النّغمات الموزونة لها تأثير في الأرواح، فمن الأصوات ما يُفرح، ومنها ما يُحزن، وهذا لا يقتصر على الشّعر؛ بل يعمّ الأوتار وغيرها، فإذا كان الجَمل مع بلادة طبعه يتأثّر بالحداء، فما بالك بالإنسان العاقل الحيّ؟!!

(1) السّالمي: نور الدّين؛ **جوهر النّظام في علمي الأديان والأحكام**، مصدر سابق، ج 2، ص238.

وبعد هذا استشهد الغزاليّ بالأغراض الّتي يكثر فيها التّرنّم، ولها تأثير في القلب، وهي سبعة مواضع:

- غناء الحجيج، وهم يدورون في البلاد بالطّبل والشّاهين والغناء، وهذا مُباح؛ لأنّها نُظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وسائر المشاهد، فإذا كان الحجّ قربة، والشّوق إليه محموداً؛ كان التّشويق إليه بكلّ ما يشوق محموداً، وإذا أُضيف إليه الطّبل والشّاهين زاد التّأثير، وكلّ ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار الّتي هي من شِعار الأشرار.
- ما يعتاده الغزاة لتحريض النّاس على الغزو، وهذا مُباح أيضاً.
- الرّجزيات الّتي يستعملها الشّجعان وقت اللّقاء، والغرض منها التّشجيع للنّفس والأنصار، وتحريك النّشاط فيهم للقتال، وهذا أيضاً مباح.
- أصوات النّياحة ونغماتها، وتأثيرها في تهييج الأحزان والبكاء، وهذا منه محمود ومذموم، أمّا الحزن المذموم فكالحزن على ما فات، أو الحزن على الأموات، وأمّا المحمود فكحزن الإنسان على تقصيره في أمْر دينه، وبكائه على خطاياه.
- السّماع في أوقات السّرور تأكيداً للسّرور، وتهييجاً له، كالغناء في يوم عرس، أو يوم عيد، وهذا مُباح أيضاً.
- سماع العشاق تحريكاً للشّوق، وتهييجاً للعشق، وتسلية للنّفس، وهذا مُباح إذا كان المشتاق إليه ممّا يباح وصاله، كمن يعشق زوجته، أو

سريّته، فيصغي إلى غنائها، لتضاعف لذّته في بقائها، أمّا إن كان العشق يؤدّي إلى الوقوع في المحظور؛ يصبح الغناء في هذه الحالة حراماً.

- سماع من أحبّ الله وعشقه، واشتاق إلى لقائه، فهذا مُباح أيضاً.

ولمّا فرغ من بيان عوارض الإباحة انتقل إلى بيان عوارض التّحريم، وذكر خمسة منها:

- أن يكون المَسمع امرأة لا يحلّ النّظر إليها[1]؛ لأنّ الخلوة بالأجنبيّة حرام، والنّظر إليها حرام، ولأنّه طريق الفتنة، ويدخل في هذا الأمر إذا خيفت الفتنة، وإلا الأصل في النّظر إليه الإباحة، لكنّه مُنع خوف الفتنة.
- الآلة إن كانت من شعار أهل الشّرب أو الشّواذ[2]؛ يحرّم أن تقترن مع الغناء، كالمزامير والأوتار وطبل الكوبة، وما عدا هذا يبقى على أصل الإباحة كالدّف والقضيب وسائر الآلات.
- نظم الصّوت[3] إن كان فيه شيء من الخنا والفحش وما شابهه؛ فسماع هذا حرام بلحْن كان أم بغير لحن.
- المستمتع إذا كانت الشّهوة غالبة عليه، بحيث لا يسمع إلا ويتذكّر الحرام؛ فهذا السّماع إليه حرام.
- إذا كان الشّخص من عوامّ النّاس؛ فالسّماع في حقّه تعتريه الأحكام الخمسة، فإن كان يقرّبه من الله كان محبوباً، وإن كان يقوده إلى الحرام كان محظوراً.

---

(1) سيأتي مناقشة هذا الرّأي في آخر الكتاب.

(2) استبدلت اللّفظة السّابقة المستخدمة بهذه اللّفظة المعاصرة.

(3) أي الشّعر وشبهه.

نلحظ من خلال ما سبق أنّ الغزاليّ حاول الجمْع بين الأصل الفلسفيّ للغناء والمعازف، والأثر الاجتماعيّ، وفي الوقت نفسه حاول الجمْع بين هذا وبعض النّصوص، بيد أنّ ابن حزم الظّاهري (ت 456هـ) سنجده أكثر جرأة في هذه النّصوص الرّوائيّة في فترة مبكرة.

- **رؤية ابن حزم الأندلسيّ في الغناء والمعازف**[1]

عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهريّ (ت 456هـ)، أبو محمّد، عالم الأندلس في عصره، وُلد بقرطبة، كانت له ولأبيه رياسة الوزارة، وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتّأليف[2].

فابن حزم توفّرت فيه ثلاثة مؤهّلات: المؤهل السّياسيّ، والاجتماعيّ، والعلميّ، أمّا السّياسيّ فهو رجل وزارة وسياسة، وكان قريباً من الوزارة وسياسة الملك، وقيل إنّه كان ذا ولَع بالسّياسة إلا أنّه فشل في الوصول إليها[3].

وأمّا الاجتماعيّ فقد التفّ حوله أناس كثر، حتى انتسبوا إليه، وسمّيوا بالحزميّة[4].

وأمّا العلميّ فكان حافظاً فقيهاً، بعيداً عن المصانعة، ذا حاسّة نقديّة، حيث انتقد الكثير من العلماء والفقهاء، بلغت تآليفه حوالي أربعمائة مجلّداً في

(1) للمزيد ينظر: ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص55 وما بعدها.

(2) الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص254.

(3) الحجيّ: عبد الرّحمن عليّ؛ **أندلسيات**، مصدر سابق، ص113 – 114.

(4) الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص254.

ثمانين ألف ورقة، وكان أديبًا له ديوان شعر، ومن أشهر كتبه المحلّى، والفصل بين الملل والنّحل، والتّقريب لحدّ المنطق والدّخول فيه[1].

ومع هذا كان له صراع مع فقهاء عصره، للمنهج الّذي اتّبعه، فمن منهجه إنكار القياس، وله كتاب في هذا اسمه إبطال القياس والرّأي، وعليه أخذ بظواهر النّصوص في العديد من المسائل، حتى إنّ بعضها من غرائب شذوذ المسائل، ولِسانه حادّ ضدّ الفقهاء والعلماء ومُخالفيه، حتى قيل لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان، من هنا أجمع العديد من الفقهاء على تضليله، وحذّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامّهم عن الدّنوّ منه، فأقصَتْه الملوك وطاردتْه، فرحل إلى بادية لَبْلة من بلاد الأندلس وتوفّي فيها عام 456هـ[2].

والّذي يهمّنا هنا فلسفة ابن حزم حول الغناء والمعازف، وممّا يميّز رأيه أمران: الأمر الأول الاستقلاليّة النّقديّة الّتي يتمتّع بها ابن حزم، فهو وإن نشأ في مجتمع فقهيّ مالكيّ في جملته، إلا أنّه كان مستقلّ الرّأي والفكر، والثّاني المجتمع الأندلسيّ الّذي تطوّر فيه الغناء الإسلاميّ، وكان بوابة الشّرق إلى الغرب كما أسلفْنا الحديث حوله في المبحث السّابق.

لهذا كانت نظرة ابن حزم نظرة تفكيكيّة للنّص ذاته، وليست نظرة فلسفيّة، خلافًا لأبي حامد الغزاليّ (ت 505هـ) كما أسلفنا، حيث حاول بداية تقعيد المسألة فلسفيًّا واجتماعيًّا ثمّ أسقط النّصوص عليها قرائيًّا وإنزاليًّا.

(1) المصدر نفسه، ج4، ص254 – 255.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص254 – 255.

لهذا أسهب ابن حزم في مناقشة أهمّ أدلّة من حرّم الغناء والمعازف[1]، فوجدها لا تخلو من سنَد منقطع، أو علّة تقدح فيها، حتى قال: ولا يصحّ في هذا الباب –أي باب التّحريم للغناء والمعازف– شيء أبداً، وكلّ ما فيه موضوع، ووالله لو أُسند جميعه، أو واحد منه عن طريق الثّقات عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لما تردّدنا في الأخذ به.

وبيّن أنّ الأصل في سماع الغناء الإباحة، فمن نَوى باستماعه عوناً على معصية الله تعالى فهو فاسق، وكذلك كلّ شيء غير الغناء، فمن نوى به ترويح نفسه؛ ليتقوّى على طاعة الله، وينشّط نفسه على عمل البرّ؛ فهو مُطيع مُحسن، ومن لم ينْوِ طاعة ولا معصية فهو لغو معفوّ عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزّها، فالأصل في الشّيء الإباحة.

لهذا كان نقد ابن حزم لأدلّة التّحريم عالة لمن جاء بعده، في وقت كثر فيه وضع روايات التّحريم، فضلاً عن أنّ نقدَه يُعتبر مبكراً جدّاً، وذا منطلق روائيّ وفقهيّ.

- **رؤية أبي الفتوح أحمد بن محمّد الطّوسيّ الغزاليّ**[2]

تحدّثنا سابقاً عن رؤية أبي حامد الغزاليّ (ت 505هـ)، وهنا نتحدّث عن رؤية أخيه أبي الفتوح أحمد بن محمّد الطّوسيّ الغزاليّ (ت 520هـ)، خاصة أنّ الأخير لخّص كتاب إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزاليّ في كتابه لباب الأحياء في جزء واحد.

(1) سيأتي ذكر آراء ابن حزم تفصيلاً أثناء مناقشة الأدلّة.

(2) للمزيد ينظر رسالته: **بوارق الألماع في تكفير من يحرّم السّماع**، مخطوط.

وأبـو الفتـوح مـن علمـاء وفقهـاء الصّـوفيّة توجّهـًا، والأشـاعرة اعتقـاداً، والشّافعيّة فقهـًا، ودرّس بالنّظاميّة نيابـة عـن أخيـه أبـي حامـد لمّـا تـرك التّـدريس فيها، ومن كتبه الذّخيرة في علم البصيرة.

ولن نتحدّث بطبيعة الحال عن الواقع المجتمعيّ والزّمانيّ؛ لأنّ هـذا مـرتبط بنفس فترة أخيه، وسبق الحديث حولـه فليرجـع إليـه، والّـذي يهمّنـا هنـا رسـالته المسـمّاة: **بوارق الألمـاع في تكفيـر مـن يحـرّم السّـماع**، وهـي رسـالة صـغيرة في حـوالي ثـلاث وعشـرين صـفحة، ولا زالـت مخطوطـة، والظّـاهر أنّهـا طُبعـت حجريّـًا في مطبعـة أنـوار محمـديّ ضـمن أربـع رسـائل في السّـماع، وهـي فـرح الأسماع برخص السّـماع لأبـي المواهـب محمّـد بـن أحمـد الشّـاذليّ التّونسـيّ (ت 882هـ)، وإبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلـق السّـماع لمحمّـد بـن علـيّ الشّـوكانيّ (ت 1255هــ)، ورسـالة في السّـماع للقاضـيّ عيسـى بـن عبـد الـرّحمن الكجـراتيّ الهنـديّ (ت؟)، مـع رسـالة أبـي الفتـوح الغزالـيّ، وكانـت رسالته في الكتاب من صفحة 57 وحتى صفحة 80.

وعلى صغر الرّسالة إلا أنّها مهمّة كوثيقة متقدّمة زمنيّـًا، ولئن كان أبـو حامـد أسـهب في الجانـب الفلسـفيّ، إلا أنّ أخـاه حـاول تأصـيل المسـألة مـن ثـلاث نـواحي: النّاحيـة الطّبيعيّـة العقليّـة، والنّاحيـة الاسـتدلاليّة النّقليّـة مـن الكتـاب والسّنّة، والنّاحية الصّوفيّة والرّوحانيّة والرّمزيّة.

بيد أنّ المؤلّـف أفـرط في تكفيـر مـن يحـرّم السّـماع وفي تفسـيقه، والكفـر إذا أُطلق فقهـًا عند الأشاعرة وأهل الحديث فالمراد بـه الكفـر الملّـيّ إن لـم تصـرفه قرينة إلى الكفر اللّغويّ، خلافـًا لما عند الإباضيّة فالكفر إذا أُطلق فقهـًا عنـدهم فالمراد به الكفر اللّغويّ إن لم تصرفه قرينة إلى الكفر الملّيّ.

وعلى العموم دليل المؤلّف في كفرهم قوله: من قال إنّ السّماع حرام فقد حرّم في الشّرع ما لم يرد النّص به، إذ لم يرد في كتاب الله، ولا في سنّة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– نصٌّ بتحريم السّماع والرّقص، ومن حَرّم في الشّرع ما ليس يُحرّم؛ فقد افترى على الله كذبًا، ومن افترى على الله كذبًا كفر بالإجماع.

وأمّا تفسيقهم فلأنّه قسّم الأحاديث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أحاديث متواترة كأحاديث الصّلاة والزّكاة، وجاحدُها كافر.

القسم الثّاني: أحاديث مشهورة الفرع، وجاحدها فاسق.

القسم الثّالث: أحاديث آحاد الأصل، وتلك لا شيء على جاحدها.

وعلى هذا التّقسيم قُرّر أنّ أحاديث إباحة سماع الدّف والغناء والأشعار من قسم آحاد الأصل، مشهور الفرع، وعليه جاحده يفسق.

والصّواب قضيّة الغناء والمعازف من قضايا الرّأي، لا علاقة لها بكفر ولا فسوق، فمن رخص له أدلّته العقليّة والنّقليّة، وكذلك من تشدّد، وكلّهم يعظّمون الله تعالى ورسوله، فنقول إنّ المؤلّف –رحمه الله تعالى– في عنوان رسالته كفراً أو تفسيقًا جانَبَ الصّواب.

ونأت إلى النّاحية الطّبيعيّة العقليّة، حيث يرى المؤلّف أنّ حاجة الطّبيعة الإنسانيّة إلى الصّوت لأنّها من كمالاته الصّوريّة والمعنويّة، كما إنّ الطّبيعة الجسديّة يحتاج في بقائها إلى الغذاء من حيث هو غذاء، حتى يختار الغذاء إليه حالة الاحتياج إليه على جميع محتوياته جاهًا ومالاً، فلمّا حصل في الصّوت زيادات في الترتيبات والمُنشيات الذوقيّة والرّوحيّة، وهو علم للموسيقى؛ مالت الطّبيعة إليه أقوى من مَيلها إلى ما سواه من اللّذّات.

ولهذا يرى أنّ رفع الأصوات بالأنغام الموسيقيّة –أي في قراءة القرآن– مطلوب الإنسان مطلقاً، وهو ما يعبّر عنه بالمقامات الموسيقيّة، واستند في هذا إلى قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[1] قال المفسّرون: الصّوت الحسن، ولرواية: من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منّا[2]، ورواية: زيّنوا القرآن بأصواتكم[3].

وأشار المؤلّف في رسالته إلى العديد من القواعد الفقهيّة العقليّة منها:

- قاعدة: خصوص السّبب لا يمنع عموم الحكم، ومثّل له برواية: يا أبا بكر، إنّ لكل قوم عيد وهذا عيدنا[4]، فالعيد هنا ليس قيداً يخصّص به، وإنّما سبب يماثله أيّ فرح وسرور وابتهاج.
- قاعدة: الشّيء المطلق إذا جاز بعضه، ولم يرِدْ أنّ النّهي عن الباقي يدلّ على جوازه، ومثله دلّت النّصوص على جواز الدّفّ، بيد أنّه لم تأت نصوص في الآلات الأخرى، فدلّ على الجواز كأصل عامّ، إلا ما مُنع، أو ارتبط بعلّة تُخرجه إلى الحرمة أو الكراهة، ولهذا ضرب في رسالته ثلاثة أمثلة من الآلات:

(1) فاطر (1). وسيأتي بيان الاستدلال بالآية في مبحث الأدلّة.

(2) رواه أبو داود من طريق عبيد الله بن أبي يزيد، كتاب الوتر، باب استحباب التّرتيل في القراءة، حديث رقم 1260.

(3) رواه النّسائيّ في الصّغرى من طريق البراء، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصّوت، حديث رقم 1004؛ وابن ماجه باللّفظ والطّريق نفسه، كتاب إقامة الصّلاة والسّنة فيها، باب في حسن الصّوت بالقرآن، حديث رقم 1332.

(4) رواه مسلم من طريق عائشة، كتاب صلاة العيدين، باب الرّخصة في اللّعب الّذي لا معصية، حديث رقم 1485.

المثال الأول: الدّفّ بالصّنوج[1]: حيث اعتبر جوازه؛ لأنّه إذا سلّمنا جواز استخدام الدّفّ من غير صنوج، وذلك لأنّ العرب كانت تستعمله كذلك، فدلّ على جواز الدّف بالصّنوج.

المثال الثّاني: القضيب الفارسيّ: لم يرد فيه شيء فيبقى على أصل إباحته.

المثال الثّالث: المزمار، وهذا يحرّم للخبر في ذلك، أي كرواية: صوتان ملعونان في الدّنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنّة عند مصيبة[2].

- قاعدة: إذا ورد نصّ يقبل العموم؛ وجب أولاً طلب المخصّص، فإن وجد فذاك، ولا يحمل إلى العموم، واستند إلى رواية: احثوا وجوه المدّاحين بالتّراب[3]، مع ورود أنّ كعب بن زهير (ت 26هـ) مدح النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في قصيدته: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فألقى إليه –عليه السّلام– بُرْدَتَه[4]، فيحمل النّهي على المدح إذا كان كذبًا أو نفاقًا، ووجه الشّبه أنّ ما ورد من نهي في الغناء والمعازف لا يُحمل على عمومه؛ لوجود المخصّص في الإباحة.

---

(1) الصَنْجُ الّذي تعرفه العرب، وهو الّذي يتّخذ من صُفْرٍ يُضرَب أحدهما بالآخر، وأمّا الصَنْجُ ذو الأوتار فيختصُّ به العجم، وهما معرَّبان.
ينظر: الجوهريّ: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد؛ **الصّحاح في اللّغة**، كتاب الصّاد، كتاب الصّاد، مادّة صنج. (نسخة الكترونيّة).

(2) رواه الرّبيع بلفظ قريب من طريق ابن عباس، كتاب الطّلاق والخلع والنّفقة، باب في المحرّمات، حديث رقم 636.

(3) رواه مسلم من طريق همّام بن الحارث، كتاب الزّهد والرّقائق، باب النّهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، حديث رقم 5327.

(4) ذكر الرّواية أبو زرعة طاهر بن محمّد المقدسيّ في صفوة التّصوّف، كتاب المعاشرة، باب السّنّة في إلقائهم الثّياب، حديث رقم 316.

- استخدم نظريّة التّعليل، حيث إنّ روايات النّهي عن السّماع معلّلة بالسّماع المُلهي عن الحقّ والعبادة، وما يُبعد عن الحقّ، فإذا ارتفعت العلّة أصبح باقيًا على أصل الإباحة.

ثمّ انطلق المؤلّف إلى النّاحية الاستدلاليّة النّقليّة من الكتاب والسّنّة فهذه سنأتي إليها في مبحث الأدلّة، وهنا يحاول أن يربط بين الدّليل والعليّة العقليّة، كرواية الرّبيع بنت معوذ (ت بضع وسبعين للهجرة) قالت: جاء النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يدخل حين بُني عليّ، فجلس على فراشك مجلسك منّي، فجعلت جويريات لنا يضربْن بالدّفّ، ويندبْن من قُتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهنّ: وفينا نبيّ يعلَم ما في غد، فقال: دعي هذا، وقولي بالّذي تقولين(1)، فقال: فدلّ الحديث أنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– سمع الدّفّ والغناء والشّعر من جويريات ليس في حالة يحرّم سماع أصواتهنّ؛ فسماع الغناء والأصوات من الرّجل إباحته من طريق الأولى!!

وأخيراً تطرّق المؤلّف إلى النّاحية الصّوفيّة والرّوحانيّة، مُستخدماً الإشارات الرّمزيّة كعادة الصّوفيّة، رابطًا بين الزّمان والمكان ومن يُشاركه الخلوة والرّوحانيات، وهذا لا يهمّنا كثيراً في مبحثنا هذا، لذا من أراد المزيد فليرجع إلى رسالة المؤلّف!!

(1) تقدّم تخريجه.

- **رؤية إخوان الصّفا وخلّان الوفا**[1]

إخوان الصّفا وخلّان الوفا حار حولهم الباحثون قديماً وحديثاً، فمنهم من نظر إليهم على أنّهم جماعة إصلاحيّة بثّت رسائل غير موقّعة باسم معيّن بلغت اثنتين وخمسين رسالة، هدفها نشر الوعي حسب الوسيلة المتاحة، ومنهم من رآهم جماعة فلسفيّة تأثّرت بالفلسفة اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة، وبعضهم جعلهم جماعة باطنيّة إسماعيليّة، ومنهم من رأى غير ذلك.

ظهرت هذه الجماعة في القرن الثّالث الهجريّ والعاشر الميلاديّ بالبصرة، واهتمّت بالفلسفة والرّياضيّات والفنّ والفلك والسّياسة، ويذكر رشيد الخيون (معاصر) أنّ أبا حيان التّوحيديّ[2] (ت 414هـ) لمعاصرته لهم شخّص بعض أسمائهم، فذكر منهم زيد بن رفاعة (ت بعد 400هـ) وأبو سليمان محمد بن معشر البيتسيّ (ت؟)، وأبو الحسن علي بن هارون الزّنجانيّ (ت؟)، وأبو

(1) للمزيد ينظر: **رسائل إخوان الصّفا وخلان الوفا**، ط مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ط 1426هـ/ 2005م، بيروت/ لبنان، الرّسالة الخامسة من القسم الرّياضيّ في الموسيقى، ج1، ص157 -204.

ولترجمته ينظر: الخيون: رشيد؛ **آراء إخوان الصّفا وخلان الوفا: إعجاب وعجب**، كتاب مجلّة العربيّة، 193، الرّياض، 1434هـ؛ وينظر: الموسوعة العالميّة ويكيبديا، تأريخ الزّيارة: الثّلاثاء/ 20 فبراير 2018م، السّاعة السّابعة صباحاً.

(2) عليّ بن محمّد بن العباس التّوحيديّ، أبو حيان، فيلسوف ومتصوّف معتزليّ، شيخ الصّوفيّة، وفيلسوف الأدباء، ولد في شيراز، من كتبه: المقابسات، والإمتاع والمؤانسة، والإشارات الإلهيّة، توفي سنة 414هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص326.

أحمد المهرجانيّ (ت؟)، وغيرهم حيث ذكر أنّ عددهم عشرة، وأنّ جماعتهم تصافَت بالصّداقة، واجتمعت على القدس والطّهارة والنّصيحة.

ويرى التّوحيديّ كما ينقل عنه رشيد الخيون أنّ فلسفة إخوان الصّفا تكمن في أنّ الشّريعة قد دُنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا سبيل إلى غسْلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنّها حاوية للحكمة الاعتقاديّة، والمصلحة الاجتهاديّة، وأنّه متى ما انتظمت الفلسفة اليونانيّة والشّريعة العربيّة فقد حصل الكمال.

وينقل الخيون عن مصطفى غالب (ت 1981م) من الطّائفة الإسماعيليّة، ومحقّق كتاب الرّسالة الجامعة المختلَف في نسبتها، قال في مقدّمته: أنّه لا يخفى بأنّ جماعة إخوان الصّفا وخلّان الوفا عمدوا عند وضع رسائلهم موضع التّداول إلى إحاطة أنفسهم بهالة من الكتمان والتّقيّة، وتعمّدوا عن قصد إخفاء أسمائهم عن عامّة النّاس زهداً في الشّهرة، وحرصاً على حياتهم المهدّدة.

ورسائل إخوان الصّفا تنقسم إلى أربعة أقسام، تضمّن القسم الأول الرّياضيّ التّعليميّ الفلسفيّ، وفيه أربع عشرة رسالة، وتضمّن القسم الثّاني الجسمانيّ الطّبيعيّ، وفيه سبع عشرة رسالة، والقسم الثّالث النّفسانيّ والعقليّ، وفيه عشر رسائل، والقسم الرّابع النّاموسيّ الإلهيّ، والشّرعيّ الدّينيّ، وفيه إحدى عشرة رسالة، بعدها يأتي الرّسالة الجامعة، غير مضمّنة في كتاب الرّسائل، وهي عبارة عن ملخّص لكلّ ما حَوَتْه الرّسائل من علْم وفنّ.

أمّا من حيث موضوع بحثنا فالرّسالة الخامسة من القسم الرّياضيّ كانت عن الموسيقى، وفيها بيّنوا أنّ الموسيقى هي الغناء، والموسيقار هو المغنّي،

والموسيقات هو آلة الغناء، والغناء هو ألحان مؤلَّفة، واللّحن هو نغمات متواترة، والنّغمات هي أصوات متّزنة، والصّوت هو قرع يحدث في الهواء من تَصادم الأجسام بعضها ببعض.

وأشاروا إلى أنّ صناعة الموسيقى استخرجها الحكماء (الفلاسفة) بحكمتهم، وتعلّمها النّاس منهم، واستعملوها كسائر الصّنائع في أعمالهم ومتصرّفاتهم بحسب أغراضهم المختلفة.

وذكروا من الأسباب الّتي دعت الحكماء إلى وضع النّواميس، واستعمال سُننها، هو ما قد لاح لهم من مُوجبات أحكام النّجوم من السّعادات والمناحس، عند ابتداء القرانات، وتحاويل السّنين من الغلاء أو الرّخص أو الجدْب أو الخصب، أو القحط أو الطّاعون أو الوباء، أو تسلّط الأشرار والظّالمين، وما شاكَلها من تغيّرات الزّمان وحوادث الأيام، فلمّا تبيّن لهم ذلك طلبوا حيلة تنجّيهم منها إن كانت شرّاً، وتوفّر حظّهم فيها إن كانت خيراً، فلم يجدوا حيلة أنجى، ولا شيئاً أنفع من استعمال سنن النّواميس الإلهيّة الّتي هي الصّوم والصّلاة والقرابين والدّعاء عند ذلك بالتّضرع إلى الله تعالى -جلّ ثناؤه- بالخضوع والخشوع والبكاء والسّؤال إيّاه أن يصرف عنهم ذلك، ويكشف ما قد أوجبتْه أحكام النّجوم من المناحس والبلاء، وكانوا لا يشكّون أنّهم إذا دعوا الله بالنّية والإخلاص، ورقّة القلب والبكاء والتّضرّع والتّوبة والإنابة أن يصرف عنهم ما يخافون، ويكشف عنهم ما هم مُبتلون به، ويتوب عليهم، ويغفر لهم، ويجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤالهم، فكانوا يستعملون عند الدّعاء والتّسبيح والقراءة ألحاناً من الموسيقى تسمّى «المحزن»، وهي الّتي تُرقّق القلوب إذا سُمِعَت، وتُبكي العيون، وتُكسب النّفوس النّدامة على سالف

الـذّنوب، فهـذا كـان أحـد أسـباب اسـتخراج الحكمـاء صـناعة الموسـيقى واستعمالها في الهياكل وعند القرابين والدّعاء والصّلوات.

وكانوا أيضـاً قد استخرجوا لحناً آخر يُقال له «المشجّع» كان يستعمله قادة الجيوش في الحروب والهيجاء، يُكسب النّفس شجاعة وإقداماً.

واسـتخرجوا أيضـاً لحنـاً آخـر كـانوا يسـتعملونه في المارسـتانات (أي المستشفيات) وقت الأسْحار يخفّف ألـم الأسـقام والأمـراض عـن المـريض، ويكسر سَوْرتها، ويشفي الكثير من الأمراض والأعلال.

واستخرجوا أيضاً لحناً آخر يُستعمل عند المصائب والأحزان والغموم في المـآتم، يعـزّي النّفـوس، ويخفّـف ألـم المصـائب، ويسـلّي عـن الاشـتياق، ويُسكن الحزن.

واسـتخرجوا أيضـاً لحنـاً آخـر يُسـتعمل عنـد الأعمـال الشّـاقّة، والصّـنائع المتعبـة، مثـل مـا يسـتعمله الحمّـالون والبنّـاؤون ومـلاح الزّواريـق وأصـحاب المراكب، يخفّف عنهم كدّ الأبدان، وتعب النّفوس.

واسـتخرجوا أيضـاً ألحانـاً أُخَـر تُسـتعمل عنـد الفـرح واللّـذّة والسّـرور في الأعراس والولائم.

ومنه ما يستعمله الجمّـالون مـن الحـداء في الأسـفار، وفي ظلـم اللّيـل لينشّـط الجِمال في السّير، ويخفّف عليها ثقل الأحمـال، ويستعملها رعـاة الغـنم والبقـر والخيل عند ورودها الماء من الصّفير ترغيبـاً لهـا في شـرب المـاء، ويسـتعملون لها أيضـاً ألحانـاً أُخَـر عنـد هيجانهـا للنّـزو والسّـفاد، وألحانـاً أُخَـر عنـد حلْـب ألبانها لتدرّ، ويستعمل صيّاد الغزلان والدّرّاج والقطا وغيرها من الطّيـور ألحانـاً

في ظُلَم اللّيل يوقِعُها بها حتى تُؤخذ باليد، وتستعمل النّساء للأطفال ألحانًا تُسكن البكاء وتجلب النّوم.

ويرون أنّ الموسيقى من الصّناعات، إلا أنّ كلّ صناعة تُعمل باليدين فإنّ الهيولى (أي الأصل أو المادّة الّتي لا صورة لها) الموضوعة فيها إنّما هي أجساد طبيعيّة، ومصنوعاتها كلّها أشكال جسمانيّة، إلا الصّناعة الموسيقيّة، فإنّ الهيولى الموضوعة فيها كلّها جواهر روحانيّة، وهي نفوس المستمعين، وتأثيراتها فيها مظاهر كلّها روحانيّة أيضًا، ولها في النّفوس تأثيرات كتأثيرات صناعات الصّنّاع في الهيولات الموضوعة في صناعتهم، فمن تلك النّغمات والأصوات ما يحرّك النّفوس نحو الأعمال الشّاقّة، والصّنائع المتعبة، وينشّطها ويقوّي عزيمتها على الأفعال الصّعبة المتعبة للأبدان، الّتي تُبذل فيها مُهج النّفوس وذخائر الأموال، وهي الألحان المشجّعة الّتي تُستعمل في الحروب، وعند القتال في الهيجاء، ولا سيّما إذا غُنّي معها أبيات موزونة في وصف الحروب، ومديح الشّجعان.

ولهم مباحث عديدة في الموسيقى والألحان وأصول الألحان وقوانينها، فيَرَوْن أنّ قوانين الغناء والألحان ثلاثة أصول: وهي السّبب والوتد والفاصلة، فأمّا السّبب فنقرة متحرّكة يتلوها سكون مثل قولك: تن تن تن تن، ويكرّر دائمًا، والوتد نقرتان متحرّكتان يتلوهما سكون مثل قولك: تنن تنن تنن تنن يكرّر دائمًا، والفاصلة ثلاث نقرات متحرّكة يتلوها سكون مثل قولك: تننن تننن تننن، فهذه الثّلاثة هي الأصل والقانون في جميع ما يركب منها من النّغمات، وما يركب من النّغمات في جميع اللّغات من الألحان، وما يتركّب منها من الغناء في جميع اللّغات.

كذلك تطرّقوا إلى طبقات الصّوت، وأصل الآلات وأنواعها وأقسامها، وفي كيفيّة صناعتها وإصلاحها، وفي القوّة السّامعة للأصوات، وفي امتزاج الأصوات وتنافرها، وفي تأثّر الأمزجة بالأصوات، وفي حركات الأفلاك وأنّ لها نغمات كنغمات العيدان، وفي حقيقة نغمات الأفلاك، وتحدّثوا عن الكلام والأشعار إذا كان ملحّنًا موسيقيًّا وأثره على السّامع، وفي تناسب أعضاء الإنسان على الأصول الموسيقيّة، وفي ذكْر المربّعات أي الرّبيع والصّيف والخريف والشّتاء، وما شاكَلها من بروج، وهكذا في الطّبائع، وأثّر ذلك على النّفوس.

وأخيراً تطرّقوا إلى الانتقال من طبقات الألحان، وفي نوادر الفلاسفة في الموسيقى، وفي تلوّن تأثيرات الأنغام وفي اللّذّة المترتّبة عليه، وما أسلفْنا الحديث حوله كان بصورة عامّة في فترة مبكّرة جمعت بين التّأثّر بالأمم الأخرى، مع دمْجها بالثّقافة العربيّة والإسلاميّة إن صحّ التّعبير.

- **رؤية محمّد الشّاذليّ التّونسيّ**[1]

الشّيخ الصّوفيّ التّونسيّ محمّد بن أحمد بن الحاج الشّاذليّ (ت 882هـ)، عاش في قرنٍ أَفلَتْ فيه قوّة المماليك، وسطعتْ فيه قوّة العثمانيين، ومع هذا الخيط المشترك بين الدّولتين زامَنَ ظهور التّصوف بقوّة، وظهور الزّوايا والمعالم الصّوفيّة.

(1) للمزيد ينظر كتاب: الشّاذليّ: محمد؛ **فرح الأسماع برخص السّماع**، تحقيق محمد الشّريف الرّحمونيّ، ط الدّار العربيّة للكتاب، 1985م.

وبما أنّ السّماع له علاقة كبيرة بالزّوايا والموالد الصّوفيّة؛ لهذا كان للشّاذليّ رأيه في تبرير هذا الأمر، فكان كتابه **فرح الأسماع برخص السّماع** الّذي برهن فيه على جوازه، مركّزاً هنا على من أجازه من الصّحابة والتّابعين والفقهاء والعلماء خصوصاً المتأخّرين، فهو لا يناقش الأدلّة بقدر ما يشير إلى أنّ الغناء ليس ابتداعاً، ولعلّ الدّعاية المغرضة الّتي شُنّت ضدّه خاصّة من خصمه إبراهيم البقاعيّ[1] (ت 885هـ) لها علاقة، خاصّة وأنّه أشار كذلك في كتابه إلى قضيّة الرّقص والتّمايل، لكونه كان يتمايل حتى في مَشْيه، ممّا أثار خصومه، واتّهموه بالفسق، وشوّهوا صورته بين العامّة، فخرج من تونس إلى القاهرة، وتوفّي في القاهرة.

وهنا أشار أيضاً إلى آراء بعض الفقهاء الكبار، الّذين لهم أثر في نفوس النّاس، كإشارته مثلاً إلى ابن دقيق العيد[2] (ت 702هـ) في قوله: لم يرِد حديث صحيح على منعه، ولا حديث صحيح على جوازه، وهذه مسألة اجتهاد، فمن اجتهد وأدّاه اجتهاده إلى التّحريم قال به، ومن اجتهد وأدّاه اجتهاده إلى الجواز قال به.

---

(1) إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط البقاعيّ، أبو الحسن برهان الدّين، مؤرّخ وأديب، أصله من البقاع في سوريّة، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، من كتبه: عنوان الزّمان في تراجم الشّيوخ والأقران، وأسواق الأشواق، ومصرع التّصوّف، توفي سنة 885هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص56.

(2) محمّد بن عليّ بن وهب، أبو الفتح، المعروف أبيه وجدّه بابن دقيق العيد، قاض، فقيه مجتهد، مصريّ، من كتبه: أحكام الأحكام، والإلمام بأحاديث الأحكام، توفي سنة 702هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص283.

وأشار أيضاً إلى العزّ بن عبد السّلام[1] (ت 660هـ) عن الآلات كلّها: فقال: مباح، فقال شرف الدّين التّلمسانيّ[2] (ت 644هـ): يريد أنّه لم يرِد دليل صحيح من السّنّة على تحريمه، يخاطب بذلك أهل مصر، فسمعه الشّيخ عز الدّين، قال: لا، أردت أنّ ذلك مُباح.

وعموماً الشّاذليّ يقسّم الغناء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم ساذج بغير آلة، ملحّن بألحان –أي الّذي اشتهر حاليّاً باسم النّشيد الإسلاميّ– وهو جاز على قول جمهور الصّحابة والتّابعين والفقهاء.

القسم الثّانيّ: الغناء المقارن للدّفّ والشّبابة[3]، والشّبابة تُجري الدّمع، وتُرقّق القلب، وتحثّ على السّير، وتجمع البهائم إذا سرحت.

القسم الثّالث: سماع الغناء بالأوتار والمزامير.

وتطرّق أيضاً إلى الرّقص فهو في أصله الإباحة ما لم يكن مصاحباً لشيء ينكر، وقيل بالكراهة، وذهبت طائفة إلى التّفريق بين أرباب الأحوال، فيجوز

---

(1) عبد العز بن عبد السّلام بن أبي القاسم السّلميّ الدّمشقيّ، سلطان العلماء، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد، ولد في دمشق، وتوفي بالقاهرة سنة 660هـ، من كتبه: التّفسير الكبير، وقواعد الشّريعة، والفوائد.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص21.

(2) عبد الله بن محمّد بن عليّ، أبو محمّد، شرف الدّين التّلمسانيّ، فقيه أصوليّ شافعيّ، أصله من تلمسان، اشتهر بمصر، من كتبه: شرح المعالم في أصول الدّين، وشرح التّنبيه، وشرح خطب ابن نباتة، توفي سنة 644هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص125.

(3) أي القصبة المثقّبة، وهي مثل المزمار إلا أنّها مثقّبة.

لأرباب الأحوال ويُكره لغيرهم، وقال إنّ هذا القول هو القول المرتضى، وعليه أكثر الفقهاء المسوِّغين لسماع الغناء، وهو مذهب السّادة الصّوفيّة.

وهنا أتى ببعض الأدلّة من السّنّة والقياس، فمن السّنّة استند إلى رواية عائشة (ت 58هـ) – في الصّحيح – من رقص الحبشة في المسجد يوم عيد، وأنّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– دعاها فوضعت رأسها على منكبه، قالت: فجعلتُ أنظر إليهم حتى كنت أنا الّتي أنصرف عن النّظر إليهم، وأنّ جعفراً (ت 8هـ) وعليّاً (ت 40هـ) وزيداً (ت 8هـ) حجلوا – أي قفزوا –[1]، ومن القياس قوله: وأمّا القياس فهو مساواة فرع لأصل في علّة حُكْمه، فيقاس على الأصل: فعل الحبشة، وفعل عليّ حين حجل هو ومن شاركه في فعله من الصّحابة.

وهنا استند أيضاً إلى بعض كبار الفقهاء الّذين لهم مكانة في نفوس عامّة النّاس، حيث أشار إلى العزّ بن عبد السّلام (ت 660هـ) أنّه كان يرقص في السّماع، ذكره غير واحد عنه في طبقات الشّافعيّة.

(1) رواه مسلم من طريق عائشة بلفظ: جاء حبش يزفنون –أي يرقصون– في يوم عيد في المسجد، فدعاني النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم، حتى كنت أنا الّتي أنصرف عن النّظر إليهم. كتاب صلاة العيدين، باب الرّخصة في اللّعب الّذي لا معصية، حديث رقم 1489؛ وأمّا الجزء الأخير فرواه أحمد من طريق عليّ بلفظ: قال عليّ –رضي الله عنه–: زرت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع جعفر وزيد بن حارثة، فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لزيد: أنت مولاي، فبدأ زيد يحجل ويقفز على رجل واحدة حول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، ثمّ قال لجعفر: أمّا أنت فتشبهني في خَلقي وخُلقي، فحجل جعفر كذلك، ثمّ قال لي: أنت مني وأنا منك، فحجل خلف جعفر. مسند أحمد، حديث رقم 860.

ولقضيّة التّشويه الّذي تعرّض له كما يبدو وضع فصلاً بعنوان من حضر السّماع، وقد أشار في ذكر مشاهير العلماء المتأخّرين، كقوله: حضر السّماع بالدّفّ والشّبابة الشّيخ تاج الدّين الفزاريّ[1] (ت 690هـ) شيخ دمشق ومُفتيها، وحضره غير مرّة، وقوله: وحضر السّماع الإمام الحافظ الورع المجتهد: تقيّ الدّين بن دقيق العيد غير مرّة بالشّبابة والدّفّ، قالوا: ولمّا حضر بإسنا[2] عمل لأجله سماع بالشّبابة والدّفّ، وكان المغنّي يغنّي والشّيخ تقي الدّين والشّيخ بهاء الدين القفطيّ[3] (ت 697هـ) - تلميذ والد الشّيخ - والفقهاء العدول حاضرون، والفقراء يرقصون في السّماع، وقوله: وسمعتُ من غير واحد عن الشيّخ الإمام قاضي القضاة شمس الدّين البساطيّ[4] (ت 842هـ) أنّه كان يرقص في السّماع بالدّفوف والشّبابة.

---

(1) عبد الرّحمن بن إبراهيم الفزاريّ البدريّ، تاج الدّين الفركاح، مؤرّخ شافعيّ، بلغ درجة الاجتهاد، مصريّ أقام في دمشق، من كتبه: الأقليد لذوي التّقليد، وشرح التّنبيه، وشرح الورقات، توفي سنة 293هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص293.

(2) مدينة تتبع حاليًا مدينة الأقصر بمصر.

(3) عليّ بن يوسف بن إبراهيم الشّيبانيّ القفطيّ، أبو الحسن، جمال الدّين، وزير مصري ومؤرخ، سكن حلب، لم يكن له دار ولا زوجة، من كتبه: إخبار العلماء بإخبار الحكماء، وإنباه الرّواة على إنباه النّحاة، توفي سنة 622هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص33.

(4) محمّد بن أحمد بن عثمان الطّائيّ البساطيّ، أبو عبد الله، شمس الدّين، فقيه مالكيّ، من القضاة، مصريّ، من كتبه: شفاء الغليل في مختصر الشّيخ خليل، ومقدّمة في أصول الدّين، توفي سنة 842هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص332.

ولهذا ختم كتابه في الإشارة إلى ثلاث قضايا، ممّا يوحي إلى ردّه على الهجوم الّذي أشاعه البعض ضدّه، وهذه القضايا: الولاية، والتّعزير، والتّكفير.

وأمّا الولاية فقوله عن العزّ بن عبد السّلام أنّ ارتكاب الصّغيرة لا يقدح في الولاية، وإن تكرّرت ورفعت إلى الحكّام لا يعزرون عليها؛ لأنّهم أولى من سترتْ عورته، وأقيلت عثرته.

وأمّا التّعزير فقوله: من ارتكب أمراً فيه خلاف لا يعزر عليه، لقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ادْرؤوا الحدود بالشّبهات[1].

وأمّا التّكفير فقوله: ومعلوم من مذهب أهل السّنّة والجماعة أنّه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ممّن آمن بالله ورسوله.

ولهذا يُرى أنّ اختلاف المذاهب رحمة في هذه الأمّة، وضمّنَ قولاً للعزّ بن عبد السّلام: إنّ الله تبارك وتعالى لم يُوجِب على أحد أن يكون مالكيّاً ولا شافعيّاً ولا حنبليّاً، والواجب عليهم اتّباع الكتاب والسّنّة، ومن اقتدى بقول عالم فقد سقط عنه الملام.

هذا عرض عامّ لهذا الكتاب، ويظهر منه أنّه ردّ على خصومه، ولم يتطرّق فيه إلى الجانب التّحليليّ في الأدلّة، ولا الجانب الفلسفيّ؛ لأنّ الغاية منه أنّ من قال بالجواز ليس مبتدعاً، ولا يصحّ تعزيره وتكفيره، إلا أنّ محقّق الكتاب محمّد الشّريف الرّحمونيّ (معاصر) في مقدّمة تحقيقه له كلام فلسفيّ جميل، حيث يرى أنّ النّغم شيء غريزيّ فطريّ عريق بالنّسبة للإنسان، خُلق معه يوم خلقه الله تعالى، ووجد معه يوم ظهر على هذه الأرض، ويرى أنّ أصله يعود

(1) جاء ذكره في مسند أبي حنيفة من طريق ابن عباس.

إلى أصوات الطّبيعة، مثل أصوات الرّعد والمطر وأصوات الحيوانات، ثمّ أُعجب الإنسان ببعض الأصوات، وأنكر أصواتاً أخرى، فحاول تقليد ما أعجبه، ثمّ آخى بين بعضها، وزاوجَ بعضها الآخر، فأنتج أصواتاً جديدة كالحزن والفرح، ثمّ اخترع الأدوات الصّوتيّة، والآلات الموسيقيّة؛ ليريح نفسه من عناء التّقليد والتّصويت، ثمّ شارك بين صوته وصوت الآلات.

- **رؤية محمّد بن عليّ الشّوكانيّ**[1]

عندما نتحدّث عن الشّوكانيّ (ت 1250هـ) فنحن نتحدّث عن شخصيّة لها جناحان: جناح المحدّث، وجناح الفقيه، فهو من كبار فقهاء صنعاء، وهو في الأصل زيديّ، إلا أنّه تأثّر بمدرسة أهل الحديث، وبالمدرسة السّلفيّة خصوصاً الّتي هي وريث لمدرسة أهل الحديث الأولى قبل أن تتطوّر مع الأشاعرة والماتريديّة.

والشّوكانيّ عاش في فترة ذات تراجع حضاريّ ومعرفيّ في العالم الإسلاميّ، مع صعود النّهضة الغربيّة، والسبب عزلة العالم الإسلاميّ إبان الدّولة العثمانيّة عموماً، ودولة الإمامة الزّيديّة بالنّسبة لليمن خصوصاً، هذا بلا شكّ سيسقط أثره على الجانب المعرفيّ.

وبما أنّ الاتجاه الصّوفي كما رأينا مالَ إلى التّوسّع في السّماع، وهذه الفترة بدأ التّيار السّلفيّ المعادي للتّصوّف في الظّهور، وعليه سيسقط الأثر على قضيّة

(1) ينظر: الشّوكاني: محمد بن عليّ؛ **إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السّماع**، تحقيق محمّد صبحي بن حسن حلاق؛ وينظر ترجمته: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص298.

السّماع، فلهذا الشّوكانيّ في هذه الرّسالة يناقش قضيّتين مهمّتين: الأولى أنّه لا يوجد إجماع أصلاً في حرمة السّماع، والقضيّة الثّانية يناقش القضيّة الأصوليّة في قضيّة التّكفير من خالف أو أنكر الإجماع، فهذه مسألة مُختلَف حولها، وهل حجّته ظنيّة أو قطعيّة؟، أو له مراتب كمراتب الحديث كالمتواتر والمشهور والآحاد، أو يفرّق بين إجماع الصّحابة وغيرهم، ولهذا ينقل عن زين الدّين (ت؟) أنّه لا يكفر مُنكر إجماع سكوتيّ أو أكثريّ، أو ظنّيّ منقول بالآحاد، قيل وكذا ما لم يبلغ المُجمِعون فيه عددَ التّواتر؛ لأنّ العلم بحجيّة الإجماع ليس داخلاً في الإيمان لأنّه نظريّ.

فالكتاب في جملته جاء لإبطال نظريّة الإجماع وما يتعلّق بها من تكفير البعض، وعليه سيركّز على جانبين: جانب ذكر بعض من أجاز ذلك من المتقدّمين وحتى المتأخّرين، وجانب مناقشة بعض الأدلّة، والّتي يظهر فيها أنّ الشّوكانيّ يميل إلى الإباحة بدرجة أكبر من رؤية الغزاليّ (ت 505هـ) وأقرب إلى رؤية ابن حزم (ت 456هـ)، ويستشهد بقول ابن طاهر القيسرانيّ (ت 507هـ): أنّه لم يصحّ في هذا الباب شيء، وبقول أبي القاسم عيسى بن ناجيّ التّنوخيّ[1] (ت 837هـ) في شرح رسالة أبي زيد[2] (ت 368هـ): «لم أعلم في

(1) أبو القاسم عيسى بن ناجيّ التّنوخيّ، والمشهور قاسم بن عيسى، فقيه، قاض، من القيروان، من كتبه: شرح المدونة، ومشارق أنوار القلوب، وشرح رسالة أبي زيد القيروانيّ، توفي سنة 737هـ.

الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص179.

(2) عبد الله أبو محمّد بن عبد الرحمن أبي زيد القيروانيّ، من كبار علماء المالكيّة، يلقّب بمالك الصّغير، له كتاب الرّسالة، توفي سنة 368هـ.

كتاب الله، ولا في السّنّة حديثًا صحيحًا صريحًا في تحريم الملاهي، وإنّما ظواهر وعمومات يتأنّس بها لا أدلّة قطعيّة».

بيد أنّ الكتاب لا يتطرّق إلى الجانب الفلسفيّ أو التّحليل الصّوفي للسّماع لمخالفة الشّوكانيّ لهذا الاتجاه، وهنا نشير بصورة سريعة إلى الجانب الأول، ولا نتطرّق إلى الجانب الثّانيّ؛ لأنّ هذا له مبحثه الخاص.

فيستشهد ببعض الصّحابة[1] ممّن أجاز السّماع والغناء مثل عبد الله بن جعفر (ت 80هـ) أنّه كان لا يرى بالغناء بأسًا، ويصوغ الألحان لجواريه، ويسمعها منهنّ على أوتاره، وكان ذلك في زمن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ)، وأنّ عبد الله بن الزّبير (ت 73هـ) كان له جوار عوّادات، وأنّ ابن عمر (ت 73هـ) دخل على ابن الزّبير وإلى جنبه عود، فقال ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله إياه، فتأمّله ابن عمر، فقال: هذا ميزان شاميّ، فقال لابن الزّبير: تُوزن به العقول.

ومن التّابعين مثلاً يستشهد أنّ عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ) كان يسمع من جواريه قبل الخلافة، وأنّه ورَد التّرخيص في الغناء عن طاووس بن كيسان (ت 106هـ).

ويرى حكاية عن أبي الفضل بن طاهر في مؤلّفه في السّماع أنّه لا خلاف بين أهل المدينة في إباحة العود، قال ابن النّحويّ[2] (ت 513هـ) في العدّة: قال ابن طاهر: «هو إجماع أهل المدينة».

---

(1) سيأتي الحديث عن بعضهم وترجمتهم في مبحث الأدلّة.

(2) يوسف بن محمّد بن يوسف التّوزريّ التّلمسانيّ، أبو الفضل، المعروف بالنّحويّ، صاحب قصيدة المنفرجة: اشتدّي أزمة تنفرجي، توفي سنة 513هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص247.

وترخيص أهل المدينة أثر في قول مالك بن أنس (ت 179هـ)، وحكا عن الرّوياني[1] (ت 502هـ) عن القفال[2] (ت 365هـ) أنّ مذهب مالك بن أنس[3] (ت 179هـ) إباحة الغناء بالمعازف، وهي الآلات الشّاملة للعود وغيره، وعن المالكيّة أخذ الظّاهريّة.

وبهذا تتّضح لنا رؤية الشّوكانيّ، فمع ميوله إلى الجواز وإن لم يصرّح، إلا أنّ الهدف من الرّسالة كما أسلفنا إبطال نظريّة الإجماع في تحريم مطلق السّماع، وما يتعلّق بها من نكير وتكفير.

• رؤية محمّد رشيد رضا[4]

لمّا نتحدث عن محمّد رشيد رضا (ت 1935م) فإنّنا نتحدّث عن شخصيّة جمعت بين التّأثر بالدّعوة السّلفيّة الّتي قادها محمّد بن عبد الوهاب[1] (ت

(1) عبد الواحد بن إسماعيل بن محمّد، أبو المحاسن، فخر الدّين الرّوياني، فقيه شافعيّ، من كتبه: بحر المذهب، والكافي، توفي سنة 502هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص175.

(2) محمّد بن عليّ بن إسماعيل الشّاشيّ، القفال، أبو بكر، من كبار علماء عصره، فقيه شافعيّ، من بلاد ما وراء النّهر، من كتبه: أصول الفقه، وشرح رسالة الشّافعيّ، توفي سنة 274هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص247.

(3) سيأتي بيان مذهب المالكيّة في مبحث رؤية المدارس الفقهيّة.

(4) للمزيد ينظر: رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، تجميع وتحقيق صلاح الدّين المنجد، ويوسف خوري، الدّار العمريّة، الطّبعة الأولى، 1426هـ/ 2005م، ج2، ص465 – 493.
ولترجمته ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص126؛ والموسوعة العالميّة ويكيبيديا، تأريخ الزّيارة: الثّلاثاء: 30 يناير 2018م، السّاعة السّابعة صباحاً.

1206هـ/ 1791م) والّتي عملت مراجعة قضيّة التّوسّل بالأموات وقضيّة الأولياء والاستغاثة تحت مسمّى محاربة البِدع والحدث في الدّين، وبين الدّعوة الإصلاحيّة الّتي قادها جمال الدّين الأفغانيّ[2] (ت 1897م) ومحمّد عبده[3] (1905م)، والدّعوة الإصلاحيّة امتداد لمّا قام به حسن العطار[4] (ت 1835م) وتلميذه رفاعة الطّهطاويّ[5] (ت 1873م).

---

(1) محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان التّميميّ النّجديّ، صاحب الدّعوة النّجديّة، والّتي أطلق عليها خصومه الوهابيّة، ويعتبره البعض زعيم النّهضة الدّينيّة الإصلاحيّة بجزيرة العرب، تحالف مع محمّد بن سعود، زعيم الدّرعيّة عام 1157هـ وقبل دعوته، وظلّ التّحالف إلى يومنا هذا بين آل سعود وآل الشّيخ أي أبنائه وأحفاده وأبنائهم من بعده، رحل كثيراً، وألّف عشرات الرّسائل منها: كتاب التّوحيد، وتفسير سورة الفاتحة، ونصيحة المسلمين، توفي سنة 1206هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص257. (بتصرف).

(2) محمّد بن صفدر الحسينيّ، جمال الدّين، فيلسوف الإسلام في عصره، قصد مصر، ونفخ فيه الرّوح الإصلاحيّة، في الدّين والسّياسة، وأثّر في تلميذه محمّد عبده، وأصدر معه مجلّة العروة الوثقى من باريس، توفي سنة 1897م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص168 – 169.

(3) محمّد عبده بن حسن خير الله، مفتي الدّيار المصريّة، ومن كبار رجال الإصلاح والتّجديد، تلميذ جمال الدّين الأفغانيّ، له تفسير القرآن الكريم لم يتمّه، ورسالة التّوحيد، وشرح نهج البلاغة، توفي سنة 1905م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص252 – 253.

(4) حسن بن محمّد العطار، عالم مغربيّ الأصل، سكن مصراً، أنشأ مجلّة الوقائع المصريّة، وكان شيخ الأزهر، من كتبه: رسالة في كيفيّة العمل بالإسطرلاب والرّبعين المقنطر والمجيب والبسائط، توفي سنة 1835هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج2، ص220.

(5) رفاعة رافع بن دويّ الطّهطاويّ، من أركان نهضة مصر العلميّة في العصر الحديث، من الّذين أرسلوا إلى أوربا لتعلّم العلوم الحديثة، فدرس الفرنسيّة والجغرافيا

ورشيد رضا أصله من جبل لبنان بلبنان، إلا أنّه تأثر بالدّعوة الإصلاحيّة مبكّراً، ولمّا نُفي محمّد عبده إلى لبنان نتيجة مشاركته في الثّورة العرابيّة (1879–1882م) ضدّ الخديويّ توفيق[1] (ت 1892م) والإنجليز، والعرابيّة نسبة إلى أحمد عرابيّ[2] (ت 1911م)، ولهذا استغلّ محمّد عبده فرصة وجوده في لبنان، وقام بإلقاء دروسه عن التّوحيد والإصلاح الدّينيّ في المدرسة السّلطانيّة ببيروت، وجُمعت دروسه في كتاب سمّي برسالة التّوحيد، وهي من أهمّ كتب الإمام.

ومع هذا لم تحدث علاقة مباشرة بين رشيد ومحمّد عبده في لبنان إلا مرّتين، عدا مراسلات بينهما، ولم يلتقِ بالأفغانيّ، وإنّما كان التّواصل عن طريق المراسلة.

وفي عام 1898م قرّر رشيد رضا الهجرة إلى مصر، فنزل الإسكندريّة فالقاهرة، وهنا توطّدت العلاقة مع محمّد عبده، فأنشأ مجلّة المنار، الّتي

والتّأريخ، من كتبه: تعريب القانون المدني الفرنساوي، وتخليص الإبريز، وممّن أنشؤوا مجلّة الوقائع المصريّة، توفي سنة 1873م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص29.

(1) محمّد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد عليّ، تولي الخديويّة بعد عزل أبيه إسماعيل سنة: 1879م، في زمنه أُنشِئت المحاكم الأهليّة، ونظام الشّورى، والتّرع، وفي زمنه كانت ثورة عرابيّ، توفي سنة 1892م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص65.

(2) من زعماء مصر في العصر الحديث، ترأس الثّورة المطالبة بالإصلاح في عهد الخديويّ توفيق، توفي سنة 1911م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص168 – 167. (بتصرّف).

حقّقت صيتًا شهيراً في العالم الإسلاميّ، حيث توقّفت عند العدد الثّانيّ من المجلّد الخامس والثلاثين لمدّة سبعة أشهر بعد وفاة رشيد رضا 1935م، وبعده واصل المسيرة محمّد بهجة البيطار[1] (ت 1976م) إلا أنّه توقّف بعد عددين، ثمّ واصل المسيرة الإخوان المسلمون لمدة أربعين عامًا.

وإذا كان محمّد عبده كتب أهم مقالاته الإصلاحيّة والسّياسيّة في العروة الوثقى مع أستاذه الأفغانيّ، فإنّ رشيد رضا خلّد دروس الإمام في التّفسير، وقام بتحريرها حتى الآية 125 من سورة النّساء، ثمّ واصل رشيد رضا التّفسير حتى وصل إلى سورة يوسف، وأتمّ البيطار سورة يوسف، وجمّع هذا التّفسير باسم المجلّة، كما إنّ رشيد رضا اشتُهر باسم صاحب المنار.

أيضًا كان رشيد رضا تصله العديد من الأسئلة من العالم الإسلاميّ، فيجيب عنها في المنار، ثمّ قام بتجميعها وتبويبها الأستاذان صلاح الدّين المنجد (معاصر)، ويوسف خوريّ (معاصر)، فطبعت في الدّار العمريّة عام 2005م في ستّ مجلّدات كبار، حوت 2779 صفحات، وتعتبر فتاويه من أنفس الفتاوى المتقدّمة والنّقديّة، وتحوي مراجعات عديدة في مسائل تصوريّة وسلوكيّة وتأريخيّة وسياسيّة وقضايا حيّة، وفيها يدعو إلى الوحدة وإحياء العقل ونقد التّراث والواقع.

ومن هذه المسائل الوفاقيّة مثلاً قوله: وليس من موضوع المنار تفصيل مسائل الخلاف؛ وإنّما هي مجلّة المسلمين عامّة، تخاطبهم وتعظهم بالأصل

(1) مصلح سلفيّ، واصل مسيرة محمّد رشيد رضا، من كتبه: الإسلام والصّحابة بين السّنّة والشّيعة، توفي سنة 1976م.

المتفّق عليه عند الجميع، وهو كتاب الله تعالى والسّنّة العمليّة الّتي كان عليها السّلف الصّالح بلا خلاف، ويدع لهم كلّ ما اختلفوا فيه حتى يفيئوا إلى الوفاق إن شاء الله[1]، وقوله: ولم يسلم المسلمون ممّا جرى لمن قبلهم من الأمم باختلاف التّأويل والرّوايات الآحاديّة وأهواء الرّؤساء والتّعصّب للمرشدين، ونرجو أن يعودوا إلى الوفاق بالعود إلى الأصل المجمع عليه وهو الكتاب والسّنّة العمليّة المتّفق عليها، ويعذر بعضهم بعضاً في الرّوايات القوليّة الآحاديّة[2].

وعلى العموم وُجّه إلى صاحب المنار من قبل جاوة بإندونيسيا خمسة أسئلة حول آلات المعازف والغناء، عُنونت بالأسئلة الجاويّة في سماع آلات اللّهو، ونُشرت في مجلّة المنار ج 9/ 1906م، ص35 – 51؛ ص141 – 147.

وهنا أسهب رشيد رضا في الجواب حتى عُوتب فردّ عليهم ردّاً جميلاً بقوله: رأى بعض فضلاء المصريّين أنّنا أطلنا في هذه الأسئلة أكثر ممّا تستحقّ وذلك أنّه يندر في مصر من يتحامى السّماع، ولكن الجمود في كثير من البلاد على تقليد المعسّرين لا يلين إلا بأكثر من هذا، والمنار ليس خاصّاً بالمصريّين.

وبيّن في فتواه أنّ سبب شيوع التّحريم على المعازف والغناء، والنّظرة السّلبيّة له أنّ كثيراً من أئمّة العلماء الزّهّاد شدّد النّكير على أهل اللّهو لما كثُر وأسرف النّاس فيه عندما عظُم عمران الأمّة، واتّسعت مذاهب الحضارة فيها،

(1) رضا: محمد رشيد؛ فتاوى الإمام محمد رشيد رضا، ج1، ص111.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص112.

حتى جاء أهل التّقليد، فرجّحوا أقوال الحظر، وزادوا عليها في التّشديد، حتى حرّم بعضهم سماع الغناء مطلقاً، وسماع آلات اللّهو جميعاً إلا طبل الحرب ودفّ العرس، وزعموا أنّه دفّ مخصوص لا يطرب، وأنّه غير دفّ أهل الطّرب!!

ولهذا ذكر صاحب المنار أهمّ روايات الحظر وروايات الإباحة، فيرى أهم روايات الحظر تسع روايات[1]، وتتمثّل في رواية مجيء قوم من الأمّة يستحلّون الحرّ والحرير والخمر والمعازف، ورواية وضع ابن عمر (ت 73هـ) إصبعَيْه في أذنيه لمّا سمع صوت زمارة، وعدل عن الطّريق، ورواية تحريم الكوبة أيّ الطّبل، ورواية الخسف والمسخ والقذف الّذي سيكون في الأمّة بسبب ظهور المعازف والخمر، ورواية الرّيح الحمراء الّتي ستظهر في الأمّة بسبب عدّة مفاسد ومنها ظهور القيان والمعازف، ورواية المسخ إلى قردة وخنازير بسبب استحلال الخمر وضرب الدّفوف واتّخاذ القيان، ورواية أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أمر بمَحْق المزامير والكبارات أي المعازف، ورواية النّهي عن بيع القينات أي المغنّيات وشرائهنّ، ورواية ابن مسعود[2] (ت 32هـ): الغناء يُنبت النّفاق في القلب.

---

(1) نكتفي هنا بالإشارة إليها لأنّه سيأتي تفصيلها في مبحث الأدلّة.

(2) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ، كنيته: أبو عبد الرّحمن، أسلم في بداية الدّعوة، وشهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلّها مع رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وحدّث عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الكثير، وعن عمر وسعد وغيرهم، كان أول من جهر القرآن في مكة، وكان من فقهاء وزهّاد المدينة، توفي في المدينة سنة 33هـ.
ينظر: **مشاهير علماء الأمصار**: ابن حبان ص29؛ الإصابة: ابن حجر 4/ 198-200.

وخلص أنّه لا يصحّ من هذه الأحاديث إلا الأول، وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله، ولهذا سيسهب في بيان علّته والاقتباس ممّا ذكره ابن حزم (ت 456ه)، كما إنّه سيكثر من الاقتباس من تحليل ونقد الشّوكانيّ (ت 1255هـ) للعديد من الرّوايات ودعوى الإجماع في نيل الأوطار.

أمّا روايات الإباحة فتمثّلت في ستّ روايات، وهي رواية الجاريتين اللّتين تغنّيان بمحضر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– غناء بعاث، ورواية حبّ الأنصار للّهو، ورواية الجويريات اللّاتي يضربْن بالدّف، ورواية الفصل بين الحلال والحرام الدّفّ والصّوت في النّكاح، ورواية ترخيص اللّهو في العرس، ورواية نذر الجارية أن تضرب بالدّفّ وتغنّي بين يدي النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–.

وعليه يخلص إلى التّاليّ:

- أحاديث الإباحة مرجّحة بصحّتها وضعف مقابلها ونكارته.
- أحاديث الإباحة موافقة لأصل الشّيء وهو الإباحة.
- أحاديث الإباحة موافقة ليسر الشّريعة والفطرة.
- لم يرِد نصّ يُحتجّ به في الكتاب ولا في السّنّة يُحرّم سماع الغناء أو آلات اللّهو، وورد في الصّحيح أنّ الشّارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدّفوف بلا نكير.
- لم يرِد نصّ عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات.

ومع أنّ رشيد رضا استخدم المنهجيّة ذاتها كما عند المتقدّمين عادة في ذكر الأدلّة وإبطال دعوى الإجماع، إلا أنّه يتميّز هنا باستخدام القياس الفقهيّ،

حيث يُبرهن أنّ ما جاء في دعوى التّحريم إن صحّ فهو معلول، فمتى زالت العلّة رجع إلى أصل الإباحة، لهذا يرى أنّ السّماع من حيث القياس الفقهيّ يدخل في دائرة الاستحباب، فيستحبّ السّماع أو ندبه إنّما يكون في الأوقات الّتي يستحبّ فيها السّرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب، وما عدا هذه الأوقات والحالات مُباح لذاته شريطة عدم الإسراف فيه، إذ إنّ الانصراف الزّائد إلى اللّهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدّين.

- **رؤية محمود شلتوت حول الغناء والمعازف**[1]

العلّامة الفقيه المفسّر محمود شلتوت (ت 1963م) داعية إصلاح، نيّر الفكرة، من الدّاعين إلى فتح باب الاجتهاد، وسعى إلى إصلاح الأزهر، فعارَضه كبار الشّيوخ، وطردوه هو ومناصروه، وكان خطيباً مفوّهاً[2]، وكان أول حامل للَقب الإمام الأكبر[3].

والشّيخ شلتوت امتداد للمدرسة الإصلاحيّة، والّتي تعمّقت عند جمال الدّين الأفغانيّ (ت 1879م)، ومحمّد عبده (ت 1905م)، إلا أنّه لم يكن من روّاد المدرسة التّفكيكيّة للنّصّ، وأقرب إلى المدرسة الإصلاحيّة التّجديديّة.

(1) للمزيد ينظر: شلتوت: محمود؛ **الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليوميّة العامّة**، ط دار الشّروق، الطّبعة السّابعة عشرة، لا تأريخ، ص409 – 414.
(2) ينظر: الزّركليّ: خير الدّين، **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص173.
(3) الموسوعة العالميّة ويكبيديا، تأريخ الزّيارة: الأحد 26 نوفمبر 2017م، السّاعة السّابعة صباحاً.

وفي عام 1947م نادى الشّيخ محمود شلتوت مع الشّيخ محمّد تقيّ القميّ[1] (ت 1990م) نيابة عن آية الله السّيد حسين البروجرديّ[2] (ت 1961م) بإحياء نظريّة التّقريب بين المدارس الإسلاميّة، وفي عام 1949م أصدروا مجلّة رسالة الإسلام حتى أُوقِفت سنة 1972م بعد إصدار ستّين عدداً[3]!!

ولمّا سُئِل شلتوت في فتاويه عن الغناء والمعازف، ناقش القضيّة رابطاً بين الجوانب الثّلاثة: الفلسفيّة والمجتمعيّة والفقهيّة، محاولاً إسقاط هذه الجوانب في جوّ تقريبيّ يقرّب الصّورة بين المختلفين في الآراء.

ففي الجانب الفلسفيّ ركّز على جانب الفطرة، وهي الفلسفة الجامعة بين الجميع كجانب غريزيّ في الإنسان، فالله تعالى خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذّات والطّيّبات الّتي يجد لها أثراً طيّباً في نفسه، به يهدأ، وبه يرتاح، وبه ينشط، وبه تسكن جوارحه، فتراه ينشرح صدره بالمناظر الجميلة، كالخضرة المنسّقة، والماء الصّافيّ الّذي تلعب أمواجه، والوجه الحسن الّذي تنبسط أساريره، ولهذا لا يمكن عقلاً نزع هذه العاطفة أو إماتتها أو مكافحتها في أصلها.

(1) تسلسل من أسرة علميّة، كان عالماً من دعاة التّقريب بين المدارس الإسلاميّة، توفي سنة 1990م.

(2) من علماء وفقهاء الشّيعة المعاصرين، ابن السّيد عليّ الطّباطبائيّ البروجرديّ الشّهير، توفي سنة 1961م.

(3) العبريّ: بدر بن سالم؛ **مقال نظريّة الوحدة من خلال شعائر الحجّ**، مجلّة التّكوين، عدد 23، ذو الحجة 1438هـ/ سبتمبر 2017م، ص52 – 53.

وبعد هذا التّأصيل الفلسفيّ للغريزة يرى شلتوت أنّ الشّرائع السّماويّة من أهدافها أمام الغرائز التّنظيم والتّوسّط والاعتدال، وليس موقف المنع والإماتة والانتزاع، فإذا مال الإنسان إلى سماع الصّوت الحسن، أو النّغم المستلذّ، من حيوان أو إنسان، أو آلة كيفما كانت، أو مال إلى تعلّم شيء من ذلك؛ فقد أدّى للعاطفة حقّها، بحيث يقف مع هذه الغريزة مع الحدّ الّذي لا يصرفه عن الواجبات الدّينيّة، أو الأخلاق الكريمة، أو المكانة الّتي تتّفق ومركزه.

ويرى شلتوت أنّ هذا الحدّ كافٍ في التّعامل مع هذه القضيّة، ولكنّ مشكلة النّاس لا يقنعون بهذا؛ بل يريدون الإسهاب في نقل ما قيل في الكتب الفقهيّة من آراء، فهنا ينطلق شلتوت من الدّائرة المشتركة بين الجميع، وهو إباحة السّماع في إثارة الشّوق إلى الحجّ، وفي تحريض الغزاة على القتال، وفي مناسبات السّرور المألوفة كالعيد والعرس، وفي قدوم الغائب.

لهذا يرى من هذه الدّائرة يمكن أن نفهم رأي الفريقين، ممّن قال بالحلّ أو بالحرمة؛ لأنّ الإشكاليّة في بعض الآثار لا في الحدّ المشترك، ولهذا مَن قال بالحلّ خلص أنّه ليس في كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولا في معقولهما من القياس والاستدلال، ما يقتضي تحريم مجرّد سماع الأصوات الطّيّبة الموزونة مع آلة من الآلات، ولهذا حكموا على آثار المنع أنّه لم يصحّ منها شيء.

وهذا الاضطراب في الجانب الفقهيّ سوف يؤثّر على الجانب المجتمعيّ، ويسقط أثره على النّاس من خلال الاضطراب بين من يستند إلى كلمات تُقرأ في بعض الكتب الشّرعيّة، أو يسمعها ممّن يلبس ثوب الورع على غير الوجه

الّذي يُلبس عليه، وبين من تأخذه عاطفته البريئة، ويقوده عقله إلى سماع الموسيقى وتعلّمها.

لهذا يخلص أنّ سماع الآلات، ذات النّغمات والأصوات الجميلة، لا يمكن أن يحرّم باعتباره صوت آلة، أو صوت إنسان، أو صوت حيوان، وإنّما يحرّم إذا استُعين به على محرّم، أو اتُّخذ وسيلة إلى محرّم، أو ألهى عن واجب؛ لأنّ تحريم ما أحلّه الله تعالى، أو تحليل ما حرّمه كلاهما افتراء على الله سبحانه وتعالى.

- **رؤية بيوض بن عمر وتلميذه البكريّ**[1]

استطاع الإمام محمّد عبده (ت 1905م) أن يبعث في الأمّة الإصلاح من داخل البيت الإسلاميّ -إن صحّ التّعبير- مع شيخه جمال الدّين الأفغانيّ (ت 1897م)، وتأثّرت الإباضيّة في المغرب قبل المشرق بهذه الحركة، للأسباب السّياسية في عُمان الّتي جعلت الحركة الإصلاحيّة فيها متأخّرة جداً.

ففي ليبيا تأثّر بها عمرو النّاميّ[2] (لا يعرف تأريخ وفاته)، والّذي تأثّر بجماعة الإخوان (المسلمون) أيضاً، وعليّ يحيى معمّر[1] (ت 1980م).

---

(1) للمزيد ينظر كتاب: بيوض: إبراهيم بن عمر؛ **فتاوى الشّيخ بيوض**، ط مكتبة أبي الشّعثاء، ولاية السّيب، سلطنة عُمان، الطّبعة الثّانية 1411هـ/ 1990م، ص712 – 717؛ والبكريّ: عبد الرّحمن بن عمر؛ **فتاوى البكريّ**، تحقيق داود بن عيسى بورقيبة، ط المطبعة العربيّة، غرداية، الجزائر، الطّبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م، ج3، ص63.

(2) من علماء الإباضيّة بليبيا، سافر إلى مصر لطلب العلم، وبعد أحداث 1965م غادر مصر إلى وطنه فبريطانيا، فدرس في جامعة كمبردج، وفيها قدّم أطروحته الشّهيرة حول الإباضيّة، ثمّ رجع إلى بلده 1971م مدرّسا في جامعة بنغازي، وبعدها اعتقل ثمّ نفي

أمّا في القطر المغربيّ فقاد الحركة الشّيخ بيوض إبراهيم بن عمر (ت 1980م)، والصّحفيّ الأديب أبو اليقضان إبراهيم[2] (ت 1973م)، إلا أنّ الشّيخ بيوض في حركته اهتمّ بجانبين: الإصلاح الاجتماعيّ، والتّأسيس العلميّ، حيث أسّس معهد الحياة في القرارة بميزاب، لذا ظلّت حركته الإصلاحيّة خالدة حتى اليوم، فقاد المسيرة الإصلاحيّة بعده تلميذه وعونه الفقيه عبد الرّحمن البكريّ (ت 1986م)، ومن ثمّ تلميذهما الشّيخ عدون (ت 2004م)، والشّيخ ناصر المرموريّ (ت 2011م).

والمرحلة الّتي عاشها الشّيخ بيوض في ميزاب لم تكن بالمرحلة المستقرة بسبب الاستعمار الفرنسيّ، وإن كانت الصّحراء الجزائريّة أقلّ تأثّراً إلا أنّها

إلى اليابان، ثمّ أدخل السّجن بدون محاكمة عام 1981م، وظلّ بالسّجن إلى وفاته الّذي لا يعرف تأريخه حتى اليوم.

ينظر: **معجم أعلام الإباضيّة (قسم المغرب)**، ط جمعيّة التّراث، الجزائر/ القرارة – غرداية، ط 1420هـ، 1999م، ج3، ص665 – 670. (بتصرّف بسيط).

(1) من علماء الإباضيّة بليبيا، درس بالزّيتونة في تونس، نشر مئات المقالات الإصلاحيّة في مجلّة الشّباب و(المسلمون)، والأزهر، والرّسالة، وغيرها، كان صحفيّاً ومؤرّخاً وأديباً، من أهمّ كتبه: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، والإباضيّة في موكب التّاريخ، ورسالة الإباضيّة مذهب إسلامي معتدل، توفي سنة 1980م.

ينظر: **معجم أعلام الإباضيّة (قسم المغرب)**، مصدر سابق، ج3، ص619 – 623. (بتصرّف بسيط).

(2) من علماء الإباضيّة بالجزائر، صحفيّ وأديب ومصلح كبير، درس بالزّيتونة في تونس، وساند الشّيخ بيوض في حركته الإصلاحيّة، لقب بشيخ الصّحافة الجزائريّة المجاهدة، من كتبه: سلّم الاستقامة، وسليمان باشا الباروني، توفي سنة 1960م.

ينظر: **معجم أعلام الإباضيّة (قسم المغرب)**، مصدر سابق، ج2، ص52 – 57. (بتصرّف بسيط).

كانت ضحيّة الاستعمار أيضًا، فضلاً عن العزلة الثّقافيّة في هذه المنطقة الّتي تولّد بسببها الجهل وانتشار الخرافة.

وحاول البعض إثارة الفتنة بين الأمازيغ والعرب من جهة، وبين الإباضيّة والمالكيّة من السّنّة من جهة ثانية، إلا أنّ زعماء المدرسة الإصلاحيّة وغيرهم من مفكّري وفقهاء ميزاب وقفوا ضدّ الفرقة والفتنة صفًّا واحداً، كذلك عرضت فرنسا على الشّيخ بيوض أن تكون الصّحراء الجزائريّة دولة إباضيّة مستقلّة عن الجزائر؛ إلا أنّه رفض، واعتبر الجزائر تربة واحدة لا تتفرّق.

وحزّ في نفس الإصلاحيّين الإباضيّة في المغرب ما تعيشه عُمان من عزلة حضاريّة ومعرفيّة، وفقر معيشيّ وصحيّ، فبعث الشّيخ البكريّ نيابة عن جمعيّة الإصلاح وعلماء ميزاب إلى عُمان عقب وفاة محمّد بن عبد الله الخليليّ (ت 1373هـ)، ومبايعة غالب بن عليّ (ت 2009م) بعده، وفي الرّسالة ناشدوا أهل عُمان بتشييد المدارس والمعاهد والكلّيّات، وإرسال البعثات، وتعميم الصّناعات، وتأسيس المطابع والشّركات، وإصدار الجرائد والمجلات، وإنشاء المستوصفات والمستشفيات، وتعبيد السّبل والطّرقات، ومدّ السّكك الحديديّة والأسلاك الكهربائيّة، وإنشاء المعامل بأنواعها، واستخراج معادن الأرض ومحاصيلها[1]، وأحزنَهم أن يبقى القطر العُمانيّ فقيراً وفيه الكنوز الطّبيعيّة[2].

(1) بكلّي: عبد الرّحمن؛ **رسائل البكريّ**، مصدر سابق، ص310.
(2) المصدر نفسه، ص311.

ومن المسائل الّتي طرحت بقوّة في العصر العشرين لما أسلفنا بسبب التّلفاز والفيديو والإذاعة والصّحافة وظهور السّينما وانتشار المسرح الغنائيّ؛ التّساؤل الكثير حول الغناء والمعازف، لهذا وجّه سؤال إلى الشّيخ بيوض، وبيّن نظرته أنّ الأصل في التّغنّي بالغناء، والتّطريب بألحانه؛ لا دخل له في التّحليل والتّحريم، فأصل الغناء أنّ حلاله حلال، وحرامه حرام، وعليه هو كسائر المسائل تعتريه الأحكام الخمسة، ولا ينتقل إلى الحرمة إلا إذا اقترن بمحرّم، أو أدّى إلى محرّم، أو ضيّع واجبًا.

وأمّا آلات اللّهو لا تصل إلى حدّ الحرام، بغضّ النّظر عن نوعها، إذ أقلّ ما يقال فيها الكراهة الشّديدة، سواء اقترنت مع غناء –أي كلام ملحّن– أو انفصلت عنه، إلا إذا استخدمت في حرام، أو قادت إلى محرّم، أو ضيّعت واجبًا، فتصبح محرّمة.

ولهذا يتّضح من فتوى الشّيخ بيوض أنّ الآلات ليست محرّمة في ذاتها؛ بل لما يقترن بها من علل خارجيّة تغيّر في ذات حكمها، إلا أنّه يستثني المزمار، ويعتبر ضربه سيّئة من السّيّئات –أي الصّغائر– ولا يصل إلى درجة الكبائر، وهو بهذا يقترب من رؤية أبي حامد الغزاليّ (ت 505هـ) وأخيه أبي الفتوح أحمد الغزاليّ (ت 520هـ)، وقد تقدّم الحديث عنهما.

بيد أنّ البكريّ في فتواه كان أكثر صراحة لمّا سُئِل عن الموسيقى والسّينما والتّلفزيون، فيبيّن أنّ سماع الموسيقى والتّلفزيون لا بأس بهما عند فريق من العلماء إذا خلا ذلك ممّا يهيّج النّفس، ويبعثها على الرّذيلة، ومن تَورّع عن ذلك فهو خيرٌ له وأسلم.

ورؤيـة البكـريّ قريبـة مـن رؤيـة شـيخه بيـوض إلا أنّهـا باعتبـار المدرسـة الإباضيّة الّتي تنظر إليه بسلبيّة كما سيأتي في مبحث المدارس الفقهيّة أكثر تقدّمًا وجرأة على التّصريح.

- **رؤية محمّد الغزاليّ**[1]

وُلد محمّد الغزاليّ، وبدأ حياته في الفترة الذّهبيّة الّتي عاشتها مصر، إذ وُلد عام 1917م، فهو عايَش أواخر الملكيّة، وقيام الجمهوريّة في مصر، وتوفّي عام 1996م، وهي فترة التّراجع المعيشيّ والسّياسيّ والفكريّ في مصر.

وفي فترة حياته كانت التّجاذبات بين التّيارين التّجديديّ والتّغريبيّ، ومن ثمّ التّيار الإسلاميّ والعلمانيّ من جهة، والحداثيّ من جهة أخرى، كذلك ظهور تيّار الصّحوة وصراعه مع التّيارات والمذاهب الإسلاميّة الأخرى.

وفي الجانب السّياسيّ كان الغزاليّ إخوانيّـًا ثمّ خرج عنهم، وابتعد عن السّياسة، وتفرّغ للتّعليم والكتابة والدّعوة، لذلك كرّس حياته في محاربة التّيّار الإسلاميّ -إن صحّ التّعبير- المتشدّد، والّذي يراه بالتّيار البدويّ أو الصّحراويّ، فكتب في مناقشته كتبـًا منها هموم داعية، والسّنّة بين أهل الفقه وأهل الحديث، وفي المقابل محاربة التّيّار المتنكّر للشّرق، الرّافض لكلّ ما هو تراث، كذلك جادل المستشرقين، وناقش العديد من الشّبهات الّتي يراها تُثار حول الإسلام والأديان عمومًا.

(1) للمزيد ينظر: الغزاليّ: محمّد؛ **السّنة بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة، الطّبعة الثّالثة عشر، ص72 وما بعدها.

ومن القضايا الّتي وقف عندها الغزاليّ قضيّة الفنّ، ومنه الغناء والمعازف، وقد وصل الفنّ بسبب الشّاشة الصّغيرة، والسّينما والمسرح، ومسايرة الصّحف، وتشجيع الحكّام مكانة كبيرة، ومنزلة لها قيمتها في العالم ككلّ.

فهنا واجه الغزاليّ التّيار الرّافض للفنّ والغناء والمعازف، وفي الوقت نفسه رفض أن يكون الفنّ وسيلة للعريّ والفسوق والمجون، فهو رسالة نبيلة إذا أُحسن توظيفه.

فالغناء ليس جائزاً مطلقًا، وليس ممنوعًا مطلقًا، فكلمات الأغنية لنفس المؤلّف، ونفس الملحّن؛ قد تُعدّ حلالاً، وقد تُعدّ حرامًا، ومثاله الشّاعر عليّ محمود طه[1] (ت 1949م)، والموسيقار محمّد عبد الوهاب (ت 1991م)، فيقول بأنّ نشيد فلسطين:

أخي جاوز الظّالمون المدى فحقّ الجهادُ وحقّ الفدا

هذا ممّا يجب سماعه؛ لأنّه يبعث النّخوة والوعي في قلوب السّامعين، ولكن أغنية لنفس المؤلّف والملحّن، وهي أغنية كليوبترا فهذه يُحرّم سماعها، لما فيها من عبث ومجون[2].

---

(1) شاعر مصريّ، كثير النّظم، من دواوينه: الملّاح التّائه، وليالي الملّاح التّائه، وصاحب الجنّدول، توفي سنة 1949م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص21.

(2) قسّوم: عبد الرّازق؛ **قراءة مالكيّ لفتاوى الشّيخ بيوض**، بحث منشور ضمن أعمال الملتقى الأول لفكر الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، القرارة 8 – 9 محرّم 1421م، 13 – 14 أبريل 200م، ط جمعيّة الحياة، القرارة – غرداية/ الجزائر، ط 2002م، ص45.

ويرى أنّه ليس من المعقول أن نحظر الغناء والمعازف لكون فئة من النّاس استخدمتْه استخداماً سيّئاً، بل علينا أن نصحّح الفكرة والغاية، لتكون في صالح الأمّة، ونشر الفضيلة.

وإذا كانت هناك فئة من النّاس تعوّدت أن تنظر إلى الغناء من منظور السّفور والمجون، حسب عاداتهم وتقاليدهم، على هؤلاء أن يعلموا أنّ هناك أمّة من النّاس عرفوا كيف يستخدمون الغناء والمعازف، فأخذوا ما ينفعهم، وسخّروه لأجل أممهم وأوطانهم، وتركوا ما يضرّهم، فلا يجوز أن نمنع شيئاً باسم الدّين، ما دامت عاداتنا لا تتّفق مع هذا الشّيء.

على أنّه لابدّ من وضع ضوابط للغناء والمعازف، لا أن يُكبت، ولا أن يُترك سائباً يتلاعب به المتلاعبون، ويستغلّه المفسدون في الأرض، ولهذا قرّر قاعدة أنّ الغناء والمعازف إذا اقترَنا بمحرّم؛ انتقلا من الإباحة إلى الحرمة.

ولهذا يرى أنّ الغناء والمعازف قد تقدّمت وسائلها، فإذا تركها المصلحون استغلّها غيرهم، فهي أقرب إلى الفضاء المفتوح للجميع.

ويبيّن أنّ الأمّة بحاجة إلى الكثير من الجدّ، والقليل من اللّهو، ولو رُزقنا بفنّانين ذوي شرف ومقدرة؛ لأمكن تحويل الفنون إلى عوامل البناء لا الهدم، ولإثارة المشاعر النّبيلة لا إهاجة الغرائز الدّنيا.

وعموماً الغزاليّ في استدلاله تأثّر بفلسفة ابن حزم (ت 456هـ) وسبق الإشارة إلى فلسفته!

• رؤية محمّد حسين فضل اللّه[1]

سماحة السّيد محمّد حسين فضل الله (ت 2010م) نقطة مهمّة في نشر الوعي الدّينيّ المنفتح ليس على المدارس الإسلاميّة فحسب؛ بل حتى على المجموع الإنسانيّ ككلّ، فمن يتأمّل خطاباته وكتبه يجد الأبعاد الأربعة حاضرة لديه، والّتي تتمثّل في البعد الإنسانيّ المتجاوز للخطاب الطّائفيّ والمذهبيّ، فهو يتعامل بكلّ إنسانيّة مع إخوانه من الطّوائف والأديان الأخرى، والبعد الوحدويّ الّذي يتعامل به مع إخوانه المسلمين من المدارس الإسلاميّة، ويركّز على المشتركات بينهم، والبعد القرآنيّ الّذي يسعى إلى تحقيقه والانطلاقة منه، وسمّى موقعه بيّنات، وله تفسيره الكبير في القرآن في عشرين جزءاً سمّاه من وحي القرآن، وأخيراً البعد العصريّ الّذي يقترب من الشّباب ويجيب عن تساؤلاتهم، ويخاطبهم بلغة العقل والعصر، مع نشر ثقافة المحبّة، وأنّ الدّين في الأول والأخير هو المحبّة لا الكراهيّة، فأحِبّوا من خالفكم وأحبّوا أعداءكم.

ومن هذه المسائل المعاصرة الّتي تطرّق إليها فضل الله مسألة الغناء والمعازف، فكما أسلفنا كثر السّؤال عنها لأنّها أصبحت حاضرة عند الشّباب بسبب الانفتاح الفضائيّ، وظهور التّلفزة والإذاعة والشّريط السّمعيّ حينها، لهذا كان جواب السّيد كعادة أجوبته قريبة من استيعاب الشّباب، ودون توغّل

(1) للمزيد ينظر: فضل الله: محمّد حسين؛ **المسائل الفقهيّة**، ج1، ص195– 202، وج2، ص340 – 345.

كبير في التّفاصيل الدّقيقة للقضيّة، ومن جهة أخرى يعطي قواعد عامّة ليترك المجال واسعاً أمام الشّباب، دون سعة مطلقة ولا تضييق مُخلّ.

وعليه في هذه المسألة يرى أنّ الأصل في الغناء والمعازف الإباحة؛ إلا إذا اقترن بمحرّم، فينتقل من الحليّة إلى الحرمة، ويشترط أيضاً أن لا يكون الغناء منسجماً مع ألحان أهل الفسق والمجون، وهنا يفرّق بين الغناء الّذي يُثير الغرائز، ويؤدّي إلى الميوعة الشّعوريّة والسّلوكيّة، فيحرّم من جهة النّتائج السّلبيّة في الجانب الأخلاقيّ والرّوحيّ في حياة النّاس، وهذا ما يعبّر عنه بألحان أهل الفسوق، المناسبة لأجواء اللّهو المحرّم، وبين الغناء الّذي يرتفع بالرّوح، ويسمو بالنّفس، ويهدّئ الأعصاب، ويريح النّفس، فيحلّ من جهة النّتائج الإيجابيّة في المستوى النّفسيّ والأخلاقيّ والرّوحيّ، مع المضمون المنفتح على ما يرفع للإنسان مستواه في مواقع الصّفاء، والسّمو والنّقاء، وذلك كالموسيقى الهادئة أو الحماسيّة، ولهذا يخلص أنّ الفقيه لا يصحّ له أن يفتي دون الرّجوع إلى أهل الخبرة في معرفة الغناء المحرّم من الغناء الحلال.

- **رؤية محمّد عمارة**[1]

محمّد عمارة من المفكّرين المعاصرين الّذين ساهموا في الحراك الفكريّ المعاصر، وله تأثير كبير في الحركة الإصلاحيّة المعاصرة، وكذا الحركة النّقديّة والعقلانيّة الإسلاميّة -إن صحّ التّعبير -، لهذا اهتمّ بمؤلّفات المُصلحين، وله

(1) للمزيد ينظر: عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، مصدر سابق.
ولترجمته ينظر: **الموسوعة العالميّة ويكبيديا**، تأريخ الزّيارة: السّبت/ 3 مارس 2018م، السّاعة الواحدة والنّصف ظهراً.

العديد من التّقديم الواسع والطّويل للعديد من الكتب الإصلاحيّة الّتي تُصدرها مجلّة الأزهر الشّهريّة، كما له مجموعة من الأعمال الكاملة لهؤلاء، كالأعمال الكاملة لرفاعة الطّهطاويّ (ت 1873م)، والأعمال الكاملة لجمال الدّين الأفغانيّ (ت 1897م)، والأعمال الكاملة لمحمّد عبده (ت 1905م)، والأعمال الكاملة لعبد الرّحمن الكواكبيّ[1] (ت 1902م)، والأعمال الكاملة لقاسم أمين[2] (ت 1908م)، والأعمال الكاملة لعليّ مبارك[3] (ت 1893م).

وعمارة من مواليد مركز قلين بكفر الشّيخ في مصر، وله العشرات من المقالات والكتابات والمشاركات، وهو عضو مجمّع البحوث الإسلاميّة بالأزهر الشّريف.

ويأتي أهميّة كتاب الإسلام والفنون الجميلة -الذّي أصدرتْه دار الشّروق- أنّه انتقل في رؤيته لعلاج هذه القضيّة من جانب فقهيّ وروائيّ إلى جانب فلسفيّ من خلال قيمة الجمال، والّتي ارتبطت بعلْم الجمال، لهذا وإن كان

(1) عبد الرّحمن بن أحمد الكواكبيّ، رحالة، ومصلح، وكاتب سوريّ، صاحب جريدتيّ الشّهباء والاعتدال، من أشهر كتبه: طبائع الاستبداد، توفي سنة 1902م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص298.

(2) كاتب وباحث مصريّ، اشتهر بمناصرته ومدافعته عن المرأة، من كتبه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، توفي سنة 1908م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص184.

(3) مؤرخ ووزير مصريّ، بعث إلى باريس، فتعلّم الاستحكام، والمفرقعات، والحركات الحربيّة، من كتبه: الخطط التّوفيقيّة، وعلم الدّين، ونخبة الفكر في نيل مصر، توفي سنة 1893م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص322.

علْم الجمال قديم الحضور؛ لارتباطه بالفلسفة التّأمّليّة والأخلاقيّة، إلا أنّه كعلم حديث النّشأة، ولهذا كان انطلاق عمارة، فهو وإن لم يتعمّق فلسفيّاً فيه، إلا أنّه انطلق من جماليّة الإسلام، وأنّ الإسلام كما يراه لا يُخاصِم الجمال، ولا يُعادي فنونه، والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون المتجهّم الّذي ينزع عن جماليات الحياة فقط، فهناك المعايير الاعتقاديّة والأخلاقيّة الّتي يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون حتى تظلّ مصدراً حقيقيّاً للخير والجمال في حياة الإنسان!!

ويرى أيضاً من النّاس من يحسب أنّ هناك خصومة بين الإسلام وبين الجمال، خصومة تدعو المسلمين إلى التّجهّم في النّظرة إلى الحياة، وإدارة الظّهر إلى ما في الكون من آيات البهجة والزّينة والجمال، وسببه النّظرة السّلبيّة عند بعض المسلمين والتّراث الّذي ورثوه دون نقد وإعمال عقل إزاء بعض فنون الجمال.

وقد قسّم عمارة كتابه إلى أربعة فصول، تناول في الفصل الأول المسلم والجمال، فهو يؤكدّ في هذا الفصل أنّ الآيات القرآنيّة تنطلق بالإنسان بداية إلى جمال الكون، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والإنسان أُمر بالنّظر فيها والتّمتّع جماليّاً بها.

(1) الأنعام (99).

وبيّن عمارة أنّ الله تعالى استخدم في بعض الآيات حتى عبارات الجمال نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[1]، فلفظة الزّينة هي لفظة جمال.

والقرآن الكريم أمر المسلم بالتّزيّن والجمال، وفي الوقت نفسه أنكر فيمن شدّد وحرّم ذلك على نفسه، أمّا الأول فيظهر من خلال قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2]، وأتْبعها مباشرة بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3].

ثمّ عرّج عمارة إلى نماذج عمليّة للجمال النّبويّ من تسريحه –صلّى الله عليه وسلّم– لشَعره وتزيّنه وتعطّره، وظهوره الجماليّ في اللّباس وحسْن هيئته، واختياره لأصحابه الاسم الحسن، وكان يحبّ الجميل من الطّعام، بلا تقتير ولا إسراف، وحبّه للصّوت الحسن، وتحبّبه إلى خدَمه وحسْن معشره، وعدم إنكاره على النّاس في لهْوهم في أعيادهم، أي ما يسمّى اليوم بالفنون الشعبيّة.

وفي الفصل الثّانيّ يتطرّق إلى جماليّات السّماع، حيث يطرح في بدايته هذا السّؤال: لماذا شاعت وتشيع الكتابات والمأثورات حول مخاصمة الغناء والموسيقى وأدواتهما، والعداء لفنون التّشكيل رسْماً ونحْتاً وتصويراً على وجه الخصوص؟

---

(1) الحجر (16).

(2) الأعراف (31).

(3) الأعراف (32).

وفي الإجابة عن هذا السّؤال بعد بيان عمْق قِدم الخلاف، تبيّن أنّ سبب هذا يعود إلى ثلاثة منطلقات: الأول وقائع حدثت في عصر البعثة وفي بيت النّبوّة والمسجد النّبويّ وبيوت الصّحابة ممّا يدخل في السّنّة العمليّة والممارسة التّطبيقيّة للمنهج النّبويّ تعلن عن إباحة الغناء، وتفيد بوجود اجتهادات أراد أصحابها وهُم صحابة منع الغناء؛ لكنّ الرّسول أقرّ الغناء، ونبّه أصحاب هذه الاجتهادات على خطئهم.

والمنطلق الثّاني أحد عشر مأثوراً من الأحاديث تفيد منْع الغناء والنّهي عنه، مع توعّد السّامعين والمغنّين.

والمنطلق الثّالث تفسير عدد من مفسّري القرآن لفظة اللّهو في آية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1] بأنّها الغناء.

فعمارة انطلق بداية من المأثورات العمليّة، وسبق الإشارة إليها، وسيأتي بيانها في مبحث الأدلّة كرواية الجواري عند عائشة (ت 58هـ) وغيرها، وهي منطلق وشواهد عمليّة على إباحة الغناء وما يصاحبها من فنون مساعدة.

ثمّ انطلق من نقد ابن حزم (ت 456هـ) للرّوايات المأثورة، ومن تفسير آية اللّهو، وقد بلغت عشرين أثراً فخلص أنّها جميعها إمّا معلولة أو موضوعة، وأمّا آية اللّهو فتفسيرها بالغناء ليس حجّة لأنّه تفسير، ولو صحّ لكان مقيّداً بـ«يُضلّ عن سبيل الله»، وكلّ ما يُضلّ عن سبيل الله فهو حرام ولو شراء

(1) لقمان (6).

مصحف وتعليم قرآن، ثمّ أورد كلام القرطبيّ[1] (ت 671هـ) في الاختلاف في تفسير الآية، وسيأتي بيانه أكثر في مبحث الأدلّة.

وبعدما تحدّث عن الغناء تحدّث عن آلات العزف –الموسيقى –، وخلص إلى أنّ الأحاديث الّتي وردت في منْعها أو تحريمها هي الأخرى معلولة بمقاييس علم الجرح والتّعديل.

ولهذا يصل إلى قاعدة أنّ الغناء لا يعدو أن يكون بعضاً من ألوان الجمال الّذي خلقه الله تعالى، ومعيار الحلّ والحرمة فيه هو وظيفته الّتي يوظّف فيها، والمقصد الّذي يقصده النّاس من ورائه، فإن أسْهم في ترقية السّلوك الإنسانيّ، والارتقاء بعواطف النّاس، وأعان على تذوّق نِعم الله في كوْنه، والكشف عن آيات الجمال في إبداعه؛ كان خيراً، وإلا فهو منكر بلا خلاف.

والسّنّة الفقهيّة تحكم على الغناء من خلال وظيفته لما يمثّله من ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانيّة، فهو يدور بين الإباحة والكراهة والحرمة تبعاً لوظيفته وطبيعته.

وهنا يشير إلى لطيفة جميلة وهي أنّه في العهد النّبويّ كان يسمّى الغناء واللّهو، واستخدمت هذه اللّفظة لعدّة قرون[2]، وفي عهد الشّافعيّ (ت 204هـ)

(1) محمّد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاريّ، أبو عبد الله القرطبيّ، من كبار المفسّرين، وصاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة 671هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص322.

(2) ومصطلح اللّهو أو آلات اللّهو استخدمت عند الإباضيّة في فقههم لفترة طويلة. ينظر: الوهيبيّ: خالد، **ورقة عمل الموسيقى وتقاليد الحكم السّياسيّة في عُمان**، ورقة مقدّمة للنّادي الثّقافي بسلطنة عُمان، مرقون.

ظهر مصطلح غناء الزّنادقة ليصدّوا به عن القرآن الكريم، ولمّا شاع التّصوّف ظهر مصطلح السّماع.

وأمّا الفصل الثّالث كان معنوناً بهذا السّؤال: فيْمَ الخلاف؟، وينطلق في الإجابة عليه من خلال لونين من الخلاف والمخالفين: اللّون الأول المقلّدون من عامّة الكتّاب الّذين عاشوا وكتبوا في ظلّ سيادة النّصوص الحرفيّة الجامدة، وهيمنة التّقليد، وضمور ملكة الاجتهاد، فتراجع الغناء كفنّ عام إلى فنّ مرتبط بالفسوق والمجون، فانقطعت العلاقة بين الغناء والفنّ الجميل، ثمّ جاء من يقدّس هذه الآراء والأقوال السّلبيّة، وتحرّجوا عن إعمال العقل فيها، فعمّموا تحريم الغناء على جميع الغناء.

واللّون الثّانيّ يربطه بسقوط بغداد على أيدي التّتار، حيث تراجعت العقلانيّة الإسلاميّة الجامعة بالوسطيّة بين النّقل والعقل، فكانت السّيادة للنّصوصيّة المخاصِمة للعقل، ولنقيضها الغنوصيّة المخاصِمة للعقل والنّقل معاً!!

وهذا سقط على السّماع لأنّ الباطنيّة الغنوصيّة نقلوا الغناء من ميدان الفنّ إلى ميدان العبادة الدّينيّة، الّتي يتقربون بها إلى الله تعالى، ويحلّونها محلّ العبادات والشّعائر الّتي جاء بتحديدها القرآن وسنّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وهنا تكمن معرفة الخلاف، وسبب ارتفاع صوت النّظرة السّلبيّة.

وأمّا الفصل الرّابع فكان عن جماليّة الصّور والرّسم والنّحت، وهذا لا يهمّنا كثيراً؛ لأنّه غير متعلّق ببحثنا، وتحدّثت بصورة سريعة عن هذا الجانب في كتابي فقه التّطرّف يمكن الرّجوع إليه.

وبهذه الرّؤية يقدّم عمارة رؤية متقدّمة وجديدة سيتفيد منها يوسف القرضاويّ (معاصر) كما سنرى لاحقًا.

- **رؤية يوسف القرضاويّ**[1]

العلّامة يوسف بن عبد الله القرضاويّ من مواليد صفط تراب مركز المحلّة الكبرى بمحافظة الغربيّة في مصر عام 1926م، وكانت له علاقة كبيرة مع المفكّر الإسلاميّ محمّد الغزاليّ (ت 1996م)، وعندما ألّف الأخير كتابه السّنّة بين أهل الفقه وأهل الحديث، وحدثت ضجّة حوله، طلب من القرضاويّ تأصيل هذا الأمر، فألّف كتاب كيف نتعامل مع السّنّة النّبوية، ويعتبر كتابه فقه الزّكاة من أفضل ما كتب عن الزّكاة في العصر الحديث، ويعتبر القرضاويّ من أكثر الدّعاة الإسلاميّين المعاصرين ممّن جمع بين اللّسان والقلم، فهو متحدّث بارع، وخطيب مفوّه، وفي الوقت نفسه قلمه سيّال، وناقش العديد من القضايا المعاصرة، وكَتَبَ عن حياته في أربعة مجلّدات كبار بعنوان: ابن القرية والكتاب: ملامح سيرة ومسيرة، وله ذاكرة قويّة، ويميل إلى الوسطيّة والاعتدال في العديد من آرائه الفقهيّة، وأحدثَ كتابه الحلال والحرام في الإسلام ضجّة كبيرة حينها.

(1) للمزيد ينظر: القرضاويّ: يوسف؛ **الإسلام والفنّ**، مكتبة وهبة/ مصر.
ولترجمته ينظر: **الموسوعة العالميّة ويكبيديا**، تأريخ الزّيارة: السّبت/ 5 إبريل 2018م، السّاعة السّابعة والنّصف صباحًا.

والقرضاويّ توجّهه إخوانيّ، وتعرّض للسّجن أيام جمال عبد النّاصر (ت 1970م) فهاجر إلى قطَر، وظلّ بها إلى اليوم، وهو المفتي الرّسميّ بها، كما إنّه رئيس الاتّحاد العالميّ لعلماء المسلمين.

إلا أنّ القرضاويّ كما أحدث ضجّة دينيّة، أحدث أيضًا ضجّة سياسيّة خاصة بعد ثورات الرّبيع العربيّ 2011م، ممّا جعل بعض الدّول تصنّفه في قائمة الإرهاب!!

وعلى العموم يبقى القرضاويّ قامة علميّة وفكريّة، أثّر في العالم الإسلاميّ بخطبه وكتاباته لأكثر من نصف قرن، ومن هذه المسائل الّتي أثارها مسألة الغناء والموسيقى، والّتي كان الحديث حولها أشبه بالمحرّمات، فقد ناقش المسألة في كتابه الحلال والحرام في الإسلام، وكتابه فتاوى معاصرة خصوصًا الجزء الثّاني منه، وفي عام 1995م ألّف كتاب الإسلام والفنّ، ثمّ طُبع باسم فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسّنّة.

والقرضاويّ نهج منهج محمّد عمارة (معاصر) في كتابه الإسلام والفنون الجميلة في تأصيل فلسفة الجمال قرآنيًّا وإسلاميًّا، إلا أنّ القرضاويّ أسهب في بيان فلسفة الجمال في الإسلام قرآنًا وسنّة، كما إنّه توسّع في مبحث الأدلّة ومناقشتها، وزاد إلى الجَمالَين فنّ الجمال المسموع وفنّ الجمال المرئيّ كالتّصوير؛ فنّ الفكاهة والمرح (الكوميديا)، وفنّ اللّعب.

وكعادة من تساهل في قضيّة الغناء والمعازف ينطلق القرضاويّ في الغريزة الفطريّة للصّوت الحسن، حيث يقول: لو تأمّلنا لوَجدنا حبّ الغناء والطّرب للصّوت الحسن يكاد يكون غريزة إنسانيّة، وفطرة بشريّة،

حتى إنّنا لنشاهد الصّبيّ الرّضيع في مهده يُسكته الصّوت الطّيّب عن بكائه، وتنصرف نفسه عمّا يُبكيه إلى الإصغاء إليه، ولذا تعوّدت الأمّهات والمرضعات والمربّيات الغناء للأطفال منذ زمن قديم، بل نقول: إنّ الطّيور والبهائم تتأثّر بحسن الصّوت والنّغمات الموزونة حتى قال الغزالي (ت 505هـ) في الإحياء: من لم يحرّكْه السّماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الرّوحانيّة، زائد في غلظة الطّبع، فيغلظ الطّبع وكثافته على الجمال والطّيور وجميع البهائم، إذِ الجَمل -مع بلادة طبعه- يتأثّر بالحُداء تأثّراً يستخف معه الأحمال الثّقيلة، ويستقصر -لقوّة نشاطه في سماعه- المسافات الطّويلة، وينبعث فيه من النّشاط ما يُسكره ويولّهه، فترى الإبل إذا سمعت الحادي تمدّ أعناقها، وتُصغي إليه ناصبة آذانها، وتُسرع في سيرها، حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وهنا يطرح القرضاويّ هذا السّؤال: إذا كان حبّ الغناء غريزة وفطرة فهل جاء الدّين لمحاربة الغرائز والفِطَر؟ والتّنكيل بها؟ كلا، إنّما جاء لتهذيبها والسّموّ بها، وتوجيهها التّوجيه القويم.

لهذا يقرّر القرضاويّ أنّ فلسفة الجمال في القرآن فلسفة جماليّة نفعيّة، وضرب لذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[1]، وهذا الجزء بيان لجانب المنفعة يتبعه بجزء الجمال: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾[2].

(1) النّحل (5).
(2) النّحل (6).

أيضا يضرب مثالاً من خلال قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالرّكوب يحقّق منفعة ماديّة مؤكّدة، أمّا الزّينة فهي متعة جماليّة فنيّة.

لهذا يرى القرضاويّ أنّ القرآن معجزة جماليّة، إضافة إلى أنّه معجزة عقليّة، فقد أعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظْمه وأسلوبه، وتفرّد لحنه وموسيقاه، حتى سمّاه بعضهم: سحْراً.

وبعد الحديث عن الجمال في الإسلام، وعن جماليّة القرآن ينطلق إلى مناقشة الحكم الشّرعيّ للغناء والمعازف، ويعلّل سبب الغلوّ والإفراط في الغناء والمعازف لأنّ اللّهو والفنون يتّصل بالشّعور والوجدان أكثر ممّا يتّصل بالعقل والفكر، وما كان شأنه كذلك فهو أكثر قبولاً للتّطرّف والإسراف من جهة، وللتّشدّد والتّزمّت من جهة ثانية، ويبيّن سبب تشدّد المتأخّرين من العلماء والفقهاء مع تساهل المتقدّمين إلى ثلاثة أسباب رئيسة: الأول: نظريّة الأخذ بالأحوط لا بالأيسر، والثّاني: الاغترار بالأحاديث الضّعيفة والموضوعة، والثّالث: ضغط الواقع الغنائيّ بما يُلابسه من انحراف وتجاوز، كان له أثره في ترجيح المنع والتّحريم.

ويقرر هنا أنّه يجوز لهؤلاء أن يشدّدوا على أنفسهم إذا اقتنعوا بذلك، ولكن الخطر هنا أن يعمّموا هذا التّشديد على المجتمع كلّه، ويُلزموه برأي رأوه، في أمر عمّت به البلوى، ويمسّ حياة النّاس كافّة.

لهذا من خلال خبرة القرضاويّ واتّصاله بالفتاوى، واختلاطه بالشّباب؛ يرى من المسائل الّتي يكثر حولها الجدل في الوقت المعاصر: ما حكم الغناء

(1) النّحل (8).

والموسيقى في الإسلام، وهنا يقرّر القرضاوي أنّ الشّباب وجمهور المسلمين انقسموا ثلاثة أقسام: قسم يفتح أذنيه لكلّ نوع من أنواع الغناء، ولكلّ لون من ألوان الموسيقى، مُدّعياً أنّ ذلك حلال طيب الطّيبات المباحة، وقسم يغلق الرّاديو، أو يغلق أذنيه عند سماع أيّ أغنية قائلاً إنّ الغناء مزمار الشّيطان، ولهو الحديث، ويصدّ عن ذكر الله، وعن الصّلاة، وخاصّة إذا كان المغنّي امرأة، فالمرأة -عندهم- صوتها عورة بغير الغناء، فكيف بالغناء؟!! ومن هؤلاء من يرفض أيّ نوع من أنواع الموسيقى، حتى المصاحبة لمقدّمات نشرات الأخبار!! وقسم وقف متردّداً بين الفريقين؛ ينحاز إلى هؤلاء تارة، وإلى أولئك طوراً، ينتظر القول الفصل، والجواب الشّافيّ من علماء الإسلام في هذا الموضوع، الّذي يتعلّق بعواطف النّاس وحياتهم اليوميّة، بعد أن دخلت الإذاعة وخصوصاً المسموعة والمرئيّة -على النّاس بيوتهم، بجدّها وهزلها، وجذبت إليها أسماعهم بأغانيها وموسيقاها طوعاً وكرهاً.

لهذا وضع القرضاوي جزءاً من كتابه في مناقشة الأدلّة، منطلقاً من قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، إذ قرّر علماء الإسلام أنّ الأصل في الأشياء الإباحة، لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[1]، ولا تحريم إلا بنصّ صحيح صريح من كتاب الله تعالى، أو سنّة رسوله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- أو إجماع ثابت متيقّن، فإذا لم يرِدْ نصّ ولا إجماع. أو وردَ نصّ صريح غير صحيح، أو صحيح غير صريح، بتحريم شيء من الأشياء، لم يؤثّر ذلك في حلّه، وبقي في دائرة العفو

(1) البقرة (29).

الواسعة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[1]، ولرواية: ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سُكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإنّ الله لم يكن لينسى شيئاً: وتلا: ﴿وما كان ربّك نسيّا﴾[2].

وبعد مناقشة أدلّة المحرّمين خلص إلى أنّ النّصوص الّتي استدلّ بها القائلون بالتّحريم إمّا صحيح غير صريح، أو صريح غير صحيح، ولم يسلم حديث واحد مرفوع إلى رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- يصلح دليلاً للتّحريم، وكلّ أحاديثهم ضعّفها جماعة من الظّاهريّة، والمالكيّة، والشّافعيّة، والحنابلة.

وبالنّسبة لأدلّة المُجيزين قال: ولو لم يكن معنا نصّ أو دليل واحد على ذلك غير سوط أدلّة التّحريم، فكيف ومعنا نصوص الإسلام الصّحيحة الصّريحة، وروحه السّمحة، وقواعده العامّة، ومبادئه الكلّيّة.

وختم بحثه في فنّ جمال الصّوت المسموع ببيان قيود السّماع، وأرجعَها إلى أربعة: الأول: أن يكون موضوع الغناء متّفِقاً مع أدب الغناء وتعاليمه، فلا يصحّ مثلاً غناء تمجيد الظّلمة، والثّاني: أن لا يكون الأداء متكسّراً يهيّج الغرائز، والثّالث: أن لا يقترن بشيء محرّم كخمر أو تبرّج، والرّابع: عدم الإسراف في الغناء.

(1) الأنعام (119).

(2) أخرجه الحاكم وصحّحه من طريق أبي الدّرداء.

القراءة العامّة للرؤى

أخذنا في هذا المبحث ثلاثة عشر نموذجًا من المتقدّمين والمتأخّرين، كنماذج نظرت إلى الغناء والمعازف من منظور مختلف وهي:

- رؤية أبي حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ (ت 505هـ).
- رؤية عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهريّ (ت 456هـ).
- رؤية أبي الفتوح أحمد بن محمّد الطّوسيّ الغزاليّ (ت 520هـ).
- رؤية إخوان الصّفا وخلّان الوفا (القرن الثّالث والرّابع الهجريّ).
- رؤية محمّد بن أحمد بن الحاج الشّاذليّ (ت 882هـ).
- رؤية محمّد بن عليّ الشّوكانيّ (ت 1250هـ).
- رؤية محمّد رشيد رضا (ت 1935م).
- رؤية محمود شلتوت (ت 1963م).
- رؤية بيوض بن عمر (ت 1981م) وتلميذه البكريّ (ت 1986م).
- رؤية محمّد الغزاليّ (ت 1996م).
- رؤية محمّد حسين فضل الله (ت 2010م).
- رؤية محمّد عمارة (معاصر).
- رؤية يوسف القرضاويّ (معاصر).

وكنّا نأمل أن نضيف رؤية الحافظ أبي الفضل محمّد بن طاهر بن عليّ المقدسيّ القيسرانيّ الظّاهريّ (ت 507هـ) إلا أنّها ركّزت بصورة كبيرة في

مناقشة الأدلّة، حيث خلص إلى الجواز، وناقش روايات المنع حسب منهج أهل الحديث[1].

سنجد الرّؤى الأولى على ثلاثة نماذج: النّموذج الأول يتّجه في مناقشة أدلّة المنع من الرّواية، أو تأويل بعض الآيات، ويفنّدها حسب منهج المحدّثين، كما عند ابن حزم (ت 456هـ) وابن القيسرانيّ (ت 507هـ)، ونموذج تأثر بالفلسفة المترجمة، والنّظرة الفلسفيّة في الألحان والمعازف والآلات وعلاقتها بالجانب الرّياضيّ كما عند إخوان الصّفا وخلّان الوفا (القرن الثّالث والرّابع الهجريّ)، ونموذج ثالث دمج بين الجانبين: الجانب الفقهيّ والرّوائيّ والجانب الفلسفيّ كما عند أبي حامد الغزاليّ (ت 456هـ)، ومن خلال هذا الأخير بدأ يتشكّل منهج السّماع عند الصّوفيّة، كما ظهر بعده عند أبي الفتوح الطّوسيّ الغزاليّ (ت 520هـ)، ومحمّد الشّاذليّ (ت 882هـ)، حتى قَوِي رأي التّحريم وعمَّ فظنّه النّاس إجماعاً فكفّروا من أباحه أو أجازه ولهذا جاء من المتأخّرين من أبْطلَ نظريّة الإجماع في التّحريم وما يتعلّق به من تكفير أو تفسيق كما عند الشّوكانيّ (ت 1250هـ).

وبعد اختراع الإذاعة، وابتدأ بثّها في عام 1906م، وإن كان التّلفاز اكتشف مبكّراً إلا أنّ عصره الذّهبي كان في بداية القرن العشرين؛ هنا بدأ السّؤال عن الغناء والمعازف من جديد وبكثرة، خاصّة بعد ظهور الأسطوانات الغنائيّة فـ(الكاسيت/ الأشرطة)، حيث بدأت المراجعة كما ظهر عند محمّد رشيد رضا (ت 1935م)، ومحمود شلتوت (ت 1963م).

(1) ينظر: المقدسيّ القيسراني: محمّد بن طاهر بن عليّ، **كتاب السّماع**، مخطوط.

وهذا أثّر على فقه الدّعوة عند الإصلاحيين، فكانت نظرتهم أكثر سعة وعمقاً وانفتاحاً في الوقت نفسه على قضايا العصر ومشاكله كما عند بيوض بن عمر (ت 1981م) وتلميذه البكريّ (ت 1986م)، وعند محمّد الغزاليّ (ت 1996م)، ومحمّد حسين فضل الله (ت 2010م).

بيد أنّ ظهور فلسفة الجمال في القرن السّابع عشر، وظهوره في القرن العشرين وربْطه بالحداثة عند الغربيّين سيؤثّر على النّظرة الدّينيّة العربيّة عند المسلمين للغناء والمعازف لكونه مرتبطاً بالجمال، ولهذا سيكون هذا الجزء من الفلسفة حاضراً في علاج القضيّة ومراجعتها من جديد كما عند محمّد عمارة (معاصر)، ويوسف القرضاويّ (معاصر).

لهذا سنجد الاتّفاق على أنّ الانفتاح السّلبيّ في القرون الأولى، واختلاط جلسات الغناء بالخمر والقمار؛ جعل الفقهاء ينظرون إليه بسلبيّة، كما إنّ الوعّاظ قاموا بوضع عشرات الرّوايات المنفّرة منه، حتى تصوّر النّاس أنّ المنع هو الأصل، وأنّ الحرمة شبه إجماع، وأنّ الرّأي الآخر شاذّ، لهذا ارتبطت مناقشة هذا الجانب بمناقشة الأدلّة، وإبطال نظريّة الإجماع والتّكفير والتّفسيق!!

كذلك أثّر أيضاً الجانب الصّوفيّ وغلوّه في المديح، ومبالغته فيه، إلى وجود نظرة سلبيّة، من هنا أيضاً كانت بعض المراجعات النّاقدة لهذا الجانب، حيث وجود سلوكيّات خاطئة لا يعني بحال من الأحوال فساد أصل القضيّة!!

ومع الانفتاح المعاصر، وشيوع مجالس وتسجيلات هادفة، وليست قرينة مجالس الخمر والقمار، كالمسارح، وتسجيلات الأشرطة والتّلفزة والإذاعة؛

حدث رأي أكثر انفتاحاً، وبالتّالي قلّت النّظرة السّلبيّة، خاصّة مع حضور الموسيقى الواضح في كلّ شيءّ حتى الهواتف وقاعات الانتظار والمستشفيات ونحوها.

إلا أنّ ظهور حركة الصّحوة في الثّمانينيّات والتّسعينيّات من القرن العشرين الميلاديّ حاولت إحياء القول بالحرمة، وإشاعته على أنّه رأي الإسلام، بيد أنّ الانفتاح الفضائيّ، والشّبكة العالميّة، ووسائل التّواصل الاجتماعيّ؛ جعل القول الآخر حاضراً وأكثر بروزاً، وربّما يكون مستقبلاً القول بالحرمة المطلقة قولاً شاذّاً، كطبيعة الأقوال، فكم من قول شاذّ الآن كان مشهوراً في زمن غابر، والعكس صحيح!

- **فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصور القديمة**

تحدّثنا في المبحث الأول من هذا الفصل عن تأريخيّة الغناء والمعازف من العصور القديمة وحتى العصر الحديث، ثمّ وضعْنا مقدّمة لعلم الجمال وتعريفه وتأريخ نشأته، ثمّ ربطْنا ذلك بنظرة القرآن جماليّاً، وأتينا بثلاثة عشر نموذجاً من كتب المتقدّمين والمتأخّرين، ولكي نختم هذا الفصل نضع استقراء بسيطاً لفلسفة الجمال من العصور القديمة وحتى العصر الحديث، وهذا بطبيعة الحال مبحث استقرائيّ لما أسلفنا حوله تأريخيّاً.

الجمال مرتبط بالإنسان والكون والطّبيعة، ولهذا يُسقط الإنسان هذا الجمال من خلال تأمّله ونظرته، ومن خلال سِيره ومعاشه، وسماعه وإنصاته، فهو يرى جمال الوجود، ويتمتّع بأصوات العصافير، وخرير المياه!!

والمحاكاة فلسفة قديمة عند الإنسان، ولسببها حاول كشف سنن الوجود، فحاول محاكاة الطّيور لأجل أن يطير، وحاول أن يُحاكي الحصان لأجل أن يكتشف آلة تختصر له الزّمن في التّنقل، ويذكر القرآن أنّه قام بمحاكاة الغراب لأجل دفن الميت: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

ومن المحاكاة حاول محاكاة حناجر الحيوانات ليصنع آلات تُخرج الصّوت عن طريق الأنبوب أو النّفخ أو الضّرب على الأوتار، كما إنّه حاول محاكاة الطّبيعة في ظهور الأصوات بقوّة فسخّر جلود الحيوانات في صناعة الطّبول ونحوها.

كما إنّ الإنسان أيضاً قام بمحاكاة الطّبيعة في الحسّ؛ حاول محاكاة الكون في النّظم والأشعار، فجعلها موزونة بشكل يُدخل اللّذّة في السّماع، ثمّ حاول أن يقرّب الجمال في الكون والطّبيعة من خلال المفردات الحقيقيّة لتشكّل بُعداً مجازيّاً وبلاغيّاً من خلال الخيال والتّشبيهات والاستعارة، وهكذا استطاع أن يصنع بعض الألحان لتجمع بين الآلة وهذا الكلام الموزون.

وبطبيعة الحال لا يمكن حتى الآن معرفة متى استطاع الإنسان كشف ذلك، ولكن من المؤكّد أنّه بدأ من البدايات الأولى للإنسان، ولأنّ الإنسان متطوّر بطبعه فكراً وكشْفاً للحياة؛ إلا أنّه استطاع كشف ذلك مبكّراً إمّا لسهولة كشْفها، أو لارتباطها الفطريّ بالإنسان، خلافا للسّنن الأخرى في النّقل

(1) المائدة (31).

ومقاومة الأمراض ونحوها فقد تطوّر كشْفها ببطئ شديد حتى بعضها كُشفت بعد آلاف السّنين.

وقد رأينا في المباحث التّأريخيّة أنّ الغناء والمعازف ارتبطَ بالحضارات الأولى، وظهرت آثاره في الحضارة المصريّة القديمة، ودوّن بعض آلاتها في التّوراة القديمة، وهكذا في الحضارات الفينيقيّة والآشوريّة والكلدانيّة، ممّا يدلّ على عمق كشفها في التّأريخ، وعمّق محاكاة جمال الطّبيعة، وتحويله إلى معنى موزون، وآلات تُحاكي الحناجر والقرع والضّرب والأوتار بشكل جماليّ بهيج، وهذا بدوره ساهمَ في كشف الألحان منذ فترة مبكّرة جداً.

ولمّا قامت الحضارة الإغريقيّة ظهر ما يسمّى بعلم الجَمال، حيث إنّ الجمال والفنّ نشأ مع وجود الإنسان، إلا أنّه كعلم فلسفيّ نشأ مع نشأة فلاسفة علماء اليونان القدماء[1]، فعلم الاستاطيقا Aesthetics يرجع إلى نهاية القرن الثّامن الميلاديّ عند الفلاسفة الإغريق[2].

والجمال بطبيعته يشمل جمال الصّوت وجمال النّقش والرّسم، والاثنان قديمان موغلان في التّأريخ، بيد أنّه سهل توثيق النّقش والرّسم على الصّخور والأواني والمعابد والجدران والقبور والبيوت، وهذا خلاف توثيق الغناء والألحان، لصعوبة توثيق ذلك إلا في العصر الحديث عندما اكتشف الإنسان

(1) مطر: أميرة حلميّ؛ **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، مصدر سابق، ص11.

(2) موقع فيدو على الشّبكة العالميّة، الرابط:

http://www.feedo.net/QualityOfLife/QualityOfLifeBasics/Aesthetics.htm

لزّيارة: 28 شعبان 1437هـ، 6 مايو 2016م، وقت الزيارة: السّاعة الخامسة مساء (بتصرّف).

وسائل حفظ الأصوات كالأسطوانات ونحوها، بيد أنّ الرّسم والنّقش، وكذا الرّوايات المقدّسة والقديمة كالتّوراة وجلجامش، حفظت حضور هذا الجانب الجماليّ مع الإنسان، وارتباطه به منذ فترة مبكرة جدّاً، إلا أنّه كما أسلفنا يصعب جدّاً كشْف تحديد بدايته، أو تحديد فترات تطوّره إلا عن طريق التّخمين والاستقراء الظّنيّ، والّذي يهمّنا هنا أنّ الجمال فطرة غريزيّة وُجدت مع الإنسان منذ بداياته الأولى وصراعه مع الطّبيعة.

- **فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصرين الجاهليّ والنّبويّ**

تحدّثنا في أول الكتاب عن ماهيّة العصرين، والفترة الزّمنيّة لهما، وهنا نشير فقط إلى قضيّة حضور بُعد الجمال في العصرين، والّذي يهمّنا أنّ العصر الجاهليّ -كما رأينا سابقًا- يحمل بُعدين: البُعد الجغرافيّ، وهو أقرب إلى الحجاز والجزيرة العربيّة عمومًا بما في ذلك العراق واليمن، والبُعد المعنويّ فيكون أشمل زمانًا، وتدخل فيه حضارات عديدة، وعليه إنْ قلْنا بالثّاني فالجمال كفنّ وعلم حاضرٌ عند حضارات وأمم آنذاك، خصوصًا الإغريق والفرس، وإنْ قلْنا بالأول فالأمر ليس ببعيد أيضًا كاليمن والحجاز وعُمان، حيث إنّ العديد من بلدان الجزيرة العربيّة كانت تحت التّأثير الرّومانيّ والفارسيّ.

وعمومًا ضعف تدوين هذه الفترة، وكذا صعوبة ضبطها علميًّا أحدث بعض الضّبابيّة من جهة، والتّداخل من جهة أخرى في فهْمها وتقويمها، ومع هذا يبقى الجمال بشكل فطريّ حاضر عند الإنسان، وإن لم يؤلّف له علْمًا،

فجمال الغناء كان حاضراً عند العربيّ عمومـًا، فبدو الصّحراء وهم يتنقّلون من مكان إلى آخر، متحمّلين قسوة الطّبيعة؛ كان جمال الغناء لا يُفارقهم، والدّفّ والطّبل والمزمار والصّوت الحسن والرّقص يخفّف بعض مشاقّ الطّبيعة وقسوتها، لهذا كان الحُداء يصاحبهم في أسفارهم، وتطيب به الإبل وحيواناتهم؛ لأنّه فطريّ يتناغم مع جَمال الوجود، ليتناغم معه من في الوجود، كما ظهر عندهم غناء الحروب والأفراح وترقيص الأطفال وتنويمهم وتسليتهم.

وهكذا كان العربيّ أيضـًا وهو يجوب البحار طلبـًا للرّزق، وبحثـًا عن اللّؤلؤ، فيتسلّى بجمال الغناء، وإذا سكن به اللّيل، وهو يهتدي بجمال النّجوم، ويتمتّع بجمال البحر والسّماء، يسقط هذا على نفسيّته، ليبدع في ألحانه وغنائه، فيتسلّون وهم يشقّون البحار بين جمال الطّبيعة، وجمال الحناجر والآلة الّتي صنعوها ليُحاكوا هذه الأوتار الطّبيعيّة، وأصوات الحيوانات، مع الشّعر الّذي تعارفوا عليه، فيُسقط بُعداً جماليّـًا يخفّف عنهم بعض مشاقّ السّفر والحياة.

وهكذا إذا تمدّدنا قليلاً إلى مناطق الاستقرار، وأماكن الخضرة والأفلاج والطّبيعة، فهؤلاء لهم ألوانهم في الألحان والغناء، فهناك الألحان العراقيّة واليمنيّة والحجازيّة والمصريّة والعُمانيّة والشّاميّة، ممّا أسقطته الطّبيعة جمالاً في الإنسان، ليُسقط ذلك من خلال حنجرته وآلته، ويضع من الشّعر ما يتوائم بين طبيعة حنجرته، وصناعة آلته، فالغناء وجَماله فطريّ فُطر به الإنسان مهما كانت بيئته، ومهما كانت ثقافته ومعيشته.

وأمّا العصر النّبويّ فلم يقف الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من خلال رسالته وإصلاحه موقفًا مُعاديًا للجمال؛ بل وقف موقفًا مهذّبًا، كما روت الرّبيع بنت معوذ (ت بضع وسبعين للهجرة) قالت: جاء النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يدخل حين بني علي، فجلس على فراشي مجلسك منّي، فجعلت جويريات لنا يضربْن بالدّف، ويندبْن من قُتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهنّ: وفينا نبيّ يعْلَم ما في غد، فقال: دعي هذا، وقولي بالّذي تقولين[1]، فهنا لم يُنكر عليها، وإنّما هذّب بعض كلامها ليتوافق مع القِيم الكبرى.

ولمّا هاجر العديد من مكّة إلى المدينة، وجدوا في المدينة الطّرب والرّقص من الاستقبال الأوليّ، وهذا لم يعهدوه في مكّة، ومع هذا لم يُنكر عليهم الرّسول عادتهم، وهذا أقرب اليوم إلى الفنون والأهازيج الشّعبيّة، بل شاركَهم الإنشاد والغناء وهم يبنون مسجد قباء، ويحفرون الخندق يوم الأحزاب.

وممّا يدلّ على عدم ألفة بعض المهاجرين لبعض الغناء في المدينة ما رَوتْه عائشة (ت 58هـ) قالت: دخل عليّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وعندي جاريتان تغنّيان غناء بعاث[2]، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر (ت 13هـ) فانتهرني: مزمارة الشّيطان عند النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ، فأقبل النّبيّ فقال: دعْهما، فلمّا غفِل غمزَتْهما فخرجَتا[3]، وذلك لأنّ أبا بكر لم يألفْ هذا النّوع من الغناء، وهذا طبيعيّ، فقبل فترة زمنيّة بسيطة عندما دخل إنشاد الغناء المساجد غضب العديد من كبار السّنّ؛ لأنّهم لم يألفوا هذا، كما

(1) تقدّم تخريجه.
(2) تقدّم: يوم من أيام العرب في الجاهليّة.
(3) تقدّم تخريجه.

يُنكر البعض أنواعاً من الغناء لأنّه لم يألفْه في بلده، فالعُمانيون أَلِفوا الأهازيج والأغانيّ الشّعبيّة كالرّزحة لكنهم لم يألَفوا الدّبكة الشّاميّة مثلاً!!

وعموماً رأينا القرآن الّذي جاء به النّبي الأكرم –عليه الصّلاة والسّلام– في ذاته جَمال لغويّ وموسيقيّ، وكان الرّسول يُعجبه الصّوت الحسَن، والتّرتيل الحسَن، وكان هناك جَمال الأذان، لهذا كان بلال هو المؤذّن لأنّه أندى صوتاً، فالجَمال شيء فطريّ لا يتعارض مع رسالات الله، ولكن جاءت هذه الرّسالات لتهذيب هذه الفنون بما يخدم الإنسان واستعماره للأرض!!

- **فلسفة الجمال في الغناء والمعازف ما بعد العصر النّبويّ**

حدّدنا سلفاً هذه الفترة من بداية خلافة أبي بكر (ت 13هـ) وحتى العصر الحديث، ويدخل فيها كما أسلفْنا ما يسمّى بالخلافة الرّاشدة فالأمويّة والعباسيّة وما بعدها، والّذي يهمّنا هنا البُعد الفلسفيّ الجماليّ؛ لأنّ الجانب التّأريخيّ سبق الحديث عنه، وقد تأثّرت هذه الفترة بمرحلتين مهمّتين: المرحلة الأولى مرحلة التّمدّد الجغرافيّ لهذه الدّول تحت مُسمّيين (الخلافة – الفتوحات)[1]، والمرحلة الثّانية الانفتاح الحضاريّ وانتشار التّرجمة من لغات الأمم الأخرى إلى العربيّة، وتشجيع الخلفاء على ذلك، هاتان المرحلتان أثّرتا كثيراً على الغناء والمعازف إيجاباً وسلباً.

أمّا من حيث الإيجاب فقد تحوّل الغناء والمعازف من جانب جماليّ فطريّ إلى علم له قواعده وأصوله، كما في كتاب النّغم ليونس الكاتب (ت 135هـ)، والموسيقى الكبير للفارابيّ (ت 339هـ)، ورسالة تأثيرات اللّحون

(1) لنا بحث موسّع في هذا باسم فلسفة الدّولة، عسى أن يتمّ قريباً بإذن الله تعالى.

الموسيقيّة في النّفوس الحيوانيّة لابن الهيثم (ت 430هـ)، والكافي في الموسيقى لأبي منصور الحسن بن زبلة (ت 440هـ)، والموسيقى كمال أدب الغناء للحسين بن أحمد الكاتب (ت 652هـ)، ورسائل إخوان الصّفا وخلّان الوفا.

كما إنّه دخلت فنون وألحان جماليّة جديدة من الرّوم والفرس والهند وأفريقيا ونحوها كالغناء المُتقن الّذي يقابل غناء الرّكبان في العصر الجاهليّ، وفنّ الموشّحات في العهد الأندلسيّ، والموالد أو المالد في عهد الفاطميّين والمماليك، وفنّ خيال الظّلّ في عصر الظّاهر بيبرس (ت 676هـ)، والغناء الصّوفيّ أو الدّراويش، كما استطاعوا كشْف آلات جديدة كأخْذهم العود من الفرس، مع تطوير الآلات القديمة، وهذا بدوره سيؤثّر إيجابًا في هذا الجانب.

أمّا الأمر السّلبيّ فقد انتشر غناء القيان والجواريّ، واستغلّت في الرّقص لراحة وتمتّع الأسياد، وكان بداية في قصور الخلفاء والوزراء والأغنياء، وفي مجالس الشّرب واللّهو، حتى عمّ الشّرائح الوسطى في المجتمع، وقلّدتْهم الطّبقات الصّغرى، فارتبط الغناء بالخمرة والسّفور والدّعارة، لهذا ولّد نظرة سلبيّة له، فقام الوعّاظ بوضع الرّوايات المحذّرة منه، وأُسند ذلك إلى الرّسول الأكرم –صلّى الله عليه وسلّم– والصّحابة وآل البيت والتّابعين والعلماء، حتى أصبح التّحريم شبه إجماع، ونظروا إلى الجَمال نظرة سلبيّة دونيّة، وتصوّروا أنّ الإسلام يحرّم الجمال، وأنّ الجمال في هذا رقيّة الشّيطان، وبريد الزّنا، وبوّابة الفواحش والقمار، وطريق لغضب الله تعالى وسخْطه، ومنع القطر عن العباد، ورفْع البركة في المال والولد والأهل.

وعليه هذه الحالة كما سنرى سيسقط أثرها على الجانب الرّوائيّ فالفقهيّ فالمنظومة الاجتماعيّة ككلّ، ويصبح الغناء والجمال المتعلّق به أشبه بالفسوق، ومن يمتهنه أقرب إلى الرّجل الفاسق العاصي، وعليه توقّف الجانب الجماليّ وتراجع، كما إنّه شبه منعدم إذا كانت الدّولة دينيّة بحتة، أو إذا كان رجل الدّين متحكّماً بالدّولة، أو وقوع السّياسيّ تحت هيمنة المنظومة الدّينيّة أو المجتمعيّة لبقاء كرسيّه، لهذا كما رأينا ظهرت أصوات قامت بمراجعة هذه الرّوايات والتّراث المتعلّق به منذ فترة مبكرة، بدأ من بن حزم الظّاهريّ (ت 456هـ) والّذي ناقش الرّوايات وخلص إلى بطلانها، وتبعه أبو حامد الغزاليّ (ت 505هـ) والّذي انطلق من الجمال الطّبيعيّ، وحاول الجمع بين الرّوايات وفلسفة الجمال، ثمّ أخوه أبو الفتوح أحمد الغزاليّ (ت 520هـ) والّذي أنكر نظريّة الإجماع في التّحريم، وأبو الفضل محمّد بن طاهر بن عليّ المقدسيّ القيسرانيّ الظّاهريّ (ت 507هـ) الّذي ناقش الأدلّة بصورة أوسع مستخدماً المنهج الحديثيّ، وصولاً إلى محمّد بن أحمد الشّاذليّ التّونسيّ (ت 882هـ) ومحمّد بن عليّ الشّوكانيّ (ت 1250هـ).

ومع هذا بقي الأمر السّلبيّ فقهاً وروائيّا هو الأشهر حتى عدّه البعض إجماعاً، بيد أنّ البعد الجمالي يظهر أحياناً إذا وجد السّياسيّ القويّ المريد لذلك، أمّا السّلطة الدّينيّة عموماً وتأثيرها على السّلطة الاجتماعيّة فنظرتُها أصبحت سلبيّة جدّاً، رغم وجود بعض المراجعات، لكن لم يُكتب لها الظّهور، ولم يتَبَنَّها مشروع سياسيّ مذهبيّ، مع استثناء بعض الغناء الصّوفي والدّينيّ الّذي تبنّته بعض الدّول، وعليه لقراءة النّصوص التّراثيّة رواية وفقْهاً لا

بدّ من إدراك هذا البعد التّأريخيّ والفلسفيّ لفهم الرّواية فهْمـاً ظرفيّـاً نستطيع بذلك تفكيكها وفق الصّيرورة الزّمانيّة والظّرفيّة، وهذا ما سنلحظه –بإذن الله تعالى– في مباحث الأدلّة والمذاهب أو المدارس الفقهيّة.

- **فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصر الحديث**

رأينا في المبحث التّأريخيّ أنّ عصر النّهضة بدأ في القرن الرّابع عشر الهجريّ ابتداء من إيطاليا في أواخر العصور الوسطى، ونحن هنا في جانب الجماليات دمجْنا العصرين النّهضة والعصر الحديث لارتباطهما أولاً، ولأنّ عصر النّهضة سبب لتقدّم العصر الحديث، واختصاراً للوقت، وبعداً عن التّكرار، ويهمّنا هنا الجانب الجماليّ وما يتعلّق به من تطوّر النظرة الفقهيّة في المنظومة الإسلاميّة.

وبعد التّراجع العربيّ الّذي كان حافظـاً لفلسفة جمال الفرس والرّوم، كانت أروبا خير وريث للحضارة العربيّة، حيث تُرجمت بحوث الفارابيّ (ت 339هـ) وغيره إلى اللّغة اللاتينيّة، وطوّرتْها وفْق ثقافتهم ورؤاهم، وهي في الحقيقة طوّرت الغناء والموسيقى وفلسفته وآلاته وفنونه ككلّ، فظهرت الأوبرا والسّيمفونيّة وغيرها، وظهرت الاتّجاهات الموسيقيّة والجماليّة كما عند فيبر (ت 1826م) وبتهوفن (ت 1827م) وشوبرت (ت 1828م) وشوبان (ت 1849م)، كما تطوّرت نظريات الفلسفة الجماليّة كما كانت عند (ت 1804م) وهيجل (ت 1831م) وشوبنهاور (ت 1860م).

وساعد في تطوّر وتلاقح هذه العلوم اكتشاف الطّباعة وظهور الصّحافة والمجلّات، ومن ثمّ الإذاعة والتّلفاز والأسطوانات والشّريط السّمعيّ، كلّ هذا حرّك وعجّل في تطوّر الفلسفة الجماليّة وأدواتها وفنونها وطُرقها، حتى

وصلت إلى درجة متطوّرة جدّاً بسبب الحريّة والانفتاح على ذلك، وقلّة القيود الدّينيّة والمجتمعيّة.

وبغضّ النّظر عن السّلبيّات المصاحبة إلا أنّ الجمال كفنّ قائم بذاته أصبح علماً متقدّماً له مبادؤه وأصوله، وأصبح مُصاحباً للإنسان في بيته وشارعه ومكان عمله، لهذا سيؤثّر في النّظرة الفقهيّة، حيث كانت العديد من المراجعات البحثيّة، وعلى مستوى الرّموز الدّينيّة أيضاً، بداية من محمّد رشيد رضا (ت 1935م)، فمحمود شلتوت (ت 1963م)، كما حاول محمّد الغزاليّ (ت 1996م) التّوفيق بين الجانب الرّوائيّ والفقهيّ، إلا أنّ محمّد عمارة (معاصر) انطلق في مناقشه القضيّة من فلسفة الجمال، وتبِعه يوسف القرضاويّ (معاصر).

وعموماً النّظرة المنفتحة أصبحت أقوى، وازداد تقبّل النّاس لها أكثر، بيد أنّ النّظرة السّلبيّة أصبحت أضعف وتزيدها الأيام ضعفاً، وذلك بسبب هيمنة هذا الفنّ والجمال وحضوره الأكاديميّ، وفي الفضائيات والتّلفاز والإذاعة والإعلام عموماً، وحديثاً في الشّبكة العالميّة ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، مع ضعف هيمنة السّلطة المجتمعيّة، وانفتاح العديد من الرّؤى الدّينيّة، وتقبّل السّلطة السّياسيّة له، وهذا كما أسلفْت لا يعني عدم وجود سلبيّات مُصاحبة ولكن وجود الظّواهر السّلبيّة لا يعني حرمته أو منعه، ففساد بعض الأثر لا يدلّ على فساد الأصل، وبهذا ننتهي من مناقشة مبحث الجانب التّأريخي والفلسفيّ الجماليّ، لندخل -بعون الله تعالى- في مباحث الأدلّة والمذاهب الفقهيّة داخل المنظومة الإسلاميّة إن صحّ التّعبير.

الغناء والمعازف في المدارس الفقهيّة

كما رأينا في المباحث السّابقة أنّ للجانب السّياسيّ تأثيره على الجانب المجتمعيّ، وبلا شكّ إنّ هذين الجانبين (السّياسيّ والمجتمعيّ) سيقسط أثرهما على الجانب الفقهيّ، بداية من ظهور الرّواية، وشيوع الكذب فيها في التّرغيب والتّرهيب كما يقول عبد القادر أحمد عطا[1] (ت 1984م): والكذب على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– من أعظم الكبائر لأنّه يضلّ المسلمين، ويفسد عقائدهم، وقد أجمعت الأمّة على تحريم الكذب على الرّسول في الأحكام، أو التّرغيب والتّرهيب والمواعظ... وقد خالف الكراميّة فقالوا: يجوز وضع الحديث في التّرهيب والتّرغيب، وتابعهم على ذلك كثير من جلّة الزّهّاد والمتصوّفة والوعّاظ[2].

وكما رأينا سابقًا لمّا كثرت مجالس السّمر، وما اقترن بها من شرب ورقص ومعازف، ظهرت الرّوايات المعمّمة للتّحريم كرواية: إنّ الله بعثَني لأسحق المعازف والمزامير، وحلف ربّي بعزّته لا يشرب الخمر أحدٌ في الدّنيا إلا سقاه مثلها من الحميم يوم القيامة[3].

---

(1) كاتب إسلاميّ معاصر، من كتبه: الرّسول والمذاهب الهدّامة، واللّقاء بين الزّوجين في ضوء الكتاب والسّنّة، توفي سنة 1984م.

(2) عطا: عبد القادر أحمد؛ **هذا حلال وهذا حرام**، ط دار الفضيلة، مصر/ القاهرة، ص13.

(3) يقول مجدي فتحي السّيد: حديث ضعيف، قال الهيثميّ: فيه علي بن يزيد وهو ضعيف.

والرّواية عمومـًا ستؤثّر لاحقـًا في رأي الفقيه والمذاهب الفقهيّة بشكل عام كما سنراه في الجانبين الفقهيّ والرّوائيّ (الاستدلاليّ).

- **رؤية المدرسة الإباضيّة**

المذهب الإباضيّ في جملة تراثه فيما يتعلّق بهذا الجانب يميل إلى التّشدّد، لذا أكثر الآراء تميل إلى التّحريم، فهم بداية يُجيزون الشّعر بالاتّفاق[1]، لكن اختلفوا في إنشاده وتلحينه –أي بمعنى التّغنّي به بدون آلة لا بمعنى قراءته وترديده– فذهب جمهورهم إلى جوازه، وذهب بعضهم إلى الكراهة[2]، أمّا ما ورد عن خلفان بن جميل السّيابيّ[3] (ت 1392هـ) فلعلّه من باب الغناء

ينظر: الصّالحي: محمد بن طولون؛ **تشييد الاختيار لتحريم الطّبل والمزمار**، تحقيق: مجدي فتحي السّيد، ط دار الصّحابة للتّراث، مصر/ طنطا، الطّبعة الأولى 1413هـ/ 1993م، ص32 – 33.

(1) السّعديّ: جميل بن خميس؛ **قاموس الشّريعة الحاوي طرقها الوسيعة**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م، ج1، ص251 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص256.

(3) خلفان بن جميّل بن حرمل بن مهيّل السّيابيّ، فقيه مجتهد، وقاض أديب، عاش في القرن الرّابع عشر الهجريّ، ولد في بلدة سيما من أعمال إزكي، كان عصاميّـًا في تحصيل العلم، هاجر إلى سمائل، وأخذ العلم عن الشّيخ أحمد بن سعيد الخليليّ، والإمام الخليليّ، والشّيخ أبي عبيد السّليميّ، من كتبه: سلك الدّرر الحاوي غرر الأثر، وفصول الأصول، وجلاء العمى شرح ميمية الدّما، توفي سنة 1392هـ/ 1972م.
ينظر: السّعدي: فهد بن علي بن هاشل؛ **معجم المتكلّمين والفقهاء الإباضيّة**؛ مصدر سابق، ج1، ص186 – 191.

المصحوب بآلة[1]، مع كراهة العديد من المتأخّرين لهذا النّوع خصوصًا في المساجد، واتّفقوا على المنع مطلقًا إذا قُصد منه اللّهو، أو تضييع الواجب، أو الصّدّ عن ذكر الله تعالى، أو اشتمل على معاني محرّمة، أو كلمات تدعو إلى المجون والسّفور[2]، إلا أنّهم قالوا بعدم الإنكار إذا لم يعرف قصده[3].

أمّا المعازف فيلخّص السّالميّ (ت 1332هـ) الكلام فيها في جوهره[4]:

وآلة اللّهوِ الّتي لا تصلحُ ... لِغيرِهِ تُكسرُ حين تُلمحُ

من كلّ ما كان من الأنواعِ ... لأنّه ليس بذي انتفاعِ

روى ابنُ محبوبٍ لنا عن ... بأنّ ضرب الطّبلِ لا بأس بهِ

في قولهم ويُحرق الأديمُ ... ذاك الّذي عليه مستقيمُ

ولمْ يرخّصوا بضربِ الطّبلِ ... للّهوِ لكن لِمَعانِ العدلِ

وذاك كالإرهابِ للأعداء ... وكإجابةِ الصّريخِ النّائي

وكدعاءٍ لصلاةِ العيدِ ... أو اجتماعٍ بينهم سديدِ

---

(1) ينظر: السّيابيّ: خلفان بن جميل؛ **فصل الخطاب في المسألة والجواب**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ص269.

(2) للمزيد ينظر: الخليليّ: أحمد بن حمد؛ **فتاوى الشّيخ أحمد الخليليّ**، مرجع سابق، مرقون.

(3) السّعديّ: جميل بن خميس؛ **قاموس الشّريعة الحاوي طرقها الوسيعة**، مصدر سابق، ج1، ص256.

(4) السّالميّ: نور الدّين عبد الله بن حميد؛ **جوهر النّظام في علميّ الأديان والأحكام**، مصدر سابق، المجلّد الثّاني، ص194.

فيلحظ من كلام السّالميّ أنّ آلة اللّهو في الأصل المنع إلا لإرهاب العدوّ، أو إجابة الصّريخ، أو الدّعوة إلى صلاة العيد، أو الدّعوة إلى الاجتماع، وزاد بعضهم إشهار النّكاح أو الفرح في يوم العيد، ويرى القنوبيّ (معاصر) أنّ هذا خاصّ بالنّساء دون الرّجال شريطة عدم حضور الرّجال أو الاستماع إليهنّ[1].

إلا أنّ الأوائل جملة لا يشدّدون في الطّبل، يقول محمد بن محبوب (ت 260هـ) ضرب الطّبل لا بأس به، وأمّا الدّهر فيخرق الأديم الّذي عليه[2]، بيد أنّ أبا المؤثر الصّلت بن خميس[3] (ت 278هـ) يرى استحباب الدّهرة والطّبل في الحرب، ولا يكسر، والتّكبير والتّهليل أحقّ وأَولى[4].

ومع هذه الآراء المتشدّدة نوعـًا ما في هذه المسألة توجد آراء أخرى وإن كانت أقلّ شهرة وانتشاراً، كقول أبي زكريا يحيى بن سعيد (ت 427هـ) عن

(1) القنوبيّ: سعيد بن مبروك؛ **فتاوى الشّيخ سعيد القنوبيّ**، مرقون.

(2) الكنديّ: محمد بن إبراهيم؛ **بيان الشّرع**، ط وزارة التّراث القومي والثّقافة/ سلطنة عُمان، ط 1408هـ/ 1988م، ج29، ص46.

(3) الصّلت بن خميس الخروصيّ، أبو المؤثر، عالم جليل، وفقيه كبير، من قرية بهلا، كان كفيف البصر، يعدّ من العلماء البارزين في القرن الثّالث الهجريّ، وهو واحد من ثلاثة ضُرب بهم المثل في عُمان فقيل: رجعت عُمان إلى أصمّ وأعرج وأعمى، فكان أبو المؤثر هو الأعمى، وقد كان من أصحاب المشورة في اختيار الإمام الصّلت بن مالك الخروصي سنة 237هـ، وكان ممّن استمسك بإمامته لما عزله موسى بن موسى وراشد بن النّضر، وكان من المبايعين للإمام عزان بن تميم سنة 278هـ، وقد حمل العلم عن محمّد بن محبوب بن الرّحيل، ونبهان بن عثمان وغيرهما، توفي سنة 278 هـ.

ينظر: **برنامج معجم أعلام الإباضيّة** (قسم المشرق).نسخة الكترونيّة.

(4) الكنديّ: محمّد بن إبراهيم؛ **بيان الشّرع**، مصدر سابق، ج29، ص50.

القصبة الكبيرة –أي المزمار– فإنّ المسلمين –أي الإباضيّة– أجازوا استماعها لمزيد قربها من الآخرة، أخبرني زياد بن الوضّاح (ت ق 3هـ) أنّه رأى أباه (ت ق 3هـ) يستمع إليها وهو يبكي[1].

ويرى بيوض بن عمر (ت 1981م) أنّ الغناء الخالي من الآلة حلاله حلال، وحرامه حرام، وحكمه منوط بالغرض منه، وما يتّصل به، فإن كان الغرض منه الفساد كان حرامًا، وإن كان الغرض الدّعوة إلى الله تعالى كان مباحًا، وإن اتّصل به شيء محرّم كخمر كان حرامًا، وأمّا آلات الطّرب الصّمّاء الّتي لا كلام فيها كالطّبول والمزامير والعيدان وما أشبهها من ذوات النّفخ والطّرق؛ فإنّها إذا انفردت كانت من قبيل اللّهو الباطل المكروه الشّديد الكراهة لصدّه عن ذكر الله تعالى، وإذا كانت مع غناء الكلام فحكْمها حكم الغناء، لكنّه يُكره كراهة شديدة أن يصحب الغناء بذكْر الله وشكره، وإذا صحب الآلة خمر أو تبرّج أو اختلاط بين الجنسين اختلاطًا فاضحًا كان محرّمًا[2].

ويرى البكريّ (ت 1986م) أنّ سماع الموسيقى لا بأس به عند فريق من العلماء إذا خلا ذلك ممّا يهيّج النّفس، ويبعثها على الرّذيلة، ومن تورّع عن ذلك فهو خير له وأسلم[3].

---

(1) العقريّ النّزويّ: أبو زكريا يحيى بن سعيد، الإيضاح في الأحكام، مصدر سابق، ج4، ص74.

(2) بيوض: إبراهيم بن عمر؛ **فتاوى الإمام الشّيخ بيوض**، مصدر سابق، ص713 – 714.

(3) بكلّي: عبد الرّحمن؛ **رسائل البكريّ**، مصدر سابق، ص310.

وقاسَ أحمد بن حمد الخليليّ (معاصر) الأغانيّ الحربيّة والعسكريّة الّتي تتضمّن الآلات الموسيقيّة الّتي تستعمل في الحرب على الطّبل –أي في الجواز– فالحكم واحد لا يختلف[1]، وأجاز الدّفّ لأجل الإشهار –أي في الزّواج– لا لأجل إمتاع الأسماع[2]، كما إنّه أجاز استماع الأناشيد المصحوبة بدفّ لأجل التّحمّس للجهاد لا للطّرب[3].

ويرى خالد الوهيبيّ (معاصر) أنّ الغناء والمعازف ممّا سكت عنه القرآن، فهي داخلة في دائرة المسكوت عنه، والمسكوت عنه في القرآن متروك للنّاس يصرفونه بما ينفعهم، وتعمل فيه الخبرة الإنسانيّة بتراكمها الّذي تستفيد منه ممّا سخّر الله لها في السّماوات والأرض[4].

• رؤية المدرسة الزّيديّة

ذهب جمهور الزّيديّة إلى حرمة الملاهي قاطبة، وشدّدوا في الغناء في الجملة، بل حكا المنصور بالله عبد الله بن حمزة[5] (ت 614هـ) في الشّافيّ

(1) **لقاء مع سماحة الشّيخ الخليليّ**، مجلّة جبرين، مصدر سابق، ص29.
(2) **فتاوى سماحة الشّيخ الخليليّ**، مصدر سابق، مرقون.
(3) المرجع نفسه.
(4) الوهيبيّ: خالد بن مبارك؛ **الموسيقى وتقاليد الحكم في عُمان**، مرجع سابق، مرقون، ص12.
(5) أحد أئمّة الزّيديّة في اليمن، من علمائهم وشعرائهم، بويع له سنة 593هـ، من كتبه: حديقة الحكمة النّبويّة، والشّافي في أصول الدّين، والعقد الثّمين، توفي سنة 614هـ. ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص83.

إجماع أهل البيت –أي الزّيديّة–[1]، ووافقه مجد الدّين بن محمّد المؤيديّ[2] (ت 1428هـ)، وقد ردّ الأخير على الإمام النّاصر أحمد بن يحيى حميد الدّين[3] (ت 1962م) في شأن الغناء وآلات اللّهو الّتي تُذاع من الإذاعة المتوكّليّة بصنعاء، وكان جواب الإمام: «أنّا لا نرضاها، ولا يألفها طبعُنا، ولكن لكثرة الطّلبات من الدّاخل والخارج مع تيّار العصر الجارف، وكون المسألة خلافيّة بين أهل البيت وغيرهم، ولم يكن في التّحريم مع عدم الاختلاط نصّ صريح صحيح لم نمنع منها»[4]، فردّ عليه مجد الدّين المؤيديّ في رسالة البلاغ النّاهي عن الغناء وآلات المناهي، فأجاب الإمام بجواب مفيد، وأمرَ بإلغاء الغناء وآلات اللّهو من الإذاعة المتوكّليّة، وبقيت على ذلك سنتين، ولم تعد إلا بعد أن ارتحل الإمام إلى روما للمعالجة[5]، وممّن أبْطل الإجماع في تحريم

(1) المؤيديّ: مجد الدّين بن محمّد؛ **البلاغ النّاهي عن الغناء وآلات المناهي**، ط مكتبة أهل البيت، اليمن/ صعدة، الطّبعة الثّانية، 1436هـ، ص21.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) من أئمّة الزّيديّة المتأخّرين، قرأ الحديث والمصطلح والأدب، تولّى إمامة اليمن عام 1367هـ/ 1948م، جعل تعِز عاصمة له، قام بتعبيد العديد من الطّرق، وبنا ميناء الحديدة، وعمل اتّفاقيات اقتصاديّة مع أمريكا والصّين وروسيا، ودخل في اتحاد مصر وسوريّة 1958م، توفي سنة 1962م.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص271.

(4) المؤيديّ: مجد الدّين بن محمّد؛ **البلاغ النّاهي عن الغناء وآلات المناهي**، مصدر سابق، ص19 – 20.

(5) المصدر نفسه، ص92.

مطلق السّماع الشّوكانيّ (ت 1250هـ)، وقد كان فقيهاً زيديّاً قبل أن يتأثّر بمدرسة أهل الحديث[1].

وجاء في مسند الإمام زيد بن عليّ[2] (ت 122هـ) مجموعة من الرّوايات السّلبيّة في ذلك، منها رواية من طريق عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ): «أول من تغنّى إبليس –لعنه الله– ثمّ زمَر، ثمّ حدا، ثمّ ناح»[3]، وفيه من نفس الطّريق: «إيّاكم والغناء، فإنّه ينبت النّفاق في القلب، كما يُنبت الماء الشّجر»[4].

ولِشحّ مصادر الزّيديّة عندنا، فقد أرسلت سؤالاً إلى محمّد يحيى عزان[5] (معاصر) فكان جوابه: «سلام الله عليك أخي الكريم، وأشكرك على حسن ظنّك بي، وعلى عجالة كتبت لك ما يلي: المتتبّع لما أورد سائر الفقهاء والمحدّثين في مسألة الأغاني أنّ لجمهورهم موقف سلبيّ منها، بما فيهم فقهاء الزّيديّة، غير أنّ المحقّقين منهم يفرّقون بين امتهان الأغاني كوظيفة والسّماع لها، وبين من يغنّي لنفسه وخاصّته ومن يغنّي للعموم، ثمّ يفرّقون بين الاستماع

(1) الشّوكاني: محمّد بن عليّ؛ **إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السّماع**، مصدر سابق.

(2) زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، زيد الشّهيد، من خطباء بني هاشم، بايعه أربعون ألفاً لقتال بني أميّة، وجهاد الظّالمين، والدّفاع عن المظلومين، والعدل، وردّ المظالم، ونصرة آل البيت، ففَعل، وانتهى بقتله سنة 122هـ، له مجموع في الحديث والفقه من طريق أبي خالد الواسطيّ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص59.

(3) زيد: زيد بن عليّ؛ **مسند الإمام زيد**، جمعه عبد العزيز بن إسحاق البغداديّ، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1403هـ/ 1983م، ص378.

(4) المصدر نفسه، ص378.

(5) من مفكري الزّيديّة المعاصرين.

ومجرّد السّماع، ويفرّقون بين ما له أثر سلبيّ على النّفس وما ليس كذلك، وما تصبحه أجواء الإثارة الشّهوانيّة وما ليس كذلك، وهذا في نظري من أسباب اختلاف النّقل عنهم، كما يعني أنّ الحكم في الغناء ليس مجرّداً لذاته ولكن لنوعيّته وطبيعة ما يصاحبه، وما يترتّب عليه من آثار، هذا إلى جانب أنّ بعضهم لا يفرّق بين ما يريح النّفس ويُنعشها من الأصوات والمناظر وبين ما يُفسدها بالمشاعر الشّهوانيّة السّلبيّة. ومن كلام كتب الزّيدية في ذلك: في مجموع كلام (الانتصار)، والبحر، ونَيل الأوطار عن الشّافعيّ، وأبي حنيفة، ومالِك أنّه إن غنّى لنفسه أو غنّت له جاريته نادراً جاز، ويُكرَه، وعن الشّافعيّ أيضاً: أنّه يُباح إذا سمعه خِفية، وقال الجلال في ضوء النّهار: وأمّا الغناء فقال الفقهاء: إنّه مكروه فقط، إلا إذا شغل عن واجب، أو أفضى إلى حرام، وقال في الانتصار: رأى أئمّة العترة ومن تابعهم أنّ الغناء محظور ترد به الشّهادة، ومن فعله كان فاسقاً، وعقّب عليه أحد شيوخ المذهب في هوامش شرح الأزهار قائلاً: في التّفسيق نظر، وذلك لأنّ علماء الزّيديّة لا يفسّقون بموجب أمر مُختلف فيه، حتى إنّ العلّامة الشّرفيّ مثّل في ضياء ذوي الأبصار بمسألة الأغاني نفسها، وذكر في التّاج المذهب أنّ ما يقع في العرسات وسائر أوقات السّرور كالعيد وزيارة الإخوان ولقائهم ونحو ذلك من أوقات الفرح والتّرح من رفع الصّوت بالشّعر، والتّغنّي بالألفاظ المشتملة على الحِكم والمواعظ ومكارم الأخلاق، وإيقاظ الأفكار إلى السّعي لنيل كلّ خير، والمشتملة على وصف الأزهار والرّياحين والخضر والألوان والماء ونحو ذلك، أو المشتملة على وصف إنسان غير معيّن إذا لم يترتّب عليه فتنة محرّمة؛ فإنّه مباح لا ضرر فيه، وكذا

إنشاد الشّعر مع الضّرب بالدّفوف، واللّعب بالدّرق والحراب، أو الخناجر، والرّقص المعروف بالبرع الّذي يفعله الرّجال أمام مثلهم فهو كما تعلم لا يُثير أي شهوة»[1].

وبهذا نخلص أنّ الزّيديّة كغالب المدارس الإسلاميّة الأغلب والأكثر على التّشديد، مع وجود آراء أكثر تساهلاً داخل المدرسة نفسها.

- **رؤية المدرسة الجعفريّة**

يلخّص الخوئيّ[2] (ت 1992م) رأي الشّيعة الإماميّة في الغناء والمعازف بقوله: «لا خلاف في حرمة الغناء في الجملة بين الشّيعة، وأمّا العامّة فقد التزموا بحرمته لجهات خارجيّة، وإلا فهو بنفسه أمرٌ مُباح عندهم»[3]، لهذا يرى علي حسن العامليّ (معاصر) «أنّ فتاوى الشّيعة الإماميّة القدماء مُجتمعة على حرمة الغناء، سيّما من قارب الغيبة الكبرى، كفتاوى الصّدوق (ت 381هـ)، والمفيد (ت 413هـ)، والمرتضى (ت 436هـ)، والحلّيّ (ت 726هـ)»[4].

---

(1) **لقاء مع الباحث اليمنيّ محمّد يحيى عزان**، في برنامج الفيسبوك على الخاص، 7 يونيو 2019م، السّاعة الثّانية عشر وخمس وثلاثين دقيقة مساء.

(2) السّيد أبو القاسم الخوئيّ، من كبار المرجعيّات الشّيعيّة المعاصرة، جاء بعد السّيد البروجرديّ، والسّيد الحكيم، وبعده أتى السّيد السّيستانيّ، درّس وعاش في النّجف، مرّت مرجعيّته بحالة اضطراب واضطهاد ضدّ الشّيعة في العراق من قبل حزب البعث، توفي سنة 1992م.

(3) الخوئيّ: أبو القاسم الموسويّ؛ **مصباح الفقاهة في المعاملات**، ط دار الهادي، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ج1، ص398.

(4 العامليّ: علي حسن محمد؛ **الغناء في الموقف الفقهيّ**، ط دار الأمير، لبنان بيروت، الطّبعة الأولى 1415هـ/ 1994م، ص53.

والعامليّ يفصل أقوال الفقهاء الجعفريّة في الغناء والمعازف:

الأول: الغناء غير محرّم في نفسه، وإنّما يحرّم لأجل ما يقارنه من ضرب الأوتار، ودخول النّساء على الرّجال، وشرب الخمور.

الثّاني: الغناء محرّم في نفسه مطلقاً، ولو في زفاف العرائس، أو غير ذلك.

الثّالث: الغناء محرّم في نفسه مع استثناء جملة من الموارد إمّا لأنّها من الغناء، وقد قام الدّليل على جوازها، وإمّا لخروجها عن معنى الغناء المحقّق، مع اختلاف بين أصحاب هذا الاتّجاه في السّعة والتّضييق، فمنهم استثنى الغناء في الأعراس، ومنهم استثنى الغناء في القرآن والمراثيّ[1]، وما ناظرَهما ممّا يذكر الآخرة، ومنهم استثنى من حرمة الغناء ما لا يكون لهويّاً ومُناسباً لأهل الفسوق، كما إنّ منهم جعل الاستثناء موضوعيّاً، بمعنى أنّ بعض ما ذكر كالمراثيّ مثلاً ليس من الغناء[2] أساساً[3].

(1) أي كالأناشيد الّتي تكون ليلة العاشر من محرّم، ليلة مقتل الحسين بن عليّ في واقعة كربلاء الأليمة (61هـ).

(2) المتأخّرون درجوا في التّفريق بين الأناشيد والغناء، فإذا أطلقت الأناشيد أريد بها الغناء بلا آلة ولا يوجد فيها مخالفة شرعيّة، وإذا أطلق الغناء أريد به مع آلة، وإن كان لغة –كما رأينا في المبحث الأول– أنّ الغناء يكون بآلة وغير آلة.

(3) العامليّ: عليّ حسن محمّد؛ **الغناء في الموقف الفقهيّ**، مصدر سابق، ص53.

ومن حيث الاستدلال النّصيّ يرى أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ أنّ الأصحاب –أي الشّيعة الجعفريّة– اتّفقوا على حرمته، وعليه أكثر أهل السّنّة، والكتاب العزيز، وإن لم يكن فيه صراحة على حرمته[1].

ومن حيث العليّة يرى عباس النّابلسيّ (معاصر) «أنّ الفقهاء اختلفوا في نوعيّة هذه الحرمة، هل هي ذاتيّة بمعنى أنّ الغناء حرام لذاته، مع غضّ النّظر عن العوامل الأخرى الّتي تدخل فيحرّم من أجلها، أم أنّ الحرمة عرضيّة، أي أنّه حلال بالأصل؛ لكن بدخول عناصر أخرى حرّم من أجلها وذهب إلى القول الأول مشهور فقهائنا بشهرة تكاد تكون إجماعًا، وذهب إلى القول الثّانيّ قلّة قليلة أبرزهم الشّيخ محمد كاشف الغطاء» (ت 1954م)[2].

ومن المتأخّرين المشدّدين عند الجعفريّة الخمينيّ (ت 1989م) حيث يذهب إلى أنّ الغناء حرام فعله، وسماعه، والكسب به، وليس هو مجرّد تحسين الصّوت؛ بل هو مدّه وترجيعه بكيفيّة خاصّة مطربة تناسب مجالس اللّهو، ومحافل الطّرب، وآلات اللّهو والملاهي[3].

(1) الخوئيّ: أبو القاسم الموسويّ؛ **محاضرات في الفقه الجعفريّ: المكاسب المحرّمة**، كتبها عليّ الحسينيّ الشّاهروديّ، ط دار الكتاب الإسلاميّ، إيران/ قم، الطّبعة الأولى 1408هـ، ج1، ص340 – 341.

(2) النّابلسيّ: عباس؛ **الموسيقى والغناء**، ط دار الرّسول الأكرم ودار المحجّة البيضاء، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1421هـ/ 2000م، ص82.

(3) المصدر نفسه، ص58.

ومع هذه الأقوال المتشدّدة إلا أنّ هناك آراء أخرى خصوصاً عند المتأخّرين من أمثال محمّد حسين آل كاشف الغطاء[1]، حيث يرى أنّ الغناء مباح سواء رافَقه الطّرب (الموسيقى) أمْ لا، ما لم يستخفّ السّامع إلى حدّ يخرج معه عن الكمال، فهو إذ ذاك غير مشروع[2].

ويرى محمّد حسين فضل الله (ت 2010م) أنّ المحرّم في الغناء ما كان مشتملاً على الكلام الباطل الّذي يؤدّي إلى الضّلال الفكريّ والرّوحيّ والأخلاقيّ، مع كون اللّحن متناسباً مع أجواء الإثارة غير الأخلاقيّة، بحيث يكون من ألحان أهل الفسوق، فهذا يترك تأثيره السّلبيّ على أفكار الإنسان وتصوّراته ومشاعره[3]، ويخلص إلى أنّ الموسيقى جائزة إلا إذا كانت متناسبة مع ألحان أهل الفسوق[4].

(1) محمّد حسين بن عليّ كاشف الغطاء، مجتهد إماميّ، وأديب، من زعماء الثّورات الوطنيّة في العراق، من النّجف، ومن داعة التّقريب والوفاق، من كتبه: الدّين والإسلام، والآيات البينات، توفي سنة 1954م.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص106 – 107.
(2) المصدر نفسه، ص56.
(3) فضل الله: محمّد حسين؛ **المسائل الفقهيّة**، مصدر سابق، ج2، ص343.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص198.

• رؤية المدرسة الحنفيّة

اختلفت الرّوايات المنسوبة إلى أبي حنيفة[1] (ت 150هـ) في الغناء والمعازف، حيث نجد ابن القيم الجوزيّة[2] (ت 751هـ) يقول: «وأمّا أبو حنيفة فإنّه يكره الغناء، ويجعله من الذّنوب، وكذلك مذهب أهل الكوفة..، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه.... (و)مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشدّ المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرّح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلّها، كالمزمار والدّفّ حتى الضّرب بالقضيب، وصرّحوا بأنّه معصية ويُوجب الفسق، وتردّ به الشّهادة، وأبلغ من ذلك قالوا: إنّ السّماع فسق، والتّلذّذ به كفر»[3].

(1) أبو حنيفة: النّعُمان بن ثابت، التّيميّ بالولاء، الكوفيّ، إمام الحنفيّة، قيل أصلُه من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، كان قوي الحجّة، من أحسن النّاس منطقاً، له مسند في الحديث جمعه له تلاميذه، وينسب إليه كتاب الفقه الأكبر، توفي ببغداد سنة 150هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص36.

(2) محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعيّ الدّمشقيّ، أحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ على يدَي ابن تيمية، وهو الّذي هذّب كتبه، ونشر علمه، ألّف تصانيف كثيرة، منها أعلام الموقعين، والطّرق الحكميّة فى السّياسة الشّرعية وغيرها، توفي سنة 751 هـ.
ينظر: **موسوعة الأعلام**: 1/ 450.

(3) الجوزيّة: ابن القيم؛ **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، تحقيق علي بن حسن الأثريّ، ط دار الكتاب العربيّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الخامسة، 1422هـ/ 2002م، ج1، ص344 – 345.

بيد أنّ الشّوكانيّ (ت 1255هـ) يذكر من المجوّزين الأئمة الأربعة الّذين منهم أبو حنيفة[1]، ووفق الشّريف الحسنيّ[2] (ت 1341هـ) بين روايات الجواز وروايات المنع، حيث ذكر روايات الجواز ومنها أنّ أبا حنيفة كان يحضر مجلس الرّشيد (ت 193هـ)[3]، وأنّ أبا حنيفة سُئل هو وسفيان الثّوريّ[4] (ت 161هـ) عن الغناء فقالا: ليس من الكبائر، ولا من أسوأ الصّغائر[5]، ثمّ نقل في التّحريم بمثل ما قال ابن القيّم المتقدّم ذكره، فخلص أنّ الرّوايات الّتي تشير إلى سماع أبي حنيفة مفادها جواز سماع الغناء عنده، وروايات التّحريم محمولة على الغناء المقترن بشيء من الفحش ونحوه[6].

وإذا جئنا إلى الحنفيّة كمدرسة نجد وهبة الزّحيليّ (ت 2015م) يلخّص رأيهم بقوله: «الحنفيّة اختلفوا في الغناء بدون آلة، ذهب بعضهم إلى تحريم

(1) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص102.

(2) عبد الحيّ فخر الدّين الحسينيّ، من علماء الهند في الحديث، توفي سنة 1341هـ.

(3) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، قدّم له أبو الحسن علي النّدويّ، ط مجمّع الإمام أحمد بن عرفان الشّهيد لإحياء المعارف الإسلاميّة، الهند، ط 1417هـ/ 1996م، ص63 – 64.

(4) سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوريّ، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور أن يلي الحكم فأبى، من كُتبه: الجامع الكبير، والجامع الصّغير، والفرائض، توفي سنة 161هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص104 – 105.

(5) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مصدر سابق، ص63.

(6) المصدر نفسه، 65، ونقله الحسينيّ عن الكمال الأذقويّ في الإمتاع.

سماعه، بينما ذهب الآخرون إلى جواز سماعه من غير كراهة»[1]، «أمّا المعازف فالمشهور عندهم الحرمة»[2]، والتّشديد ظاهر عند عموم الحنفيّة، حيث يذكر زين الدّين الرّازيّ[3] (ت 666هـ) نماذج من ذلك نشير إلى ثلاثة: «ومن دُعي إلى ضيافة –أي حفلة أو وليمة– فوجد لعبًا وغناء؛ يقعد إن كان غير قدوة، ويمنع إن قدر، وإن كان قدوة كالقاضي والمفتي ونحوهما يمنع ويقعد، فإن عجزَ خرج»[4]، «وسماع الملاهي كلّها حرام، فإن سمع بغتة فهو معذور، ثمّ يجتهد أن لا يسمع مهما أمكنه»[5]، «ويحلّ ضرب الدّف في العرس لإعلان النّكاح، وضرب الطّبل في الحجّ والغزاة للإعلام لا للّهو»[6].

(1) الزّحيليّ: وهبة؛ **الفقه الإسلاميّ وأدلّته**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1405هـ/ 1985م، ج5، ص573.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص574.

(3) محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازيّ، زين الدّين، صاحب مختار الصّحاح في اللّغة، من فقهاء الحنفيّة، له علم بالتّفسير والرّأي، أصله من الرّي، زار مصر والشّام، من كتبه: شرح المقامات الحريريّة، وحدائق الحدائق، توفي سنة 666هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص55.

(4) الرّازيّ: زين الدّين محمّد بن أبي بكر؛ **تحفة الملوك في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة**، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، ط دار البشائر الإسلاميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، ص224 – 225.

(5) المصدر نفسه، ص283.

(6) المصدر نفسه، ص283.

ومع هذا التّشديد في الجملة إلا أنّ العديد من المتأخّرين لهم رأي مُخالف، ومن هؤلاء مثلاً عبد الغني النّابلسيّ[1] (ت 1143هـ) حيث ألّف رسالة سمّاها إيضاح الدّلالات في سماع الآلات، وبيّن أنّ الأصل في سماع الأصوات والآلات الإباحة، إلا إذا اقترن بها محرّم، أو اتّخذ وسيلة إلى المحرم، فيصبح حراماً بهذا، وإذا خلا من هذا كان مُباحاً في حضوره وسماعه وتعلّمه[2].

- **رؤية المدرسة المالكيّة**

اختلفت الرّوايات عن مالك[3] (ت 179هـ)، جاء في المدوّنة الكبرى في إجارة دفاتر الشّعر أو الغناء: «قلتُ: أرأيتَ أن استأجرت دفاتري فيها نَوح أو

(1) عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغنيّ النّابلسيّ، شاعر، عالم بالدّين والأدب، مكثر من التّصنيف، متصوّف، ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد، من كتبه: الحضرة الأنسيّة في الرّحلة القدسيّة، وعلم الفلاحة، وجواهر النّصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربيّ، توفي في دمشق سنة 1143هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص32 – 33.

(2) شلتوت: محمود؛ **الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليوميّة**، مرجع سابق، ص413.

(3) مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحيّ، من أهل المدينة، تلقّى العلم عن التّابعين الّذين استقرّوا بها، يطغى على منهجه الفقهيّ طابع الرّواية، اشتهر عنه الأخذ بعمل أهل المدينة الّذي يتميّز عن غيره من الفقهاء، من تلاميذه: عبد الرّحمن بن القاسم [ت 191هـ]، وأشهب بن عبد العزيز العامريّ (ت 204هـ)، وعبد السّلام التّنوخيّ الملقّب بسحنون (ت 240هـ)، توفي سنة 179هـ.

ينظر: التّويجانيّ: مهني وآخرون، **أشعة من الفقه الإسلاميّ**، ط وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عُمان، ط 1422هـ/ 1990م، ص46.

شعر أو غناء يقرأ فيها؟ قال مالك: لا يصلح هذا... قلتُ: أكان مالك يكرّه[1] الغناء؟ قال: كرّهَ مالك قراءة القرآن بالألحان فكيف لا يكرّه الغناء؟!، وكرّه مالك أن يبيع الرّجل الجارية ويشترط أنّها مغنّية، فهذا يدلّك أنّه يكرّه الغناء»[2]، وجاء فيها أيضاً: «باب في إجارة الدّفاف في الأعراس قوله: قلتُ: هل كان مالك يكرّه الدّفاف والمعازف كلّها في العرس، وذلك أنّي سألته عنه فضعّفه، ولم يعجبْه ذلك»[3]، وذكر الماورديّ[4] (ت 450هـ) «أنّ مالِكاً سُئل عن الغناء فقال: لا يجوز، فقيل له عن أهل المدينة الّذين يسمعونه فقال: إنّما يسمعه

(1) درج المتقدّمون في استخدام لفظة الكراهة مقابل التّحريم والكراهة التّكليفيّة فيما لا يوجد فيه نصّ قطعيّ تأدّباً مع الله سبحانه وتعالى، قال مالك: لم يكن من فُتيا النّاس أن يقال: هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقول: أكره هذا، ولم أكن لأصنعه، والنّاس يكتفون بذلك، وقال: كانوا لا يقولون حلال ولا حرام إلا لما في كتاب الله تعالى.

ينظر: القيروانيّ: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد؛ **كتاب الجامع**، تحقيق محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الثالثة، 1406 هـ/ 1985م، ص148.

العبريّ: بدر بن سالم؛ **مقالة الفتاوى المعاصرة والتّساهل في لفظ التّحليل والتّحريم**، منشور في صفحة الكاتب على الفيسبوك 2012م، وموجود في كتاب إضاءة من الفكر للكاتب نفسه.مرقون.

(2) الأصبحيّ: مالك بن أنس؛ **المدونة الكبرى**، رواية سحنون بن سعد التّنوخيّ عن عبد الرّحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد أبي الوليد محمّد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ)، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، ج3، ص397.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص398.

(4) عليّ بن محمّد بن حبيب الماورديّ البصريّ الشّافعيّ، من فقهاء الشّافعيّة الكبار، ومن شيوخه: أبو القاسم الصّميريّ، وعبد الله البخاريّ، ومن كتبه: الحاوي الكبير، ونصيحة الملوك، توفي سنة 450هـ.

ينظر: الماورديّ: عليّ بن محمد بن حبيب؛ **النّكت والعيون**، ط مؤسسات الكتب الثّقافيّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1412هـ/ 1992م، ج1، ص6 – 13. (التّرجمة من مقدّمة النّاشر).

عندنا الفسّاق»[1]، ونقل أبو بكر الطّرشوشيّ[2] (ت 520هـ) عن مالك «أنّه كرّه الغناء، وعن الاستماع إليه»[3].

وبالنّسبة إلى خصوص المعازف فالمشهور عند المالكيّة الحرمة، ويجب الإنكار على ذلك ونصيحته، وأمّا الضّرب بالطّبل والدّف فلا بأس به في النّكاح، ولا يجوز ضربها في غير النّكاح على المشهور، ومقابل المشهور جواز ذلك في فرح المسلمين[4]، ويقول ابن رشد[5] (ت 520هـ) في مقدّمته للمدوّنة الكبرى «أنّه يجوز ضرب الدّفّ وشبهه في إشهار النّكاح»[6].

---

(1) الونشريسيّ: أحمد بن يحيى؛ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيّة والأندلس والمغرب**، ط دار الغرب الإسلاميّ، المغرب/ الرّباط، ص76.

(2) محمّد بن الوليد بن محمّد بن خلف القرشيّ الأندلسيّ، أبو بكر الطّرطوشيّ، ويقال له ابن أبي رندقة، أديب، من فقهاء المالكيّة الحفاظ، من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، من كتبه: سراج الملوك، والتّعليقة، والفتن، توفي سنة520هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص133 – 134.

(3) زعيمة: عبد الرّحمن؛ **تفنيد أخطاء الشّيخ الغزاليّ في كتابه حول السّنة النّبويّة**، ط دار المنطلق، الإمارات العربيّة المتحدة/ دبي، الطّبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م، ص99.

(4) المالكيّ: السّيد علويّ؛ **مجموع فتاوى ورسائل الإمام السّيد علوي المالكيّ الحسنيّ**، جمع وترتيب محمّد بن علويّ المالكيّ الحسنيّ، ط 1413هـ، ص181– 182.

(5) محمّد بن أحمد ابن رشد، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكيّة، وهو جدّ الفيلسوف ابن رشد، من كتبه: المقدّمات الممهدات، والبيان والتّحصيل، توفي سنة 520هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص316 – 317.

(6) الأصبحيّ: مالك بن أنس؛ **المدونة الكبرى**، رواية سحنون بن سعد التّنوخيّ عن عبد الرّحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد أبي الوليد محمّد بن أحمد بن رشد [ت 520هـ]، مصدر سابق، ج2، ص58.

وفي مقابل هذه الرّوايات والآراء المشيرة إلى الحرمة أو الكراهيّة تقابلها روايات أخرى أخفّ منها درجة، أو تُعارضها أحيانًا، فقد سأل الرّشيد (ت 194هـ) إبراهيم بن سعد[1] (ت 185هـ) حيث قال له: من كان من فقهائكم يكرّه السّماع، قال: من ربطه الله، فقال: هل بلغك عن مالك بن أنس في ذلك شيء؟ قال: لا والله، إلا أنّي أخبرني أنّهم اجتمعوا في مدعات كانت في بني يربوع، وهم يومئذ جلّة، ومالك أقلّهم من فقهه وقدره، ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنّون ويلعبون، ومع مالك دفّ وهو يغنّيهم:

سليمى أزمعت بينا ... فأين تظنّها أينا

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهر تلاقينا

تعالين فقد طابَ ... لنا العيش تعالينا

فضحك الرّشيد، ووصله بمال عظيم[2].

وعلى أصل هذا الخلاف ذهب ابن تيميّة[3] (ت 728هـ) أنّ رأي مالك الحرمة[1]، وتابعه ابن رجب الحنبليّ[2] (ت 795هـ)[3]، وشنّع ابن القيّم[4] (ت

(1) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم القرشيّ الزّهريّ، أبو إسحاق المدنيّ، نزيل بغداد، روى عن الزّهريّ، توفي سنة 185هـ.

ينظر: الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص563.

(2) الونشريسيّ: أحمد بن يحيى؛ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيّة والأندلس والمغرب**، مرجع سابق، ص75.

(3) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحرانيّ الدّمشقيّ الحنبليّ، أبو العباس، تقي الدّين ابن تيميّة، ولد في حران، وتحوّل أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصّب عليه جماعة من أهلها فسُجن مدّة، ونُقل إلى الاسكندريّة، ثمّ أُطلق

751هـ) على الّذين روَوا عنه الإباحة، واعتبره من أقبح الغلط وأفْحشه[5]، وذكر الألبانيّ (ت 1999م) أنّ الإمام مالِكًا أنكر على أهل المدينة هو وعلماؤها[6]، وعلى التّحريم من المالكيّة علوي المالكيّ الحسنيّ (ت1391هـ)[7].

فسافر إلى دمشق، واعتُقل فيها وأُطلق، ثمّ أُعيد ومات مُعتقلاً بقلعة دمشق، من كتبه: السّياسة الشّرعيّة، والفتاوى، والجمع بين النّقل والعقل، توفي سنة 728هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص144.

(1) ينظر: القضاة: أحمد مصطفى علي؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، ط دار الجيل، لبنان/ بيروت، ودار عمار، الأردن/ عُمان، الطّبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، ص270.

(2) عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب السّلاميّ البغداديّ ثمّ الدّمشقيّ، أبو الفرج، زين الدّين، حافظ للحديث، من العلماء، ولد في بغداد، ونشأ وتوفي في دمشق، من كتبه: شرح جامع التّرمذيّ، وجامع العلوم والحكم، توفي سنة 795هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص295.

(3) ينظر: القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص270.

(4) محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعيّ الدّمشقيّ، أحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ على يدي ابن تيمية، وهو الّذي هذّب كتبه، ونشر علمه، ألّف تصانيف كثيرة، منها أعلام الموقعين، والطّرق الحكميّة في السّياسة الشّرعية وغيرها، توفي سنة 751 هـ.

ينظر: **موسوعة الأعلام**، وزارة الأوقاف المصريّة، ج1، ص450.

(5) الجوزيّة: ابن القيم؛ **كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**، تحقيق: ربيع بن أحمد خلف، ط دار الجيل، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1412هـ/ 1992م، ص189.

(6) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، ط دار الصّدوق، السّعوديّة/ الجبيل، الطّبعة الثّانية، 1422هـ/ 2001م، ص99.

(7) المالكيّ: السّيد علويّ؛ **مجموع فتاوى ورسائل الإمام السّيد علوي المالكيّ الحسنيّ**، جمع وترتيب محمد بن علويّ المالكيّ الحسنيّ، مصدر سابق، ص181–182.

بيد أنّ الماورديّ ذهب إلى أنّ الصّحيح عند مالك الكراهة[1]، وعليه جمهور المالكيّة[2].

ويذكر الشّوكانيّ (ت 1255هـ) أنّ مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف[3]، وعليه بعض المالكيّة[4]، وبيّن ابن العربيّ[5] (ت 543هـ) أنّه لم يصحّ في أحاديث المنع شيء[6] –بعدما أورد بعض الرّوايات المتعلّقة بسورة لقمان آية (6)[7]– «...وأمّا طبل اللّهو فهو كالدّف، وكذلك آلات اللّهو المشهرة للنّكاح يجوز استعمالها فيه، لما يَحْسن من الكلام، ويسلم من الرّفث[8]... وقد بيّنّا جواز الزّمر في العرس... ولكن لا يجوز انكشاف النّساء

(1) الونشريسيّ: أحمد بن يحيى؛ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيّة والأندلس والمغرب**، مرجع سابق، ص79.

(2) القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص: 270. (هذا إذا أخذنا أنّ الكراهة هنا الدّرجة الأقل بعد درجة الحرمة، إن لم تكن مرادفة في الظّنيات).

(3) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص102.

(4) القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص270.

(5) محمّد بن عبد الله بن محمّد المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ، أبو بكر بن العربيّ، قاض، من حفّاظ الحديث، ولد في إشبيليّة، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ مرتبة الاجتهاد في الدّين، من كتبه: العواصم من القواصم، وأحكام القرآن، والنّاسخ والمنسوخ، توفي سنة 543هـ. ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص230.

(6) ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1408هـ/ 1988م، ج3، ص526.

(7) سيأتي بيان تأويل الآية في مباحث الأدلّة.

(8) ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، مصدر سابق، ج3، ص526.

أمام الرّجال، ولا هتْك الأستار، ولا سماع الرّفث، فإذا خرج ذلك إلى ما لا يجوز مُنع من أوّله، واجتنب من أصله»[1].

وذكر الحسنيّ (ت 1314هـ) أنّ روايات مالك في تحريم الغناء محتملة على الغناء الّذي يقترن به منكر، وقوله: إنّما يسمعه الفسّاق منّا محتمل أنّ الّذين للَهوهم أو غرمهم يسمعونه عندنا، وصفهم كذا، فلا يدلّ على إرادة التّحريم، وقد قال ابن العربيّ: «إنّما علماؤنا بجملتهم قالوا: إذا وقع البيع فسخ، قال: ولو كان حراماً لم يقولوا فسخ»[2]، وعلّق النّدويّ (ت 2001م) في الفهرس: «وجميع أقوال الإمام مالك وعمله كما ذكره الزّبيديّ[3] (ت 1205هـ) في الإتحاف أنّه لا يطلق التّحريم على الغناء؛ وإنّما هو حرّم غناء يقترن بمنكر ونحوه، وكذا كرّه تلاوة القرآن بألحان غير مرضيّة؛ لأنّ حسن الصّوت فيها محمود مستحبّ»[4].

(1) المصدر نفسه، ج3، ص527.

(2) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مرجع سابق، ص69 – 70.

(3) محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّازق الحسينيّ الزّبيديّ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، علامة باللّغة والحديث والرّجال والأنساب، من كبار المصنّفين، أصله من واسط بالعراق، ومولده بالهند، ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس، وإتحاف السّادة المتّقين، توفي سنة: 1205هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص70.

(4) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مرجع سابق، ص70.

• رؤية المدرسة الشّافعيّة

يرى العديد من فقهاء المذهب الشّافعيّ أنّ الشّافعيّ[1] (ت 204هـ) كرّه الغناء، وإلى هذا ذهب ابن حجر الهيثميّ[2] (ت 974هـ)، والماورديّ الشّافعيّ (ت 450هـ)، والنّوويّ[3] (ت 676هـ) في المهذب، وبيّن شارحه أنّ الغناء الّذي كرّهَه الشّافعيّ هو الغناء من غير آلة مطربة، والّذي يقع بمجرّد الصّوت[4].

والرّوايات المرويّة عن الشّافعيّ أيضًا مختلفة، فيذكر الغزاليّ (ت 505هـ) في كتاب آداب القضاء عن الشّافعيّ: إنّ الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن

(1) محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشميّ القرشيّ المطلبيّ، إليه نسبة الشّافعيّة كافة، ولد في غزة بفلسطين، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة 199هـ، وتوفي فيها سنة 204هـ، من أشهر كتبه كتاب الأم، والرّسالة في أصول الفقه، واختلاف الحديث.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص26.

(2) أحمد بن محمّد بن عليّ بن حجر الهيتميّ السّعديّ الأنصاريّ، شهاب الدّين، أبو العباس، فقيه باحث مصريّ، مولده في محلّة أبي الهيتم من أقليم الغربيّة بمصر، وإليها نسبته، تلقّى العلم في الأزهر، من كتبه: مبلغ الأرب في فضائل العرب، والصّواعق المحرقة على أهل البدع والضّلال والزّندقة، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج، توفي بمكة سنة 974هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص234.

(3) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحورانيّ النّوويّ الشّافعيّ، أبو زكريا، محي الدّين، علّامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته من نوا بسوريّة، وإليها نسبته، من كتبه: تهذيب الأسماء واللّغات، ومنهاج الطّالبين، والدّقائق، توفي سنة 676هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص149 – 150.

(4) النّووي: أبو زكريا يحيى الدّين بن شرف؛ **المجموع شرح المهذّب**، تحقيق: محمود مطرجيّ، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م، ج22، ص220.

استكثر منه فهو سفيه تُردّ شهادته[1]، بينما يحكي الطّبريّ[2] (ت 540هـ) تحريم الشّافعيّ للغناء[3]، وذكر الشّريف الحسنيّ (ت 1341هـ) أنّه رُوي عن الشّافعيّ أنّه سمع الغناء عن الفتية، وقال عند فراغه لصاحبه يونس بن عبد الأعلى[4] (ت 261هـ) هل استنبطت؟ قال: لا، فقاله له: إن صدقت فمالَكَ حسّ صحيح[5]، وذكر أنّ يونس بن عبد الأعلى سأل الشّافعيّ عن إباحة أهل المدينة السّماع، فقال: لا أعلم أحداً من أهل الحجاز كرّه السّماع، إلا ما كان منه في الأوصاف، فأمّا الحداء، وذكر الأطلال والمرابع، وتحسين الصّوت بألحان الأشعار فمباح[6].

(1) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص562.

(2) محمّد بن جرير بن يزيد الطّبريّ، المؤرّخ المفسّر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي فيها، من كتبه: أخبار الرّسل والملوك المشهور بتاريخ الطّبريّ، وجامع البيان في تفسير القرآن، واختلاف الفقهاء، توفي سنة 410هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص69.

(3) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص563.

(4) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصّفديّ، من كبار الفقهاء، انتهت إليه رياسة العلم بمصر، كان عالماً بالأخبار والحديث، صحب الشّافعيّ وأخذ عنه، توفي في مصر سنة 264هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص261.

(5) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مصدر سابق، ص70 – 71.

(6) المرجع نفسه، ص71.

والإشكاليّة في هذا يعود كما أسلفنا إلى لفظتَي الكراهة والغناء، فالكراهة قد يُراد بها الحرمة وقد يراد بها ما دون ذلك، والغناء يطلق على ترديد النّظم أو النّثر الموزون بآلة أمْ بغير آلة، وعليه كلّ يوظّف النّصّ حسب سياقه هو، لا حسب سياق النّص، وزمنيّة إنزال الألفاظ.

وعلى الخلاف السّابق ذهب جمهور الشّافعيّة في الغناء كما حكاه الشّوكانيّ (ت 1255هـ)[1]، وأحمد مصطفى علي القضاة (معاصر)[2] إلى الكراهة، كالماورديّ[3]، والنّوويّ[4]، وذهب بعضهم إلى التّحريم مثل الطّبريّ[5]، وابن حجر الهيتميّ[6]، وآخرون ذهبوا إلى الإباحة كالغزالي[7]، ومحمود شلتوت (ت 1383هـ/ 1963م)[8].

(1) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص102.

(2) ينظر: القضاة: أحمد مصطفى علي؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص272.

(3) الونشريسيّ: أحمد بن يحيى؛ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيّة والأندلس والمغرب**، مرجع سابق، ج11، ص79 وما بعدها.

(4) النّووي: أبو زكريا يحيى الدّين بن شرف؛ **المجموع شرح المهذب**، مصدر سابق، ج22، ص216.

(5) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص560 – 561.

(6) القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص272.

(7) الغزاليّ: أبو حامد محمّد؛ **إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج5، ص103 وما بعدها.

(8) شلتوت: محمود؛ **الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليوميّة العامّة**، مصدر سابق، ص409 – 414.

وأمّا المعازف فالمشهور عند الشّافعيّة المنع، يقول النّوويّ: «ويحرّم استعمال الآلات الّتي تطرب من غير غناء كالعود والطّنبور والمعزفة...»[1]، ورخصوا في الدّف[2]، ويقسمها محمود المطرجيّ (معاصر) حسب المذهب الشّافعيّ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الآلة المحرّمة كالعود والمزمار والطّبل، فهذه يحرّم استماعها واستعمالها؛ لأنّها تُلهي عن ذكر الله والصّلاة، وتؤدّي إلى إتلاف المال.

القسم الثّاني: الآلة المكروه استعمالها، وهي ما زاد بها الغناء طرباً، ولم يكن بانفراده مطرباً كالقضيب.

القسم الثّالث: الآلة المباح استعمالها، وهي ما خرج عن آلة الإطراب، كالبوق الّذي يستعمل للإنذار، والطّبل الّذي يدعو إلى الحرب، والدّفّ في النّكاح والختان[3].

بيد أنّ الغزاليّ يعلّل استثناء الشّارع للأوتار والمزامير من القضيب والطّبل والدّف لم يكن لذَاتها؛ بل لما اقترن بها من بعض المنكرات عادة كشرب الخمور، وعادة اجتماع أهل الفسق عليها، فإذا وجدت مع قوم غير مقترنة بالمنكرات، ولم تكن مختصّة لأهل الفسق؛ في هذه الحالة يتغيّر الحكم،

(1) النّووي: أبو زكريا يحيى الدّين بن شرف؛ **المجموع شرح المهذّب**، مصدر سابق، ج22، ص217.

(2) المصدر نفسه، ج22، ص217.

(3) النّووي: أبو زكريا يحيى الدّين بن شرف؛ **المجموع شرح المهذّب**، مصدر سابق، ج22، ص221-222.

وتنتقل من المنع إلى الإباحة[1]، وبمثل تعليل الغزاليّ يرى شلتوت أنّ الآلات والمعازف ليست محرّمة لذَاتها؛ وإنّما تكون تابعة للغاية الّتي استُعملت فيها، حيث لا يفرّق بين آلة وأخرى، فحلالها حلال، وحرامها حرام[2].

• رؤية المدرسة الحنبليّة

اختلفت الرّوايات عن أحمد بن حنبل[3] (ت 241هـ) حيث يقول ابن قدامة[4] (ت 630هـ): واختلف أصحابنا -أي الحنابلة- فذهب أبو بكر[5]

(1) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص584، وما بعدها.

(2) شلتوت: محمود؛ **الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليوميّة العامّة**، مصدر سابق، ص409 – 419.

(3) أحمد بن محمّد بن حنبل، أبو عبد الله الشّيبانيّ، إمام المذهب الحنبليّ، ولد ببغداد، وسافر كثيراً، من كتبه المسند، وهو سفر ضخم من ستّ مجلّدات في الحديث، والتّاريخ، والنّاسخ والمنسوخ، توفي سنة 241هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص203.

(4) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسيّ الحنبليّ، أبو محمّد، موفق الدّين، فقيه، من كبار الحنابلة، أشهر كتبه المغنيّ شرح الخرقيّ، وله أيضاً: روضة النّاظر في أصول الفقه، والمقنع، توفي سنة 620هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص67.

(5) أحمد بن محمّد بن هارون، أبو بكر الخلّال، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، مفسّر وعالم بالحديث، من كتبه: تفسير الغريب، وطبقات أصحاب ابن حنبل، والحثّ على التّجارة والصّناعة والعمل، توفي سنة 311هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص206.

(ت311هـ) وصاحبه أبو بكر بن عبد العزيز[1] (ت 363هـ) إلى إباحته، وكان الخلّال يحمل الكراهة على أحمد على الأفعال المذمومة لا على القول بعينه[2]، وذكر الشّريف الحسنيّ (ت 1341هـ) أنّ أحمد بن حنبل صحّت الرّواية عنه أنّه سمع الغناء عند ابنه صالح[3] (ت 265هـ)، فقال له ابنه: كنت تكرّهه؟! فقال: إنّي بلغني أنّه يستصحب معه المنكر، فإذا كان مثل هذا فنعم[4].

بيد أنّ المشهور عن أحمد المنع، وعليه جمهور الحنابلة، كابن تيميّة (ت 728هـ)[5]، وابن القيّم (ت 751هـ)[6]، والألبانيّ (ت 1999م)[7]، وابن باز (ت

(1) عبد العزيز بن جعفر ابن معروف الخلّال، أبو بكر، غلام الخلّال، مفسّر، ثقة في الحديث، من حنابلة بغداد، من كتبه: الشّافي، والمقنع، وتفسير القرآن، توفي سنة 363هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص15.

(2) القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مصدر سابق، ص276.

(3) صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، قاض، ولد ببغداد، أحد الرّواة عن أبيه، توفي سنة 265هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص188. (تصرّف بسيط).

(4) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مصدر سابق، ص76.

(5) ينظر مثلاً: ابن تيمية: تقي الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم؛ **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، المملكة العربيّة السّعوديّة/ المدينة، 1416هـ/ 1995م، الجزء الحادي عشر.

(6) ينظر مثلاً: ابن القيم؛ **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، مصدر سابق.

(7) ينظر: الألبانيّ: محمد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق.

1419هـ)[1]، وابن عثيمين (ت 2001م)[2]، والجبرين (2009م)[3]، والحمدان (معاصر)[4].

إلا أنّ هناك من المتأخّرين من أجازه ولو مع آلة مثل أحمد الغامديّ (معاصر)[5]، وعادل الكلبانيّ (معاصر)[6]، وصالح المغامسيّ (معاصر)[7].

إلا أنّ المشهور في الآلات حسب المذهب الحنبليّ المنع[8]، إلا ما استُثني كالدّفّ في الأعراس، واختلفوا في الدّفّ هل يعمّ الرّجال أم يخصّ النّساء، يقول إبراهيم بن محمّد الضّويان[9] (ت 1353هـ/ 1935م): «ويسنّ إعلان النّكاح،

(1) ينظر: ابن باز: عبد العزيز؛ **أدلّة تحريم الأغاني والرّد على من أباحها**، ط دار الوطن، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، ط 1418هـ/ 1997م.

(2) ينظر: العثيميين: محمد بن صالح؛ **فتاوى الشّيخ العثيميين**، ط دار عالم الكتب، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، الطّبعة الرّابعة، 1414هـ/ 1994م، ج2، ص929 – 930.

(3) ينظر: الجبرين: عبد الله؛ **اللّؤلؤ المكين من فتاوى الجبرين**، تجميع: عبد الله بن سعد الحوطيّ، ط دار الفرقان، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م، ص256 – 257.

(4) ينظر: الحمدان: عبد العزيز؛ **أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسّنة وأقوال العلماء**، مرجع سابق.

(5) له رسالة في جواز الغناء والمعازف مرقونة غير مطبوعة، وعدة لقاءات في الفضائيات يصرّح بالجواز.

(6) صرّح بذلك في وسائل التّواصل والفضائيات.

(7) صرّح بذلك في الفضائيات.

(8) الزّحيليّ: وهبة؛ **الفقه الإسلاميّ وأدلّته**، مرجع سابق، ج5، ص574.

(9) إبراهيم بن محمّد بن سالم بن ضويان، من أهل الرّس بنجد، فقيه، نسابة، ومؤرّخ، من كتبه: منار السّبيل، ودليل الطّالب، وأنساب أهل نجد، توفي سنة 1353هـ/ 1935م. ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص72.

والضّرب عليه بدفّ، لا حلق فيه ولا صنوج.... وهو للنّساء فقط، ويكره للرّجال مطلقًا... وكلام الأصحاب التّسوية... وهو ظاهر النّصوص»[1].

• رؤية المدرسة الظّاهريّة

نشأت المدرسة الظّاهريّة مع داود بن عليّ الظّاهريّ[2] (ت 270هـ) في القرن الثّالث الهجريّ، وسُمّيت ظاهريّة لأنّها تأخذ بظاهر النّصوص من الكتاب والسّنّة (الرّوايات) والإجماع، وترفض جملة ما عداه من قياس ومصالح مرسلة واستحسان وسدّ الذّرائع وشرّع من قبلنا ونحوه، وقد تطوّرت في القرن الخامس مع ابن حزم الأندلسيّ (ت 456هـ)، ومن بعده ابن القيسرانيّ (ت 507هـ)، إلا أنّ بعضهم يرى أنّ الظّاهريّة ليست مذهبًا بقدر ما هي حركة فكريّة ترتبط بأشخاص أكثر من كونها تَشكّلاً مذهبيًّا أو مدرسيًّا.

وفي الجملة اشتُهر الظّاهريّة بإباحة الغناء والمعازف، وأخذنا سلفًا رأي ابن حزم حيث صرّح بأنّه لا يصحّ في هذا الباب –أيْ باب التّحريم للغناء والمعازف– شيء أبداً، وكلّ ما فيه موضوع، ووالله لو أُسند جميعه، أو واحد

(1) ضويان: إبراهيم بن محمّد، **منار السّبيل في شرح الدّليل على مذهب أحمد بن حنبل**، تحقيق: زهير الشّاويش، ط المكتب الإسلاميّ، لبنان/ بيروت، وسورية/ دمشق، الطّبعة الرّابعة، 1399هـ/ 1997م، ج2، ص213 – 214.

(2) داود بن عليّ بن خلف الأصبهانيّ الظّاهريّ، أبو سليمان، إمام مجتهد، توفي في بغداد سنة 270هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج2، ص333.

منه عن طريق الثّقات عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لما تردّدنا في الأخذ به[1].

وتابعه أبو الفضل محمّد بن طاهر القيسرانيّ الظّاهريّ الّذي ناقش الأدلّة بصورة أوسع مستخدماً المنهج الحديثيّ وخلص إلى جواز ذلك غناء وآلة[2].

ومن المعاصرين محمّد بن عمر العقيل المعروف بابن عقيل الظّاهريّ (معاصر)، وقد كتب رسالة عن نجاة الصّغيرة (معاصرة) فيما لا يقلّ عن سبعين صفحة، وعمره خمس وعشرون عاماً، حيث تحدّث عن ولادتها، ونشْأتها، وأغانيها، ومن لحّنها وغنّاها، ممّا أغضب ابن باز (ت 1999م)، وطلب منه عهداً أن لا يكتب للمغنّين، فعاهده، إلا أنّه لمّا زار الموسيقار محمّد بن عبد الوهاب (ت 1991م)، الحويّة في الطّائف بالمملكة العربيّة السّعوديّة عام 1405هـ –أي 1985م– دعاه الأمير بدر بن عبد العزيز (ت 2013م) لهذه المناسبة، فقابَله وأجرى معه لقاء في مجلّة الحرس الوطنيّ في حلقتين، فقال الشّيخ ناصر الشّثريّ (معاصر) والله ما يصلح لهذا (أي الموسيقار) إلا هذا (أي ابن عقيل الظّاهريّ)[3].

وعليه يتّضح فيما يبدو اتّفاق الظّاهريّة على الجواز غناء وآلة.

---

(1) للمزيد ينظر: ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص55 وما بعدها.

(2) ابن القيسرانيّ: شرف الدّين أبو عبد الله محمّد بن نصر؛ **كتاب السّماع**، مصدر سابق، (نسخة الكترونيّة).

(3) لقاء ابن عقيل الظّاهريّ مع شقران الرّشيديّ، صحيفة سبق الالكترونيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 24 ربيع الآخر 1438هـ/ 22 يناير 2017م.تأريخ الزّيارة: السّبت 15 يونيو 2019م، السّاعة السّابعة مساء.

قراءة الخطوط العامّة للمدارس الفقهيّة الثّمانية

بعد التّطواف في هذه المدارس الثّمانية، وذكر شيء من آرائها، نجدها اتّفقت على عدم جواز الغناء إذا اقترن بمحرّم، أو كان وسيلة إلى فعل حرام، أو اشتمل على لفظ محرّم، وكذا اتّفقوا على عدم جوازه إن ضيّع واجباً، وعدم جواز حضور جلسات وحفلات الغناء إذا اختلطت بمحرّم ولو في غير الغناء.

أمّا محلّ الخلاف، بداية في الغناء الخالي من آلة، نخلص إلى أربعة أقوال:

القول الأول: لا يجوز الغناء مطلقاً بآلة أو بغير آلة، شِعراً كان أم نثراً، وهذا قول شاذّ قال به بعض المتقدّمين، وقد يتبنّاه البعض بين فترة وأخرى.

القول الثّاني: لا يجوز الغناء في الجملة إلا ما استثني، نسَبه البعض إلى جمهور الشّيعة، ورواية عن الأئمّة الأربعة.

القول الثّالث: الغناء بدون آلة مكروه، وهذا قول عند الإباضيّة، ورواية عن الأئمّة الأربعة.

القول الرّابع: الغناء مباح إذا خلا من الفسق، أو لم يضيّع واجباً، ولم يشمل ألفاظاً محرّمة، فحلاله حلال، وحرامه حرام، وهو قول الجمهور، وعليه العمل عند المدارس الإسلاميّة اليوم قاطبة.

أمّا الغناء المشتمل على آلة ففيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: الأصل في الآلة المنع، وهو قول الجمهور من الإباضيّة، والزّيديّة، والجعفريّة، والمذاهب الأربعة، خلافاً للظّاهريّة، مع الخلاف في

المستثنى من الآلات كالدّفّ والطّبل والقياس عليه، وهل المستثنى ظرفي لفترة معيّنة، أو حالة ظرفيّة مخصّصة، أو على الإطلاق.

القول الثّاني: الأصل في الآلات الحلّ، إلا ما استُثني، أو دعا إلى محرّم، أو ضيّع واجبًا، أو اشتمل حرامًا، وهو قول الظّاهريّة، والغزاليّ (ت 505م) من الشّافعيّة، ومجموعة من المتصوّفة، وعليه العديد من المتأخّرين.

القول الثّالث: يكره استعمال الآلة كراهة شديدة، وهو قول بيوض (ت 1980م) من الإباضيّة.

الغناء والمعازف ومبحث الاستدلال

بعدما تحدّثنا عن مُجمل المذاهب الفقهيّة ندخل في مبحث الأدلّة ونبدأ بداية من القرآن فالرّوايات ثمّ أقوال الصّحابة أو السّلف وأخيراً الإجماع فالأدلّة العقليّة والمصالحيّة (المصالح المرسلة)، ونبدأ بأدلّة المجيزين ثمّ المانعين؛ لأنّ الأصل الجواز وبقاء حكم الإباحة إلا بدليل قويّ يقيّده أو يخصّصه أو ينقله إلى حكم آخر، وقدّمت النّقل على العقل مع رؤيتي بتقديم العقل لكَونه الآلة لفهم النّقل والتّعامل معه، ولكن قدّمته جرْياً على العادة في المسائل الفقهيّة مناقشة الأدلّة النّقليّة أولاً، وفي المسائل الكلاميّة مناقشة الأدلّة العقليّة أولاً.

- **أولاً: الأدلّة من القرآن الكريم**

الفريق الأول: فريق من يرى الإباحة

استدلّوا بقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

والشّاهد قوله سبحانه: ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾ فُسّرت بعدّة تفسيرات منها:

1. الصّوت الحسن؛ ذكره ابن المنذر[1] (ت 318هـ) عن ابن عباس[2] (ت 68هـ)[3]، وذكره عبد بن حميد[4] (ت 249هـ) وابن أبي حاتم[5]

(1) فاطر (1).

(ت 327هـ) والبيهقيّ[6] (ت 458هـ) في شعب الإيمان عن أبي هريرة[7] (ت 59هـ)[1]، وعزاه القرطبيّ (ت 671هـ) إلى ابن جريج[2] (ت 150هـ)[3].

---

(1) محمّد بن إبراهيم بن المنذر النّيسابوريّ، أبو بكر، فقيه مجتهد، من الحفّاظ، من كتبه: المبسوط، والأوسط في السّنن والإجماع والاختلاف، وتفسير القرآن، توفي سنة 319هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص294 – 295.

(2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، كنيته: أبو عباس، وأمّه: أمّ الفضل لبانة بنت الحارث الهلاليّة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- بالفقه وتعلّم التّأويل فقال: اللّهم فقه في الدّين، وعلّمه التّأويل، روى روايات عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، توفي بالطّائف سنة 68هـ.

ينظر: ابن حجر العسقلانيّ: أحمد بن عليّ؛ **الإصابة في معرفة الصّحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوّض، وآخرون، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م، ج4، ص121 – 131.

(3) السّيوطيّ: جلال الدّين عبد الرّحمن بن كمال الدّين أبي بكر؛ **الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، ج7، ص4.

(4) من رواة الحديث الشّريف، توفي سنة 249هـ.

(5) عبد الرّحمن بن محمّد، أبو حاتم الرّازيّ، حافظ للحديث، من كتبه: الجرح والتّعديل، والتّفسير، وعلل الحديث، توفي سنة 327هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص324.

(6) أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ، صاحب السّنن الكبرى، وشعب الإيمان، توفي سنة 458هـ.

آل سميط: زين؛ **مسائل كثر حولها النّقاش والجدل**، تعليق: أسامة قاسم، ط دار غار حراء، ص: 15، من الفهرس.

(7) من صغار الصّحابة المكثرين بالرّواية، توفي سنة 58هـ.

2. زيادة عدد الأجنحة؛ عزاه قطب الأئمة[4] (ت 1332هـ) إلى الحسن البصريّ[5] (ت 110هـ)[6]، وابن كثير[7] (ت 774هـ) إلى السّديّ[8]

---

(1) السّيوطيّ: جلال الدّين عبد الرّحمن بن كمال الدّين أبي بكر؛ **الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور**، مصدر سابق، ج7، ص4.

(2) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، فقيه الحرم المكيّ، إمام أهل الحجاز في عصره، وأول من صنّف بمكة، توفي سنة 150هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص160.

(3) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص320.

(4) محمّد بن يوسف أطفيش، قطب الأئمّة، جزائريّ من واداي وادي ميزاب من بني يسجن، من كبار علماء الإباضيّة المتأخّرين وأكثرهم تأليفاً، من كتبه: هيميان الزّاد إلى دار المعاد، وتيسير التّفسير، وداعي العمل ليوم الأمل، توفي سنة: 1332هـ/ 1914م.

ينظر: **معجم أعلام الإباضيّة (قسم المغرب)**، مصدر سابق، ج4، ص835 – 849.

(5) الحسن بن أبي الحسن يسار البصريّ، أبو سعيد، مولى الأنصار، روى عن أبيّ بن كعب، وسعد بن عبادة، وعمر بن الخطاب، وغيرهم، ثقة، توفي سنة 110هـ.

ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ج1، ص480 – 482.

(6) أطفيش: محمّد بن يوسف؛ **هيميان الزّاد إلى دار المعاد**، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة، سلطنة عُمان/ مسقط، ط 1411هـ/ 1991م، ج12، ص333.

(7) إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ، أبو الفداء، حافظ، ومؤرخ، وفقيه، من كتبه: البداية والنّهاية، وتفسير القرآن الكريم، توفي سنة 774هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص320.

(8) تابعي مفسر، كان عارفاً بالوقائع وأيام النّاس، توفي سنة 128هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص317.

(ت 127هـ)[1]، والشّوكانيّ (ت 1250هـ) إلى الفراء[2] (ت 207هـ) والزّجاج[3] (ت 311هـ)[4]، وهو قول جمهور أهل التّأويل[5].

3. الملاحة في العينين؛ عزاه القرطبيّ إلى قتادة[6] (ت 118هـ)[7].

وزاد الماورديّ (ت 450هـ) في النّكت والعيون الخُلق الحسن وعزاه إلى الحسن البصريّ[1]، وزاد المتصوّفة حسن المعرفة بالله، وحسن الإقبال عليه،

(1) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص320.

(2) يحيى بن زياد الدّيلميّ، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنّحو، واللّغة، وفنون الأدب، من كتبه: المقصور والممدود، والمعاني، واللّغات، توفي سنة 207هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص145 – 146.

(3) إبراهيم بن السّريّ بن سهل، أبو إسحاق الزّجاج، عالم بالنّحو واللّغة، كان يخرط الزّجاج في فتوته ثمّ مالَ إلى النّحو، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، والمثلث، ولد ومات في بغداد سنة 311هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص40.

(4) الشّوكانيّ: محمّد بن عليّ؛ **فتح القدير**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1405هـ/ 1994م، ج4، ص422.

(5) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص320.

(6) قتادة بن دعامة بن قتادة بن سدوس، روي عن أنس بن مالك، وجابر بن زيد، وعكرمة، ثقة ومفسّر، اتّهم بالقدر والتّدليس، مات سنة 117هـ، وقيل: 118هـ.

ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج4، ص540 – 543.

(7) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص320.

وحسن المراقبة له، والمشاهدة إياه[2]، قال بعضهم: {يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ} محبّة في قلوب المؤمنين، وقيل: التّواضع في الاعتراف، والسّخاء في الأغنياء، والتّعفّف في الفقراء، والصّدق في المؤمنين، والشّوق في المحبين، والولَه في المشتاقين، والمعرفة في الوالهين، والفناء في العارفين[3].

والّذين جعلوا من هذا الجزء من الآية دليلاً، مُستندهم التّأويل بالصّوت الحسن، هو نعمة من نعم الله تعالى، والغناء صوت جميل، سواء خرج من حنجرة بشر أو أوتار آلة، يقول عبد الصّبور شاهين (معاصر): «ونأتي إلى تحليل الأصوات الموسيقيّة وهي ليست سوى أصوات صادرة عن جمادات، سواء كان الجماد يهتزّ، أو ثقبًا ينفخ فيه، أو سطحًا يُقرع، فإنّ الأصوات النّاشئة عن هذا الاهتزاز، أو النّفخ، أو القَرع؛ لا تغنّي شيئًا، ولا تقول شيئًا، إلا ما يكون من تناسق أو انسجام بينهما، نتيجة ما يسمّى بالتّوزيع، وهذا التّوزيع شكل من الأشكال الإنسانيّة، ومهارة تشبه مهارة الشّاعر في اختيار الكلمات والأدوات والأوزان، ليقدّم في النّهاية قصيدته كما يقدّم الموسيقيّ مقطوعته، وكلّ منهما يتعامل مع الوجدان، وهزّ المشاعر، ولهب العواطف»[4].

---

(1) الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، نسخة الكترونيّة، سورة فاطر آية (1).

(2) السّلمي: أبو عبد الرّحمن محمّد بن الحسين؛ **تفسير حقائق التّفسير**، نسخة الكترونيّة، سورة فاطر آية (1).

(3) المصدر نفسه.

(4) الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، مصدر سابق، ص47-48. نقله المحقّق عبد المجيد دياب عن جريدة الإهرام، الجمعة: 6/ 4/ 1988م.

واعترض أنّ المقصود من الآية بالصّوت الحسن قول ضعيف ومرجوح، ثمّ رواية زيادة الأجنحة أقوى[1]؛ لأنّ الدّليل مقدّم من حيث التّفسير على آثار التّابعين والتّفسير بالرّأي[2]، وهو قول الجمهور[3]، ولو سلّمنا مقصود الآية الصّوت الحسن لخرجت المعازف بأدلّة أخرى خارجيّة من باب تخصيص العموم[4].

(1) أي كرواية: رأى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كلّ جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه التّهاويل من الدّر والياقوت ما الله به عليم.
أخرجه أحمد (3748) من طريق ابن مسعود.
والإشارة إلى هذه الرّوايات المتعلقة بالملائكة ربطًا لسياق أول الآية حيث الحديث عن الملائكة وأجنحتها: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

(2) أسند الزّمخشريّ في الكشاف التّأويل بالصّوت الحسن إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: ورُوي عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ هو الوجه الحسن، والصّوت الحسن، والشّعر الحسن، وكذا الطّبرسيّ في مجمع البيان عن أبي هريرة عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قال: هو الوجه الحسن، والصّوت الحسن، والشّعر الحسن.

(3) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص320.

(4) ينظر مثلاً في مقصود الآية: الصّابونيّ: محمّد؛ **صفوة التّفاسير**، الطّبعة الخامسة، ط دار العلم، لبنان/ بيروت، 1406هـ/ 1986م، ج2، ص64–65.

وردّ على هذا الاعتراض أنّ جملة: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ استئنافيّة، والـ«خلق» معرّفة بـ«أل»، والمعرَّف بـ«أل» يفيد العموم، يقول ابن عاشور[1] (ت 1393هـ/ 1973م): «وجملة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانيّاً؛ لأنّ ما ذُكر من صفات الملائكة يثير تعجّب السّامع أن يتساءل عن هذه الصّفة العجيبة، فأجيب بهذا الاستئناف بأنّ مشيئة الله تعالى لا تنحصر ولا تتوقّت، ولكلّ جنس من أجناس المخلوقات مقوّماته وخواصّه، فالمراد بالخلق المخلوقات كلّها، أي يزيد الله في بعضها ما ليس في خلق آخر، فيشمل زيادة قوّة بعض الملائكة، وكلّ زيادة في شيء من المخلوقات من المحاسن والفضائل، من حصافة عقل، وجمال صورة»[2]، ويقول الزّمخشريّ[3] (ت 538هـ): «والآية مطلقة تتناول كلّ زيادة في الخلق من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوّة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرّأي، وجراءة في القلب، وسماحة في النّفس، وذلاقة في اللّسان، ولباقة في التّكلّم، وحسْنُ تأنٍّ في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك ممّا لا يحيط به

(1) محمّد الطّاهر بن عاشور، من كبار علماء المالكيّة بتونس، ومن كبار المفسّرين في العصر الحديث، تأثّر بمحمّد عبده ومنهجه الإصلاحيّ، من أهمّ كتبه: التّحرير والتّنوير في التّفسير، ومقاصد الشّريعة الإسلاميّة، توفي سنة: 1393هـ/ 1973م.

(2) الطّاهر: محمّد بن عاشور؛ **التّحرير والتّنوير**، ط دار الجماهيريّة للنّشر والتّوزيع، تونس، ج22، ص251.

(3) محمود بن عمر بن محمّد الخوارزميّ الزّمخشريّ، أبو القاسم، من أئمّة العلم بالدّين والتّفسير واللّغة والآداب، جاور مكّة فسمّي جار الله، من أهمّ كتبه: الكشاف في التّفسير، وله أيضاً: الفائق، والمستقصي، توفي سنة: 538هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص178.

الوصف»[1]، ويقول الرّازيّ (ت 606هـ): «من المفسّرين من خصّصه وقال المراد الوجه الحسن، ومنهم من قال الصّوت الحسن، ومنهم من قال كلّ وصف محمود، والأَولى أن يعمّم، ويُقال: الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء، فيزيد ما يشاء، ويُنقص ما يشاء»[2]، وبالإطلاق والعموم صرّح العديد من المفسّرين كالنّسفيّ[3] (ت 710هـ) في مدارك التّنزيل[4]، والطّبريّ (ت 310هـ) في جامع البيان[5]، والشّوكانيّ في فتح القدير[6]، وعبد الرّحمن حبنكة (ت 1425هـ/ 2004م) في معارج التّفكّر[7]، وهو قول غالب المتأخّرين والمعاصرين من أهل التّأويل.

---

1 الزّمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمر؛ **الكشاف**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، ج3، ص298.

2 الرّازي: فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر؛ **مفاتيح الغيب: التّفسير الكبير**، نسخة الكترونيّة، من سورة فاطر آية (1).

(3) عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفيّ، أبو البركات، حافظ وفقيه ومفسّر حنفيّ، النّسفيّ نسبة إلى نسف ببلاد السّند، من كتبه: مدارك التّنزيل، وكنز الدّقائق، والمنار، توفي سنة: 710هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص67- 68.

(4) النّسفيّ: أبو البركات عبد الله بن أحمد؛ **مدارك التّنزيل ومعارج التّأويل**، ط دار الفكر، لبنان بيروت، ج3، ص332 – 333.

(5) الطّبريّ: محمّد بن جرير؛ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط دار الفكر، لبنان بيروت، 1408هـ/ 1988م، ج12، ص114.

(6) الشّوكانيّ: محمّد بن عليّ؛ **فتح القدير**، مصدر سابق، ج4، ص422.

(7) حبنكة: عبد الرّحمن؛ **معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر**؛ ط دار القلم، سوريّة/ دمشق، الطّبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، ج7، ص30 – 31.

وجعل الألوسيّ[1] (ت 1270هـ) هذا الجزء شاملاً للشّيء المستحسن والمستقبح[2]، واعتبر السّعديّ[3] (ت 1376هـ/ 1956م) أنّ لذّة النّغمات من النّعم الّتي يزيدها الله في الخلق[4].

وأمّا ما ورد عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– من تخصيص فِلِبيان بعض الموادّ المعهودة بطريق التّمثيل لا بطريق الحصر[5]، وبهذا لا يخصّص بروايات عدد أجنحة الملائكة مثلاً، ولا يحصر عند الصّوت الحسن أيضاً؛ بل هو شامل لكلّ زيادة في الخلق.

(1) محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ، شهاب الدّين، أبو الثّناء، مجدّد، ومفسّر، ومحدّث، وأديب، من أهل بغداد، سلفي الاعتقاد، من كتبه: روح المعاني، ودقائق التّفسير، وغرائب الاغتراب، توفي سنة 1270هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص176– 177.

(2) الألوسيّ: أبو الثّناء محمود بن عبد الله؛ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، ط دار الفكر، لبنان بيروت، ج11، ص164.

(3) أبو عبد الله عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ من قبيلة بني تميم، ولد بعنيزة بالقصيم عام 1307هـ، من شيوخه: إبراهيم بن حمد بن جاسر، ومحمّد عبد الكريم الشّبل، ومن مؤلّفاته: الدّرة المختصرة، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، توفي سنة 1376هـ.

ينظر: السّعديّ: عبد الرّحمن؛ **تيسير الكريم الرّحمن من كلام المنان**، تحقيق محمّد النّجار، ط عالم الكتب، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، ج1، ص5 – 8.من مقدّمة المحقّق بتصرّف.

(4) السّعديّ: عبد الرّحمن؛ **تيسير الكريم الرّحمن من كلام المنان**، مرجع سابق، ج6، ص299.

(5) العماديّ: أبو السّعود محمّد؛ **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان/ بيروت، ج7، ص142.

خلاصة ما سبق الآية لا يوجد بها قيد استدلاليّ في هذا المبحث، وهي تفيد عموم زيادة ما منّ الله تعالى في مخلوقاته من مزايا لا توجد في أجزاء أخرى من الخلق، ولهذا فهي من الإخبار لا التّشريع.

الفريق الثّاني: فريق من يرى المنع

الدّليل الأول: قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾(1).

والشّاهد أنّهم ذهبوا إلى تأويل لهو الحديث بالغناء، واستدلّوا بسبب النّزول، وذكر ابن العربيّ (ت 543هـ) روايتين في سبب النّزول(2):

الرّواية الأولى أنّها نزلت في النّضر بن الحارث(3) (ت 2هـ)، كان يجلس بمكّة، فإذا قالت قريش: إنّ محمّداً قال كذا وكذا؛ ضحك منه، وحدّثهم بأحاديث ملوك الفرس، ويقول: حديثي هذا أحسن من قرآن محمّد.

ضعّف هذه الرّواية ابن العربيّ(4)، والألبانيّ (ت 1999م)(5)؛ لأنّ فيها الكلبيّ(1) (ت 204هـ)، ومقاتل(2) (ت 150هـ)، وهما متروكان متّهمان بالكذب(3).

---

(1) لقمان (6).

(2) ابن العربي: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، مصدر سابق، ج3، ص1494.

(3) من سادات قريش، أدرك الإسلام ولم يُسلم، توفي سنة 2هـ.

(4) ابن العربي: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، مصدر سابق، ج3، ص1494.

(5) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص142.

بيد أنّ الرّواية لا متعلّق بها أيضـًا من حيث الغناء، فمدلولها عامّ، حيث إنّ النّضر بن الحارث يلهي النّاس عن استماعهم للقرآن بروايات الفرس، وكان مقصده الصّدّ عن سماع القرآن، فحكاية الرّواية لذاتها ليست بحرام، ولكن الحرمة إذا قصد بها الصّدّ عن سماع كتاب الله تعالى، فكذلك الغناء أيضـًا، فالعلّة ظاهرة وهي قصد الصّدّ، ويظهر هذا جليّـًا من الآية التّالية: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[4].

وأمّا الرّواية الثّانية إنّها نزلت في رجل من قريش، اشترى جارية مغنّية، فشغل النّاس بلهْوها عن استماع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–[5].

ضعّف الرّواية ابن العربيّ[6]، والألبانيّ[1]، وذكروا أنّ الرّجل هو نفسه النّضر بن الحارث، حيث اشترى قينة، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق

---

(1) هشام بن محمّد الكلبيّ، أبو المنذر، مؤرّخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب كأبيه، كثير التّصانيف، من كتبه: جمهرة الأنساب، والأصنام، وبيوتات قريش، عاش ومات بالكوفة سنة: 204هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص87 – 88.

(2) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزديّ الخرسانيّ، روى عن الزّهريّ والضّحاك ومجاهد، مختلف في توثيقه، توفي سنة 150هـ.

ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج5، ص523 – 526.

(3) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص142.

(4) لقمان (7).

(5) ابن العربي: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، مصدر سابق، ج3، ص1494.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص1494.

إلى قينته فيقول: أطعميه واسْقيه وغنّيه، هذا خير ممّا يدعوك إليه محمّد من الصّلاة والصّيام، وأن نقاتل بين يديه[2]، وفي سندها جويبر (ت؟)[3]، وهو متروك الحديث[4].

وهذه الرّواية مع أنّها أقوى في الإشارة إلى الغناء؛ إلا أنّها أقلّ ذكْراً في كتب التّفسير، وهي ليست دليلاً للمانعين أيضاً؛ لدلالة العليّة المشار إليها في الرّواية ذاتها، وهو الصّدّ عن سماع محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، والكلّ متّفق على الحكم المترتّب على هذه العليّة ولو كان مُباحاً في الأصل، مع ركاكة الرّواية، وعموم الصّدّ عن النّبي وسماعه.

وكما جاءت روايات في بيان سبب النّزول؛ جاءت روايات أيضاً في تفسيرها منها رواية أبي إمامة الباهليّ[5] (ت 86هـ) عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهنّ، ولا تعلّموهنّ، ولا خير في

---

(1) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص142.

(2) المرجع نفسه، ص142.

(3) جويبر بن سعيد الأزديّ، روى عن أنس بن مالك، وأبي صالح السّمان، وغيرهم، متروك الحديث، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الحاكم: ذاهب الحديث.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج5، ص523 – 526.

(4) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص142.

(5) صديّ بن عجلان، أبو إمامة الباهليّ، صحابيّ مشهور، سكن الشّام، ومات بها سنة 86هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1415هـ/ 1995م، ج2، ص437.

تجارة فيهنّ، وثمنهنّ حرام، في مثل ذلك أنزلت هذه الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ....**﴾[1].

ذكر ابن حزم (ت 456هـ) ثلاثة طرق للرّواية كلّها ضعيفة[2]، وضعّفها القرطبيّ (ت 671هـ)[3]، ونقل عن أبي عيسى[4] (ت 297م) أنّ هذا الحديث غريب، حيث يروى عن القاسم[5] (ت 112هـ) عن أبي إمامة، والقاسم ثقة (عند فريق)، وعليّ بن يزيد[6] (توفي بعد المائة من الهجرة) يضعّف في الحديث[1].

---

(1) أخرجها التّرمذي باللّفظ والطّريق نفسه، باب كراهية بيع المغنّيات، حديث رقم: 3195 [ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **عارضة الأحوذيّ شرح صحيح التّرمذيّ**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، ج5، ص282؛ وأخرجها ابن ماجه بلفظ مختلف ومن الطّريق نفسه، باب ما لا يحلّ بيعه، حديث رقم 2167.

(2) ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص58.

(3) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص51.

(4) أبو عيسى محمّد بن عيسى التّرمذيّ، من أشهر الحفاظ في القرن الثّالث الهجريّ، من كتبه السّنن، توفي عام: 297هـ.

ينظر: الخطيب: محمّد عجاج؛ **مختصر علوم الحديث**، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الثّالثة، 1407هـ/ 1987م، ص137.

(5) القاسم بن عبد الرّحمن الشّاميّ، أبو عبد الرّحمن الدّمشقيّ، مولى آل أبي بن حرب الأمويّ، روى عن عليّ وابن مسعود وغيرهم، مختلف في توثيقه، مات سنة 112هـ، وقيل: 116هـ.

ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج4، ص521 – 522.

(6) عليّ بن يزيد أبو بلال، روى عن القاسم بن عبد الرّحمن، ومكحول الشّاميّ، ضعيف الحديث، قال البخاريّ: منكر الحديث ضعيف، وقال السّاجيّ: اتّفق أهل الحديث على تضعيفه، وقال الأصبهانيّ: منكر الحديث، مات في العشر الثّانيّ بعد المائة.

وضعّفها أيضًا ابن العربيّ[2]، والشّوكانيّ (ت 1250)[3]، والشّريف الحسنيّ (ت 1341هـ)[4]، يقول عبد القادر الأرناؤوط (معاصر): في سند الحديث من لا يُعرف[5].

وفي المقابل حسّنَ ابن القيّم (ت 751هـ) الرّواية مُحتجّاً بكثرة الشّواهد[6]، وتابعه الألبانيّ[7]، وابن باز (ت 1419هـ)[8].

واعترض على هذه الرّواية: لو صحّت لم تدلّ على تحريم الغناء، ولا يصحّ قياس غيرهنّ عليهنّ، ويمنع دلالته على تحريم غنائهنّ؛ فإنّه ليس فيه إلا

ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج4، ص249.

(1) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج14، ص51؛ ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **عارضة الأحوذيّ شرح صحيح التّرمذيّ**، مصدر سابق، ج5، ص282.

(2) ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **عارضة الأحوذيّ شرح صحيح التّرمذيّ**، مصدر سابق، ج5، ص282.

(3) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص99– 100.

(4) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مصدر سابق، ص152.

(5) ابن الأثير الجزريّ: مبارك بن محمّد؛ **جامع الأصول في أحاديث الرّسول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1403هـ/ 1983م، ص487.من الهامش.

(6) ابن القيّم الجوزيّة: أبو عبد الله محمّد؛ **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، مصدر سابق، ص358.

(7) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص68 – 73.

(8) ابن باز: عبد العزيز؛ **أدلّة تحريم الأغاني والرّد على من أباحها**، مرجع سابق، ص25 – 26.

النّهي عن بيعهنّ وشرائهنّ، ولا يلزم من نهْي البيع تحريم الغناء[1]، ثمّ إنّ ربط الرّواية بالآية دليل على العليّة المقيّدة لها وليس على الإطلاق، على أنّ كثرة الشّواهد إذا كانت أقلّ درجة لا تزيد الضّعيف إلا ضعفاً!!!

ومن الرّوايات المفسّرة رواية عائشة (ت 58هـ) قالت: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- إنّ الله حرّم القينة، وبيْعها، وثمنها، وتعليمها، والاستماع إليها، ثمّ قرأ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**....﴾[2].

ضعّف الرّواية البيهقيّ (ت 458هـ) وقال: ليس بمحفوظ[3]، وابن حزم (ت 456هـ) وبيّن أنّ في سندها ليث وهو ضعيف، وسعيد بن أبي رزين وهو مجهول لا يُدرى من هو، وكذلك أخوه[4].

بجانب استدلالهم إلى الرّوايات المسندة إلى النّبيّ الأكرم -عليه الصّلاة والسّلام- سبباً وتفسيراً؛ استندوا أيضاً إلى أقوال الصّحابة والتّابعين، وقد جمع الماورديّ (ت 450هـ) هذه في سبعة أقوال[5]:

1. شراء المغنّيات، واستدلّوا بحديث أبي إمامة المتقدّم، وبيّنّا ضعفه.

(1) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مصدر سابق، ص152.

(2) رواه الطّبرانيّ بسند ضعيف (حسن: ياسين محمد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص: 197)؛ وعزاه السّيوطيّ في **الدّر المنثور** إلى أبي الدّنيا في ذم الملاهي، وابن مردويه.ج6، ج504.

(3) حسن: ياسين محمّد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، مصدر سابق، ص197.

(4) ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص56.

(5) ينظر: الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، مصدر سابق، ج4، ص328.

2. الغناء، قاله ابن مسعود (ت 32هـ)، وابن عباس (ت 68هـ)، وعكرمة[1] (ت 94هـ)، وابن جبير[2] (ت 107هـ)، وقتادة (ت 118هـ).
3. الطّبل: قاله عبد الكريم[3] (ت 127هـ)، والمزمار قاله ابن زحر[4] (ت ق1هـ).
4. الباطل: قاله عطاء[5] (ت 114هـ).
5. الشّرك بالله: قاله الضّحاك[1] (ت 111هـ)، وابن زيد[2] (ت 182هـ).

---

(1) أبو عبد الله المدنيّ، مولى ابن عباس، روى عن مولاه، وعليّ بن أبي طالب، والحسن بن عليّ، وغيرهم، ثقة، قتله الحجاج مات سنة: 107هـ، وقيل: 110هـ.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج4، ص167 – 172.
(2) سعيد بن جبير بن هشام الأسديّ الولجيّ، روى عن ابن عباس، وابن الزّبير، وابن عمر، ثقة، قتله الحَجّاج عام 94هـ، وقيل: 95هـ.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص292 – 294.
(3) الظّاهر هو: عبد الكريم بن مالك الجزريّ، أبو سعيد، مولى بني أميّة، ثقة مُتقِن، توفي سنة: 127هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص611.
(4) عبيد الله بن زحر، الضّمريّ مولاهم، الأفريقيّ، صدوق يخطئ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص632.
(5) عطاء بن رباح، واسمه أسلم القرشيّ، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزّبير، وغيرهم، ثقة، توفي سنة: 114هـ، وقيل: 115هـ.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج4، ص128 – 130.

6. ما ألهى عن الله: قاله الحسن (ت 110هـ).
7. الجدال في الدّين، والخوض في الباطل: قاله سهل بن عبد الله[3] (ت 283هـ).

وممّا نلحظه من هذه الأقوال بعيداً عن ضعفها أو صحّتها، وبعيداً على كونها تفسيرات ظرفيّة ذات بعد ظرفيّ أسقطت فيه، وهذا الأصل من التّفسير، فالمفسّر يتأثّر بالبُعد الظّرفيّ والثّقافيّ للمجتمع الّذي يعيش فيه، ويُحاول إسقاط الآيات على هذه الظّرفيّة؛ بعيداً عن هذا كلّه نجد الأقوال المذكورة سلفاً تدلّ في جُملتها على عموميّة الإضلال كالباطل والشّرك والجدال في الدّين، وما خصّه ابن مسعود على الغناء فهو عامّ أيضاً، أيّ غناء يقصد، وإن قلْنا الأصل الحقيقة العرفيّة أو الحقيقة الشّرعيّة في تحديد مفهومه؛ فهذا أيضاً ليس على إطلاقه؛ لأنّه محمول على الإضلال، ولو حُمل على الإطلاق لكان تأويلاً

(1) الضّحاك بن مخلد الشّيبانيّ، أبو عاصم النّبيل البصريّ، قيل إنّه مولى بني شيبان، وقيل من أنفسهم، روى عن يزيد بن أبي عبيد، ومالك بن أنس، وهشام بن حسان، وغيرهم، أرّخه ابن حبان في الثّقات، توفي سنة: 111هـ، وقيل: 112هـ، وقيل: 113هـ.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص147 – 148.
(2) ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ، وليس جابر بن زيد، حيث إذا أطلق ابن زيد في كتب التفسير فينصرف إلى عبد الرحمن، وهو ضعيف، توفي سنة: 182هـ.
العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص570.
(3) سهل بن عبد الله، صوفي زاهد، ابن يونس، توفي سنة: 283هـ.
ينظر: الذّهبيّ: محمّد بن أحمد بن عثمان؛ **سير أعلام النّبلاء**، تحقيق: محبّ الدّين أبو سعيد عمر، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1977م، ج10، ص647 – 649.

لابن مسعود، وتأويل الصّحابيّ أو التّابعيّ غير مُلزم، فلازم النّصّ ليس بنصّ، وإسقاطات الدّليل تبقى اجتهاديّة، وعلى هذا قِسْ ما أوّله غيره بشراء المغنّيات أو الطّبل أو المزمار!!

وعلى عموميّة الآية ذهب ابن حزم (ت 456) إذ يقول: «لا حجّة في هذا لوجوه أحدها: أنّه لا حجّة لأحد دون رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، والثّاني: أنّه قد خالف غيرهم من الصّحابة والتّابعين، والثّالث: أنّ نصّ الآية يبطل احتجاجهم بها؛ لأنّ فيها: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾، وهذه صفةٌ من فَعلها كان كافراً بلا خلاف؛ إذا اتّخذ سبيل الله هزواً، ولو أنّ امرأ اشترى مصحفاً ليضلّ به عن سبيل الله؛ كان كافراً بلا خلاف، فهذا الّذي ذمّ الله تعالى، وما ذمّ قطّ من اشترى لهو الحديث ليتلهّى به، ويروّح عن نفسه، لا ليضلّ عن سبيل الله»[1].

ويقول ابن سعديّ (ت 1376هـ) في تفسيره: «ولمّا ذكر الله تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه؛ ذكر من أعْرض عنه، ولم يرفع له رأساً، وأنّه عوقب على ذلك، بأن تعوّض عنه كلّ باطل من القول؛ فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قوله وأقبحه...، ﴿**لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ أي الأحاديث الملهية للقلوب، فدخل في هذا كلّ كلام محرّم، وكلّ لغو وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان، ومن أقوال الرّادين عن الحقّ، المجادلين في الباطل، ليدحضوا به الحقّ، من غيبة ونميمة وكذب وشتم

(1) ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص60.

وسبّ، ومن غناء ومزامير شيطان[1]، ومن المجاريات الملهية الّتي لا نفع فيها في دين ولا دنيا»[2].

ويقول سيّد قطب (ت 1966م) في الظّلال: «ولهو الحديث كلّ كلام يُلهي عن القلب، ويأكل الوقت، ولا يثمر خيراً، ولا يؤتي بحصيلة تليق بوظيفة الإنسان المستَخلف في هذه الأرض لعمارتها بالخير والعدل والصّلاح»[3].

ويقول فضل الله (ت 2010م) في تفسيره: «وإذا كانت بعض الأحاديث المأثورة قد فسّرت لهو الحديث بقصص الأكاسرة والجبابرة، أو بالغناء؛ فإنّ الجوّ الّذي تتحرّك فيه الآية أوسَع من ذلك، فهي تتحرّك في خطّ النّتائج العمليّة، لما يقدّمه هؤلاء من أحاديث، يحاولون بها إشغال النّاس عن كلمات الله، وعن دينه، ممّا يجعل القضيّة المرفوضة، والإنذار بالعذاب في نطاق السّلوك الّذي يتحرّك به هؤلاء النّاس، من خلال الهدف الشّرير، بعيداً عن طبيعة المضمون الذّاتي للأحاديث»[4].

الخلاصة لا يوجد في الآية شاهد قويّ على حرمة الغناء والمعازف لعموم لفظة اللّهو، وما ورد من تقييد لا يخلو من مقال كما أسلفنا، ولأنّ الآية معلّلة

(1) ذكرتُها من باب الشّاهد في عموم تفسير الآية، وليس من باب الموافقة في الإسقاط الكلّيّ للغناء والمعازف.

(2) السّعديّ: عبد الرّحمن؛ **تيسير الكريم الرّحمن من كلام المنّان**، مرجع سابق، ج6، ص150.

(3) قطب: سيّد؛ **في ظلال القرآن**، ط دار العلم للطّباعة والنّشر، المملكة العربيّة السّعوديّة، جدّة، الطّبعة الثّانية عشرة، 1406هـ/ 1986م، ج5، ص2784.

(4) فضل الله: محمّد حسين؛ **من وحي القرآن**، ط دار الملاك، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م، ج15، ص182.

بالإضلال، كما يقول القرطبيّ (ت 671هـ): وترجم البخاريّ[1] (ت 256هـ) باب كلّ لهو باطل إذا شغل عن طاعة الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ فقوله: إذا شغل عن طاعة الله، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

الدّليل الثّاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[2]، الشّاهد قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، تتفرّد الشّيعة الإماميّة عن باقي المدارس الإسلاميّة بتفسيرها بالغناء، إذ وردت عندهم روايات عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق[3] (ت 148هـ) في ذلك[4]، كرواية: سألتُ جعفر بن محمّد -عليه السّلام- عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ قال: الرّجس من الأوثان:

(1) محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ، أبو عبد الله البخاريّ، الحبر الحافظ، صاحب الجامع الصّحيح، والتّاريخ، والضّعفاء، توفي سنة: 256هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ الأعلام، **مصدر سابق**، ج6، ص34.

(2) الحج (30).

(3) جعفر بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السّبط، أبو عبد الله، لقّب بالصّادق لأنّه لم يعرف الكذب عنه، سادس الأئمّة عند الشّيعة الإماميّة، من أجلاء التّابعين، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك، عاش ومات بالمدينة سنة 148هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ الأعلام، **مصدر سابق**، ج2، ص126.

(4) ينظر مثلاً: **البحرانيّ:** هاشم الحسينيّ؛ **تفسير البرهان في تفسير القرآن**، في تفسير هذه الآية من سورة الحجّ. (نسخة الكترونيّة).

الشّطرنج، وقول الزّور: الغناء، وفي رواية عنه أيضـًا: قـول الـزّور: قـول الرّجـل للّذي يغنّي: أحسنت.

ولهذا يقول الطّوسيّ[1] (ت 460 هـ): «وروى أصحابنا -أي الإماميّة- أنّه يدخل فيه الغناء، وسائر الأقوال الملهية بغير حقّ»[2].

بيد أنّ المدارس الإسلاميّة الأخرى فسّرت قول الزّور بالشّرك، أو الكذب، أو شهادة الزّور، أو عبادة المشركين، أو النّفاق[3]، ولم أجد من فسّرها بالغناء، وتفسيرها بالغناء لا ينسجم وسياق السّورة ذاتها -في نظري-؛ لأنّها جاءت لإقرار التّوحيد، وإبطال الشّرك، وعليه تدور آيات الحجّ[4]، يقول الطّبطبائيّ[5] (ت 1401 هـ): «لكنّ تخصيص هاتين الحرمتين من بين جميع الحرمات في

(1) محمّد بن الحسن بن عليّ الطّوسيّ، مفسّر من كبار علماء الشّيعة الإماميّة، انتقل من خراسان إلى بغداد فالنّجف، من كتبه: التّبيان الجامع لعلوم القرآن، والاستبصار، والاقتصاد، توفي سنة 460هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ الأعلام، **مصدر سابق**، ج6، ص84 - 85.

(2) الطّوسيّ: أبو جعفر محمّد بن الحسن؛ **تفسير التّبيان الجامع لعلوم القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الحجّ آية (30).

(3) الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، نسخة الكترونيّة، من سورة الحجّ آية (30).

(4) فصّلت بصورة كبيرة منطلق التّوحيد في الحجّ في كتابي: مقاصد الحجّ والعمرة، والّذي أضيف إلى كتاب: **الحجّ والعمرة: خطوة خطوة**، لمن أراد المزيد.

(5) محمّد حسين الطّباطبائيّ، من كبار مفسّري وعلماء الشّيعة الإماميّة المعاصرين، من أشهر كتبه تفسيره الميزان في تفسير القرآن، من تبريز بإيران، توفي سنة 1402هـ.

سياق آيات الحجّ بالذّكر ليس إلا لكونهما مُبتلى بهما في الحجّ يومئذ، وإصرار المشركين على التّقرّب من الأصنام هناك، وإهلال الضّحايا باسمها»[1].

ولهذا نخلص أنّه لا مستند للآية في قضيّة الغناء، ولو قيل بعموم الآية لكان حملها على سياقات النّص ذاته، وهو الغناء الدّاعي إلى الوثنيّة وإحلال ما حرّم الله تعالى، لا على الغناء نفسه.

الدّليل الثّالث: قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[2]، والشّاهد لفظة: ﴿**لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ حيث رُوي عن مجاهد[3] (ت 104هـ) الغناء[4]، وعن محمّد بن الحنفيّة[5] (ت 81هـ) اللّهو والغناء[6]، ورواه

(1) الطّبطبائيّ: محمّد حسين؛ **الميزان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الحج آية (30).

(2) الفرقان (72).

(3) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المخزوميّ مولاهم، المكيّ، ثقة، إمام في التّفسير، توفي سنة 104هـ.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص159.

(4) الطّبريّ: أبو جعفر محمّد بن جعفر؛ **تفسير جامع البيان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الفرقان آية (72).

(5) محمّد بن عليّ بن أبي طالب، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفيّة، أمّه خولة بنت جعفر الحنفيّة، ينسب إليها تمييزاً عن الحسن والحسين أبناء فاطمة الزّهراء، كان شجاعًا واسع العلم، مات بالطّائف هروبًا من ابن الزّبير سنة 81هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص270.

(6) الزّمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمر؛ **الكشاف**، نسخة الكترونيّة، من سورة الفرقان آية (72).

الشّيعة عن أبي جعفر[1] (ت 114هـ) وأبي عبد الله (ت 148هـ) في اللّهو والغناء[2]، وشكّك ابن العربيّ (ت 543هـ) في دخول الغناء في مفهوم الآية: «وأمّا القول بأنّه الغناء فليس ينتهي إلى هذا الحدّ»[3].

وإلى عموم مفهوم الزّور ذهب غالب أهل التّفسير، يقول أبو جعفر القرطبيّ (ت 671هـ): «وأصل الزُّور تحسين الشّيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيَّل إلى من يسمعه أو يراه أنّه خلاف ما هو به، والشّرك قد يدخل في ذلك؛ لأنّه محسَّن لأهله، حتى قد ظنّوا أنّه حقّ، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء؛ لأنّه أيضاً ممّا يحسنه ترجيع الصّوت، حتى يستحلي سامعُه سماعَه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه، لتحسين صاحبه إيّاه، حتى يظنّ صاحبه أنه حقّ، فكلّ ذلك ممّا يدخل في معنى الزّور. فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصّواب في تأويله أن يُقال والّذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء، ولا كذباً ولا غيره، وكلّ ما لزمه اسم الزّور؛ لأنّ الله عمّ في وصفه إياهم أنّهم لا يشهدون الزّور، فلا ينبغي أن يُخَصّ من ذلك شيء إلا

(1) محمّد بن عليّ زين العابدين بن الحسين، أبو جعفر الباقر، خامس الأئمّة عند الشّيعة الإماميّة، عابد ناسك، توفي سنة 114هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص270 – 271.

(2) الطّبرسيّ: الفضل بن الحسن؛ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الفرقان آية (72).

(3) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الفرقان آية (72).

بحجّة يجب التّسليم لها، من خبر أو عقل»[1]، بيد أنّ الرّازيّ (ت 604-606هـ) يرى أنّ كلّ هذه الوجوه محتملة، ولكنّ استعماله في الكذب أكثر[2].

وبغضّ النّظر عن التّأويلات الأخرى للزّور كالشّرك وأعياد المشركين؛ إلا أنّ الزّور فيه حقيقة الكذب واللّبس، وهذا يتوافق مع شهادة الزّور والكذب في المجالس، والغناء ليس كذلك، إلا إذا استخدم للزّور والكذب فيشمله، كما يُستخدم لتمجيد الظّالم المستبدّ، ولهذا يقول يحيى رضا جاد (معاصر): «الزّور كلّ ما خالف الحقّ، فحصره في الغناء قول عاطل باطل مخالف للّسان العربيّ»[3]، ويقول يوسف الصّانعيّ (معاصر): «أنّ هذه الآية في مقام بيان صفات المؤمنين وعباد الرّحمن، ولا بدّ أن يتحلّى المؤمنون بصفات مستحبّة لا ترقى إلى الوجوب، وعليه لا يمكن لنا أن نستفيد الوجوب من هذه الآية بالنّسبة إلى مورد من هذه الموارد»[4].

نخلص أنّه لا يمكن الاستشهاد بهذا الجزء لا عن طريق التّخصيص ولا العموم، فأمّا الأول فلا يخرج عن دائرة التّفسير وإن صحّت النّسبة، وهو

(1) المصدر نفسه.

(2) الرّازي: فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر؛ **مفاتيح الغيب: التّفسير الكبير**، نسخة الكترونيّة، من سورة الفرقان آية (72).

(3) جاد: يحيى رضا؛ **فقه الغناء والموسيقى: دراسة تأصيليّة تجديديّة في ضوء القرآن والسّنّة والمقاصد (القسم الأو)** ، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، عدد (22)، ربيع 2012م، 1433هـ، ص61.

(4) الصّانعيّ: يوسف؛ **الموسيقى والغناء: مطالعة في الموقف الشّرعيّ**، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، عدد (22)، ربيع 2012م، 1433هـ، ص155.

اجتهاد ظنّي، ورد غيره أيضـًا، وأمّا الثّاني فمحمـول على الغنـاء المشـتمل على الكذب والزّور والبهتان، فيخرج غيره من الغناء الدّاعي إلى البناء والفضيلة.

وما أشرنا به إلى الجزء ينطبق على الجزء الآخر: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ في تفسير اللّغو بالغناء، فلا يصحّ الاستشهاد به أيضـًا، وكذا قولـه تعـالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾[1]، فلا معنى لمن خصّص اللّغو بالغناء والمعازف، فـالأمر سيّان.

الدّليل الرّابع: قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[2]، والشّاهد: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**﴾، حيث فسّر مجاهد (ت 104هـ) الصّوت بالغناء واللّهو[3]، وفسّره الضّحاك (ت 111هـ) بصوت المزمار[4]، وقيل بصوتك أي بوَسْوَستك[5]، بينما ذهب ابن عباس (ت 86هـ) إلى عموم الدّعاء إلى معصية الله تعالى[6]، يقول الطّبريّ (ت

(1) القصص (55).

(2) الإسراء (64).

(3) الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

(4) المصدر نفسه.

(5) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

(6) الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

310هـ): «وأولى الأقوال في ذلك بالصّحة أن يقال إنّ الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفززْ من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصّصْ من ذلك صوتًا دون صوت، فكلّ صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافًا للدّعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته»[1]، وبالعموم ذهب أيضًا ابن سعديّ (ت 1376هـ) حيث يرى أنّه يدخل في هذا كلّ داع إلى المعصية[2]، ورجّحه قطب الأئمة (ت 1332هـ)، واعتبر العموم أحسن لأنّه أعمّ[3].

وللطّبطبائيّ (ت 1401هـ) إشارة لطيفة في تفسيره، «﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**﴾ أي استنهضْ للمعصية من استطعت أن تستنهضه من ذرّية آدم -وهم الّذين يتولّونه منهم ويتّبعونه كما ذكره في سورة الحجر- بصوتك، وكأنّ الاستفزاز بالصّوت كناية عن استخفافهم بالوسوسة الباطلة من غير حقيقة، وتمثيل بما يُساق به الغنم وغيره بالنّعيق والزّجر وهو صوت لا معنى له»[4].

والآية لا مستند لهم بها أيضًا؛ لأنّها في سياق التّصوير البيانيّ، حيث يصوّر القرآن ما يقوم به إبليس وجنوده من إغواء بني آدم ما يستنهض به القائد في

(1) الطّبريّ: أبو جعفر محمّد بن جعفر؛ **تفسير جامع البيان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

(2) السّعديّ: عبد الرّحمن؛ **تيسير الكريم الرّحمن من كلام المنّان**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

(3) أطفيش: محمّد بن يوسف؛ **هميان الزاد إلى دار المعاد**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

(4) الطّبطبائيّ: **الميزان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، سورة الإسراء آية (64).

المعركة ومعه الخيل والرّكاب، وهذا يحتاج إلى رفع صوت، وهو كناية هنا عن الوسوسة الخفيّة، ولا علاقة له بالغناء والمزامير واللّهو، إلا إذا استخدمت في الشّرّ فتكون كأي وسيلة حكمها حكم الغاية الّذي تُستخدم فيه، يقول يحيى رضا جاد (معاصر): «فالصّوت هنا بذاته ليس موضوع الذّم، وإنّما ذمّه واستقباحه لكونه يستخدم في الدّعوة إلى الشّيطان وحزبه، فالأصوات -بما فيها الغناء والمعازف- لا ينالها الذّمّ إلا أن تكون وسيلة شيطانيّة تستخدم في الدّعوة إلى معصية الله، والفسوق عن أمره ونهجه، أمّا إذا استُخدمت في غير ذلك فإن الآية لم تتعرّض لذلك على الإطلاق، لا باللّفظ ولا بالفحوى»[1].

الدّليل الخامس: قوله تعالى: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ، وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾[2]، والشّاهد قوله تعالى: ﴿**وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾، فسّرها البعض بالغناء، «هو الغناء بلغة حِمْيَر؛ يقال: سمِّد لنا أي غنِّ لنا، فكانوا إذا سمعوا القرآن يُتلى تغنّوا ولعبوا حتى لا يسمعوا»[3].

والآية لا مُستند فيها لأنّ هذا من قبل التّفسير، فقد أورد الماورديّ (ت 450هـ) في تأويلها تسعة أقوال[4]، ثمّ لو سلّمنا به الغناء لكانت معلّلة كآية اللّهو

---

(1) جاد: يحيى رضا؛ **فقه الغناء والموسيقى: دراسة تأصيليّة تجديديّة في ضوء القرآن والسّنّة والمقاصد (القسم الأول)**، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، مرجع سابق، ص61.

(2) النّجم (59 – 61).

(3) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **الجامع لأحكام القرآن**، نسخة الكترونيّة، سورة النّجم آية (61).

(4) الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمّد؛ **النّكت والعيون**، نسخة الكترونيّة، سورة النّجم آية (61).

في سورة لقمان بالصّدّ عن سماع القرآن، كما يظهر من الآيات قبلها، وبه يعمّ كلّ ما يصدّ عنه ولو مباحـًا في الأصل، وللرّازيّ (ت 606هـ) كلام لطيف في هذا حيث يقول: «﴿وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾ أي غافلون، وذُكِرَ باسم الفاعل؛ لأنّ الغفلة دائمة، وأمّا الضّحك والعجب فهما أمران يتجدّدان ويعدمان»[1].

الدّليل السّادس: قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[2]، والشّاهد قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾، والمشهور المكاء هو الصّفير، «من مَكَا يمكو إذا صفّر، ومنه المكاء، كأنّه سمّي بذلك لكثرة مكائه»[3]، والتّصدية التّصفيق، «تفعِلة من الصّدى أو من صدَّ يصدُّ»[4].

فمن أدخل الغناء اعتبر ذلك «ضربـًا من اللّهو واللّعب»[5]، فيدخل فيه الغناء، أو أنّ الغناء والموسيقى أشدّ من التّصفير والتّصفيق[6] فيكون أَولى بالمنع.

---

(1) الرّازي: فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر؛ **مفاتيح الغيب: التّفسير الكبير**، نسخة الكترونيّة، من سورة النّجم آية (61).

(2) الأنفال (35).

(3) الزّمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمر؛ **الكشاف**، نسخة الكترونيّة، من سورة الأنفال آية (35).

(4) المصدر نفسه، نسخة الكترونيّة، من سورة الأنفال آية (35).

(5) الطّبرسيّ: الفضل بن الحسن؛ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، نسخة الكترونيّة، من سورة الأنفال آية (53).

(6) جاد: يحيى رضا؛ **فقه الغناء والموسيقى: دراسة تأصيليّة تجديديّة في ضوء القرآن والسّنّة والمقاصد (القسم الأول)**، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، مرجع سابق، ص63.

والصّواب لا علاقة بين الغناء والمعازف والآية، فمحوريّة الآية إنكار من جعل صلاته أو طوافه عند البيت صفيراً وتصدِية، مع أنّ الصّفير والتّصدية في أصلهما مباحان، فلو صفّر الرّاعي لأجل غنَمه، أو القائد تنبيها لجنده، وما يفعل اليوم في الملاعب من قبل الحكام في إدارة مباريات الملعب؛ فهذا مُباح؛ لأنّ الغاية مباحة، فالوسيلة كذلك أيضاً، وكذا التّصفيق لأجل تشجيع مبدع، أو ملاعبة طفل؛ فهذا كلّه مباح كذلك، وعليه لا مستند أيضاً من خلال هذه الآية.

الخلاصة:

خلاصة ما تقدّم من استدلال قرآنيّ يظهر لنا -والله أعلم- لا حجّة للفريقين في ذلك؛ لأنّ القرآن الكريم لم يتطرّق إلى قضيّة الغناء والمعازف بقدر ما تطرّق إلى آيات الوجود والكون كالجمال في مخلوقاته، وعليه يبقى ما أشرْنا إليه إسقاطات اجتهاديّة تأثّراً بأدلّة خارجيّة، أو لوازم ظرفيّة معيّنة، وليست هي النّصّ ذاته، فهي مصاديق قابلة للتّصديق والإسقاط.

- **ثانياً: الأدلّة من الرّوايات**

الفريق الأول: فريق من يرى الإباحة.

الدّليل الأول: رواية البخاريّ (ت 256هـ) من طريق عائشة (ت 57هـ) دخل عليّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وعندي جاريتان تغنّيان غناء بعاث[1]، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر (ت 13هـ)

(1) تقدّم: يوم من أيام العرب في الجاهليّة.

فانتهزني: مزمارة الشّيطان عند النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فأقبل النّبيّ فقال: دعْهما، فلمّا غفل غمزتُهما فخرجتا[1].

والشّاهد من الرّواية إقرار النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لغناء الجاريتين، واعترض عليه أولاً: الجواري كنّ صغيرات، والصّغار يرخص لهم ما لا يرخص للكبار، والثّاني: إنكار أبي بكر دليل على علْمه بالتّحريم، وإلا لما أنكر عليهما، لا سيّما وأنّه قال: أمزمور الشّيطان، وهذا وصف يدلّ على الحرمة.

وردّ عليهم بالتّناقض بين الاعتراضين، فإن كانت الجاريتان صغيرتين، والصّغار يرخص لهم ما لا يرخص للكبار؛ فلمَ أنكر عليهنّ أبو بكر إذا؟!! فإذا كان إنكاره على المزمار دلّ إقرار النّبيّ على إثبات يعمّ جواز ما بعده، وينقض إنكار أبي بكر، فتعلّق الاعتراض بالاحتمال، والاحتمال أمام ظاهرية الإقرار لا قيمة له، ولعلّ إنكاره لعادة أهل مكّة على عدم استساغته، فأسقط ذلك وهو بالمدينة كطبيعة الإنسان لمّا يسافر أو يستقرّ أو تدخل إليه ثقافات أخرى غير معهودة عنده سلفاً.

الدّليل الثّاني: رواية البخاريّ (ت 256هـ) من طريق الرّبيع بنت معوذ (ت بضع وسبعين للهجرة) قالت: جاء النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يدخل حين بني علي، فجلس على فراشك مجلسك منّي، فجعلت جويريات لنا يضربْن بالدّفّ، ويندبْن من قُتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهنّ: وفينا نبيّ يعلم ما في غد، فقال: دعي هذا، وقولي بالّذي تقولين[2].

(1) أخرجه البخاريّ باللّفظ نفسه من طريق عائشة، الجزء الأول، كتاب العيدين، باب (2) الحراب والدّرق يوم العيد، حديث رقم 907.

(2) رواه البخاريّ باللّفظ والطّريق نفسه، ج2، ص352، وج9، ص166 – 167.

فهذه كالرّواية السّابقة، وهي تحوي أمرين: الأول إقرار النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لها، والثّاني تهذيبه لما تقول، ففساد بعض الأثر لا يدلّ على فساد الكلّ، ومن باب أَولى لا يدلّ على فساد الأصل.

الدّليل الثّالث: رواية البخاريّ (ت 256هـ) من طريق عائشة (ت 57هـ) أنّها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبيّ الله -صلّى الله عليه وسلّم-: يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإنّ الأنصار يعجبهم اللّهو[1].

والشّاهد أمر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يصحب الزّفاف لهو، واللّهو وإن كان ذمّاً في القرآن، إلا أنّه هنا من باب مصطلح اللّغة الواسع، ولعلّ الرّاوي استخدم لفظاً قريباً لمراد الرّسول، والحاصل مراعاة الرّسول لأعراف المجتمع، ومنها إدخال الفرح في الأعراس حسب عادات النّاس وتقاليدهم، ويدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2].

الدّليل الرّابع: رواية محمّد بن حاطب(3) (ت 74هـ) عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فصل ما بين الحلال والحرام الدّفّ والصّوت في النّكاح[4]، والرّواية سنداً تدور بين الصّحّة والحسن، وربما ضعّفها بعضهم لسببين:

---

(1) رواه البخاريّ باللّفظ والطّريق نفسه، حديث رقم 5162.

(2) الأعراف (199).

(3) محمّد بن حاطب بن الحارث الجمحيّ، الكوفيّ، صحابيّ صغير، مات سنة 74هـ. ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص65.

(4) أخرجه التّرمذيّ (1088)؛ والنّسائيّ (3369)؛ وابن ماجه (1896)، وأحمد (15451)، من طريق أبي بلج عن محمّد بن حاطب.

الأول أنّ فيها يحيى بن أبي سليم[1] (ت؟) يخطئ وجرّحه بعضهم، والثّانيّ رؤية محمّد بن حاطب للنّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- وهو غلام صغير، والأشهر أنّ سندها حسَن، فقد حسّنها التّرمذيّ[2] (ت 279هـ) حيث قال: «حديث حسن، وأبو بلج اسمه يحيى بن أبى سليم ويقال: ابن سليم أيضًا، ومحمّد ابن حاطب قد رأى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو غلام صغير»[3]، ووافقَه الألبانيّ (ت 1420هـ/ 1999م) حيث قال: «ويترجّح عندي أنّه حسن فقط كما قال التّرمذيّ؛ لأنّ أبا بلج هذا تكلّم فيه بعضهم، وذكر له الذّهبيّ (ت 748هـ) في ترجمته من «الميزان» بعض المنكرات»[4]، بينما ذهب إلى تصحيحها الحاكم[5] (ت 405هـ) والذّهبيّ[1] (ت 748هـ)[2].

---

(1) يحيى بن أبي سليم، أبو بلج، الفزاريّ، الكوفيّ، ثمّ الواسطيّ، وقيل اسمه يحيى بن سليم، أو ابن أبي الأسود، صدوق ربما أخطأ، من طبقة صغار التّابعين.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص370.

(2) محمّد بن عيسى بن سورة السّلميّ البوغيّ التّرمذيّ، أبو عيسى، من أئمّة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ على البخاريّ، وشاركه في بعض شيوخه، من كتبه: الجامع الكبير، وصحيح التّرمذيّ، والشّمائل النّبويّة، توفي سنة 279هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص322.

(3) الألبانيّ: محمّد بن ناصر؛ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل**، إشراف زهير الشّاويش، ط المكتب الإسلاميّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1405هـ/ 1985م، ج7، ص50.

(4) المرجع نفسه، ج7، ص51.

(5) محمّد بن عبد الله بن حمدويه النّيسابوريّ، الشّهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله، من كبار حفاظ الحديث والمصنّفين فيه، من كتبه: المستدرك على الصّحيحين، والإكليل، والمدخل، توفي بنيسابور سنة 405هـ.

ومعنى فصل بين الحلال والحرام أي متعلّقة بالإشهار وليس بحليّة الزّواج والفرق بينه وبين السّفاح، إذ الثّاني يحصل بمجرّد القبول والإيجاب على الصّحيح، لهذا فهم من قال بأصل المنع في المعازف بأنّ هذه الرّواية مخصّصة في الحالة والآلة، أي حالة الفرح والزّواج، وآلة الدّفّ دون غيرها، ومن رأى عموم جواز الآلات كان دليلاً على الإباحة، فإذا أُبيح في الدّفّ فلم يمنع في غيره، والآلات وأعراف النّاس تتغيّر، وفي الوقت نفسه تتطوّر.

والرّواية يتّضح من لفظها الوضع المتأخّر، والرّكاكة في الجملة، خاصّة في شقّها الأول، ومراد الصّوت أي الإشهار والذّكر.

الدّليل الخامس: رواية دخلتُ على قرظة بن كعب[3] (ت في عهد معاوية) وأبي مسعود الأنصاريّ (توفي في عهد عليّ وقيل معاوية) في عرس، وإذا جَوارٍ

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص227.

(1) محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذّهبيّ، شمس الدّين، أبو عبد الله، حافظ، ومؤرّخ، ولد وتوفي في دمشق، تركمانيّ الأصل، من كتبه: دول الإسلام، والكنى والألقاب، وطبقات القراء، توفي سنة 748هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص326.

(2) الألبانيّ: محمّد بن ناصر؛ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل**، مرجع سابق، ج5، ص50 – 51.

(3) قرظة بن كعب بن ثعلبة الأنصاريّ، صحابيّ، شهد الفتوح بالعراق، ومات في حدود الخمسين من الهجرة.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص28.

يغنّين، فقلتُ: أنتما صاحبا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: اجلس إن شئت، فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، فقد رخص لنا في اللّهو عند العرس[1].

والرّواية صحيحة سنداً عند أغلب المحدثين أو حسنة السّند عند البعض، وفي ظاهرها أقرّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- للجواريّ أن يغنّين في العرس، ومنها فُهم جواز الغناء من الجواريّ، وكونه في العرس ليس من باب التّخصيص، وإنّما يشمل كلّ فرح كالأعياد الوطنيّة والدّينيّة، وذهب فريق إلى أنّ الجواريّ أي الأمَة الصّغيرة، وهذا مخصوص بالأعراس أو الفرح، ويحمل عليه الغناء بالدّفّ لا غيره، وذهب آخرون إلى أنّ الإنكار دليل المنع، ولولا علْمهم بالمنع لما أنكروا، فيحمل التّرخيص على مقدار ما رخص في الرّواية من استثناء.

واستدلال الفريق الأخير ليس بضعيف من حيث الإنكار؛ إلا أنّ الإنكار قد لا يكون سببه أنّ ذلك محرّماً في عقلهم الباطنيّ، وإلا لكان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أكثر غيرة منهم على محارم الله تعالى، وأنّه كان حاضراً معهم ولم ينكر، وعليه قد يكون طبيعتهم السّابقة لم تتعوّد على هذا، فأسقطوا ذلك على واقعة الحال، وهذا طبيعي في العقل البشريّ حيث ما تمّ التّعوّد عليه يؤثّر في إسقاطاته الحكميّة وتعامله مع الأمور، وإباحته من الجواريّ ولو سلّمنا بصغرهنّ، أو أنّهن من الإماء فيه إشارة إلى أنّ صوت المرأة ليس بعورة ما دام متّزناً، في أيّ قول أو فعل محمود، وأنّ لكلّ قوم طبيعتهم، والغناء في الفرح

(1) أخرجه النّسائيّ، حديث رقم 3348.

كالعرس والعيد ونحوه ممّا يستحسنه الإنسان، وإن استهجَنتْه بعض الطّبائع لكونها لم تتعوّد عليه، إلا أنّ الأصل الإباحة والجواز لا التّضييق والمنع.

الدّليل السّادس: عن بريدة[1] (ت 63هـ) قال: «خرج رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في بعض مغازيه، فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إنّي كنت نذرت أن درّك الله صالحًا أن أضرب بين يديك بالدّفّ وأتغنّى، فقال لها: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، ثمّ دخل عمر فألقَت الدّفّ تحت أسْتِها ثمّ قعدت عليه، فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: إنّ الشّيطان ليخاف منك يا عمر، إنّي كنت جالسًا وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، فلمّا دخلت أنت يا عمر ألقَتِ الدّفّ»[2].

والحديث الأغلب على تصحيحه أو تحسينه، بيد أنّ ابن القطان[3] (ت 628هـ) ضعّفه لضعف رواية عليّ بن حسين بن واقد[1] (ت 111هـ)[2]، وتعقّبه

(1) بريدة بن الحصيب الأسلميّ، أبو سهل، صحابيّ، أسلم قبل بدر، توفي سنة: 63هـ. ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص124.

(2) أخرجه التّرمذي (3690) واللّفظ له، وأحمد (23061) مختصراً. وقال التّرمذيّ: حديث حسن غريب.

(3) عليّ بن محمّد الفاسيّ، أبو الحسن، ابن القطان، من كبار الحفّاظ والنّقّاد في الحديث، من كتبه: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، ونظم الجمان، توفي سنة 628هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص331.

ابـن الملقـن[3] (ت 804هـ) أنّ هـذا التّضـعيف خـاصّ بروايـة التّرمـذيّ (ت 279هـ) خلافـاً لروايـة ابـن حبّـان[4] (ت 354هـ) وأحمـد (ت 241هـ)، فهـي صحيحة(5).

والرّوايـة مضـطربة، ويُشـمّ فيهـا رائحـة التّعصـب السّياسـيّ والمـذهبيّ، أمّـا الاضـطراب فجعـل الشّـيطان لا يخـاف مـن الرّسـول الأكـرم ولا مـن الخلفـاء الثّلاثة غير عمر، ثـمّ لمـاذا خـصّ هـؤلاء الخلفـاء بالـذّكر؟ إلا لكـون الخـلاف السّياسـيّ جاريـاً بعـدهم وفي عمـر خصوصـاً حيـث الخـلاف حولـه أكـبر بـين

---

(1) عليّ بن الحسين بن واقد المرزويّ، صدوق يهم، مات سنة 111هـ.
ينظـر: العسـقلانيّ: أحمـد بـن علـيّ بـن حجـر؛ **تقريـب التّهـذيب**، مصـدر سـابق، ج1، ص692.

(2) ابن الملقن الأنصاريّ: أبو حفص عمر بن محمّد؛ **البدر المنير في تخريج أحاديث الشّرح الكبير**، تحقيـق محمّـد عثمـان، ط دار الكتـاب العلميّـة، لبنـان/ بيـروت، ج7، ص446.

(3) عمـر بـن علـيّ بـن أحمـد الأنصـاريّ، الشّـافعيّ، سـراج الـدّين، أبـو حفـص ابـن النّحـويّ، المعـروف بـابن الملقّـن، مـن كبـار العلمـاء في الحـديث، والفقـه، وتـاريخ الرّجال، من كتبه: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، والتّذكرة في علوم الحديث، توفي سنة 804هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص57.

(4) محمّد بن حبّان بـن أحمـد التّميمـيّ، أبـو حـاتم البسـتيّ، مؤرّخ، علّامـة، جغـرافيّ، محدّث، من كتبه: المسند الصّحيح، وروضة العقلاء، والأنـواع والتّقاسيم، تـوفي سـنة 354هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج6، ص78.

(5) ابن الملقّن الأنصاريّ: أبو حفص عمر بن محمّد؛ **البدر المنير في تخريج أحاديث الشّرح الكبير**، مصدر سابق، ج7، ص447.

مدرستَي الخلفاء وآل البيت، أو بين أهل الحديث والشّيعة، فهي لا تتعدّى روايات التّعصّب لبيان مناقب البعض لا أكثر.

والرّواية اعتبرها المجيزون حجّة لهم لترخيص الرّسول للجارية، وكوْنها نذرت يدلّ على أنّها بالغة، وعليه الغناء حين الفرح ممّا يتوسّع فيه، وفي المقابل جعلها المانعون حجة لأنّ الشّيطان خاف من عمر، ولا يكون ذلك إمّا على أمر مخصوص للنّبيّ تحرّزاً من هؤلاء من نسبة سماع المنكر إلى الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، أو أنّه أقلّ أفضليّة من عمر، ولاضطراب الرّواية وظاهر وضْعها لا يمكن أن تكون دليلاً وحجّة في الجملة.

الفريق الثّانيّ: فريق من يرى المنع والتّحريم

الدّليل الأول: رواية عبد الرّحمن بن غنم[1] (ت 178هـ) قال: حدّثني أبو مالك[2] (توفي في عهد عمر 13 – 23هـ) أو أبو عامر[1] (توفي في عهد عبد الملك

(1) عبد الرّحمن بن غنم الأشعريّ، روى عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وعن عمر وعثمان وعليّ وغيرهم، وعنه ابنه محمّد وعطية بن قيس وأبو سلام وغيرهم، ذكرهم ابن سعد في الطّبقة الأولى من تابعي أهل الشّام، قال: وقد كان ثقة إن شاء الله، قيل: كان له صحبة، توفي سنة 178هـ.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج6، ص225 – 226.

(2 أبو مالك الأشعريّ، قيل اسمه الحارث بن الحارث، وقيل عبيد، وقيل غير ذلك، روى عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وعنه عبد الرّحمن بن غنم، وأبو صالح الأشعريّ، وربيعة بن عمر، وغيرهم، مات في خلافة عمر.
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج12، ص239.

65 – 86هـ) سمع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: ليكوننّ من أمّتي قوم يحلّون الحرّ[2]، والحرير، والخمر، والمعازف[3].

اتّفق المحدثون على صحّة الرّواية سنداً، وخالفهم ابن حزم (ت 456هـ)، وذهب إلى أنّها موضوعة بدليلين: الأول «الانقطاع ما بين البخاريّ (ت 256هـ) وهشام[4] (ت 145هـ)[1]، «حيث قال البخاريّ: قال: هشام، مع أنّ

---

(1) أبو عامر الأشعريّ، عبد الله بن هانئ، وقيل اسمه ابن وهب، وقيل غير ذلك، له عن نبي الله –صلّى الله عليه وسلّم– حديث واحد: نعم الحي الأزد والأشعريون، روى عنه ابنه عامر، توفي في خلافة عبد الملك (65 – 86هـ).
ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج12، ص160 – 161.

(2) أي الفروج.

(3) وردت الرّواية بعدة ألفاظ، منها ما ذكر فيها لفظة المعازف وهي رواية البخاريّ في كتاب الأشربة، باب فيمن يستحلّ الخمر ويسمّيه بغير اسمه، بالطّريق واللّفظ نفسه، (5/ 2123)؛ وابن ماجه بلفظ مختلف من طريق أبي مالك الأشعريّ، كتاب الفتن، باب العقوبات، حديث رقم 4042.
ومنها لم يذكر فيها لفظة المعازف، كما عند الرّبيع بن حبيب من طريق عبادة بن الصّامت، كتاب الأشربة من الخمر والنّبيذ، حديث رقم 626؛ وأحمد بن حنبل من طريق أبي مالك الأشعريّ، حديث رقم 2239؛ وأبي داود من طريق أبي مالك الأشعريّ، كتاب الأشربة، باب في الدّاذاي، حديث رقم 3688؛ وابن ماجه من طريق عبادة بن الصّامت، كتاب الأشربة، حديث رقم 3384؛ والدّارميّ من طريق عائشة، كتاب الأشربة، باب ما قيل في المُسكر، حديث رقم 2100؛ والبيهقيّ من طريق عبد الرّحمن بن غنم الأشعريّ، كتاب الأشربة، باب الدّليل على أنّ الطّبخ لا يخرج هذه الأشربة، رقم الحديث 173783؛ ومالك في الموطأ من طريق عمر بن الخطاب، كتاب استحلال الخمر، حديث رقم 1577.

(4) هشام بن عمّار بن نصير السّلميّ الدّمشقيّ، الخطيب، صدوق، مقرئ، كبر فصار يتلقّن، فحديثه القديم أصحّ، توفي سنة 145هـ.

لفظة قال ليست من صيغ الاتصال، والبخاريّ لم يلتَقِ هشاماً، فالحديث منقطع، والمنقطع كما هو معلوم من أقسام الضّعيف، قلتُ -أي ابن حزم-: فضلاً على أنّ هشاماً متكلّم فيه، ومنهم من قال فيه كلاماً آخر، جاء في التّهذيب عن الآجري عن أبي داود، وأبو أيوب يعني سليمان بن عبد الرّحمن خير منه، حدّث هشام بأربعمائة حديث مسندة ليس لها أصل، يدور على أحاديث أبي مسهر وغيرها، يلقّنها هشاماً يتحدّث بها، وكنت أخشى أن تفتك في الإسلام فتكاً، قال: وقال هشام بن عمّار: حديثي قد رُوي، فلا أبالي من حمل الخطأ، وقال دارة: عرفت زماناً أن أمسك عن حديث هشام؛ لأنّه كان يبيع الحديث»[2].

والأمر الثّاني: جهالة الصّحابيّ، حيث لم يوضح الرّاويّ هل الصّحابيّ أبو مالك أمْ أبو عامر.

وقد ردّ على ابن حزم كثير من العلماء قديماً وحديثاً، كما مال إلى رأيه العديد من المعاصرين أيضاً، وممّن ردّ عليه ابن الصّلاح[3] (ت 643هـ)[4]،

العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص268.

(1) جاء في المحلى أنّ الانقطاع بين البخاريّ وصدقة، وهذا -كما قال الألبانيّ- زلّة قلم، غير أنّ الانقطاع كان بين البخاريّ وهشام كما هو ظاهر رواية البخاريّ. (ينظر).

(2) العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج11، ص47-49.

(3) عثمان بن عبد الرّحمن بن عثمان النّصريّ، أبو عمرو، تقيّ الدّين، المعروف بابن الصّلاح، من علماء التّفسير، والحديث، والفقه، وأسماء الرّجال، من كتبه: معرفة أنواع الحديث المعروف بمقدّمة ابن الصّلاح، والأماليّ، والفتاوى، توفي سنة 643هـ. ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج4، ص206.

(4) الألبانيّ: محمد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص83.

وابـن حجـر (ت 974هـ)[1]، والعينـيّ[2] (ت 855هـ)[3]، وابـن القـيّم (ت 751هـ)[4]، والألبانيّ (ت 1999م)[5]، وغيرهم.

وأهمّ الاعتراضات تتمثّل في: أولاً: البخاريّ لقي هشام بن عمّار، وإتيانه صيغة قال تماثل قولهم عن، وثانيـاً: علّق البخاريّ بصيغة الجزم، لا بصيغة التّمريض، وهو دليل على صحّته عنده، وثالثـاً: الحديث جاء موصولاً من طرق أخرى، ورابعـاً: جاء حول التّشكيك في اسم الصّحابيّ، حيث إنّ الرّاوي صرّح بالسّماع من النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، وهو ثقة من كبار التّابعين، بل قيل بصحبته، فهو من العارفين بصحبة محدّثه عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، ولا سيّما أنه قد أكّد ذلك بقوله: والله ما كذّبني.

فالحديث مثلاً له شاهد في سنن ابن ماجه، وهو موصول من طريق أبي مالك الأشعريّ، وفيه معاوية، وهو مختلف فيه، إلا أنّ حديث ابن ماجه جاء مفسّراً لحديث البخاريّ؛ لأنّه ربط بين شرب الخمور والمعازف، حيث نصّ:

---

(1) ابن حجر الهيتميّ: أحمد بن محمد بن عليّ؛ **فتح الباريّ شرح صحيح البخاريّ**، ط دار الفكر، لبنان بيروت، ج10، ص51 وما بعدها.

(2) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمّد، بدر الدّين العينيّ، الحنفيّ، مؤرّخ سوري ومحدّث، من كتبه: عمدة القارئ في شرح البخاريّ، ومعاني الأخبار في رجال معاني الآثار، توفي سنة 855هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج7، ص163.

(3) العينيّ: بدر الدّين محمّود بن أحمد؛ **عمدة القاري في شرح صحيح البخاريّ**؛ دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان/ بيروت، ج21، ص157.

(4) الألبانيّ: محمد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص82.

(5) المصدر نفسه، ص80.

«ليشربنّ ناس من أمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنّيات، ويجعل منهم القردة والخنازير»، فالرّواية صوّرت حالة شرب الخمور وما يصاحبه من حضور المعازف والمغنّيات، لهذا قال المجيزون بأنّ رواية ابن ماجه تعليليّة، حيث بيّنت العلّة من الحرمة ليس لِذات المعازف والغناء، وإنّما ما يصاحبه من صفات منكرة، بينما ردّ المانعون بأنّ اقتران المعازف بالخمر ونحوها تأكيد على حرمتها؛ لأنّها من باب الوسائل لا العلل، فالغناء والمعازف وسيلة إلى ارتكاب غيرها من المحرّمات، إلا ما خصّ كالدّفّ والطّبل عند آخرين.

والرّواية ليست حجّة صريحة في التّحريم أو المنع، حتى لو سلّمنا بصحّتها سنداً، وهي ظاهرة الوضع حال الانفتاح في المجتمع المسلم، فظهور التّطور في اللّباس (الحرير)، وكثرة المجالس والسّهر لانتشار الأمن والخلطة والعيش الرّغيد، إلا أنّ هذه المجالس كما أسلفنا صاحَبها العديد من المعازف والخمورُ ورقص الجواريّ والقيان، فلهذا كانت الرّدة السّلبيّة ووضع مثل هذه الرّوايات، والله أعلم.

الدّليل الثّاني: حديث ابن عباس (ت 68هـ): «صوتان ملعونان في الدّنيا والآخرة، صوت مزمار عند نغمة، وصوت مرنة عند مصيبة»[1].

(1) أخرجه الرّبيع بن حبيب بالطّريق واللّفظ نفسه، كتاب الأشربة، باب في المحرّمات، حديث رقم 636، وفي ذيله: وزيد فيها في رواية أخرى: لعنت النّائحة، والجالسة إليها، والمستمعة؛ والتّرمذي بلفظ مختلف من طريق عبد الرّحمن بن عوف، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرّخصة في البكاء على الميت؛ والبزار بلفظ قريب من طريق أنس بن مالك، وغيرهم.

والحديث بطرقه اختلف فيه، فقيل صحيح وهو الأقل، وقيل حسن، وقيل ضعيف وهو الأكثر، وقيل مُنكر، ومنهم من حسّنه من باب تعاضد الشّواهد، وفي الجملة وجود لفظة اللّعن في قضيّة فقهيّة فرعيّة ليست من الكبائر ممّا يشمّ من الرّواية رائحة الضّعف إن لم نقُل بالوضع، وعلى اعتبار صحّتها أو تحسينها فالرّواية لا تخرج عن العليّة، فصوت المرأة، والبكاء على الميت شيء فطريّ، متى ما خرج النّواح إلى عدم الرّضا بالقضاء، أو تعذيب النّفس؛ صار محرّمًا، فكذلك صوت المزمار في ذاته ليس محرّمًا إلا إذا استُخدم في معصية، وخصّ الغزالي (ت 505هـ) -كما تقدّم- حرمة المزمار من بين الآلات، وهو تكلّف ظاهريّ في النّصّ مدى ما احتمل التّعليل لجأ إليه؛ لأنّ الأصل مطلق الإباحة.

الدّليل الثّالث: رواية نافع[1] (ت 117هـ) أنّ ابن عمر (ت 73هـ) سمع صوت زمارة، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطّريق وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي حتى قلت: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطّريق، وقال: رأيت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسمع صوت زمارة راعٍ فصنع مثل هذا[2].

(1) أبو عبد الله المدنيّ، مولى ابن عمر، ثقة ثبت فقيه، مشهور، توفي سنة 117هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص239.

(2) أخرجه أحمد من الطّريق وباللّفظ نفسه، 6/ 246؛ وأبو داود بلفظ قريب ومن الطّريق نفسه، 2/ 582؛ وابن حبان من الطّريق وباللّفظ نفسه، حديث رقم 693.

والحديث يدور بين الصّحّة كما عند ابن حيان (ت 354هـ) وابن الوزير[1] (ت 822هـ)، وحسن كما عند الألبانيّ (ت 1420هـ/ 1999م)، وضعيف كما عند أبي الفضل بن طاهر (ت 507هـ) لضعف سليمان بن موسى[2] (ت 119) راويْه عن نافع وتفرّده به، ولمّا نقل عن البخاريّ (ت 256هـ) أنه قال فيه: عنده مناكير، ومُنكر كما عند أبي داود[3] (ت 275هـ)[4].

وإذا سلّمنا بصحّة الرّواية نجدها مضطربة؛ لأنّه أسند الحادثة من حيث الشّبه إلى الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، ولم ينكر على الزّامر، وإنّما اكتفى بوضع إصبعيه في أذنيه، فهو لا يخرج عن دائرة الورع والتّحرّز، لا دائرة الحرمة والإلزام.

---

(1) الهادي بن إبراهيم بن عليّ المرتضى الحسنيّ، جمال الدّين، ابن الوزير، باحث، من علماء الزّيديّة باليمن، من كتبه: رياض الأبصار في ذكر الأئمّة الأقمار، والتّحفة الصّفيّة في شرح الأبيات الصّوفيّة، توفي سنة 822هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص58.

(2) سليمان بن موسى الأمويّ مولاهم، الدّمشقيّ، الأشدق، صدوق فقيه، في حديثه بعض لين، خلّط قبل موته، توفي سنة 119هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص393.

(3) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ السّجستانيّ، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه، من كتبه: السّنن، والمراسيل، والزّهد، توفي بالبصرة سنة 275هـ.
ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص122.

(4) للمزيد ينظر: البغداديّ: بلال فيصل البحر؛ **مقالة طرق حديث زمارة الرّاعي وعلّله**، منشور في موقع هيئة علماء المسلمين في العراق، تأريخ الزّيارة: الثّلاثاء 11 يونيو 2019م، السّاعة السّادسة صباحًا.

وحول هذا يقول بلال فيصل البحر البغداديّ (معاصر): «وقد قلب المجوّزون الدّليل، واحتجّوا بهذا الخبر للجواز، ووجه استدلالهم بأنّ سكوت النّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- عن البيان لابن عمر، وتركه يسمع مع احتياجه للبيان كحاجة الرّاعي إليه، واحتياج الأمّة للبيان الّذي ينقله ابن عمر من بعد، كلّ هذا دليل الإباحة وهي الأصل، ومجرّد التّرك النّبويّ للسّماع لا يُفيد التّحريم بل الكراهة حيث لم توجد مناسبة تقتضي السّماع، ولا ريب أنّه يسنّ الاقتداء به -عليه السّلام- كما صنع ابن عمر، لكن هذا لا يدلّ على التّحريم بمجرّده، والتّحقيق أنّ الحديث بتقدير ثبوته لا يدلّ على الجواز ولا على التّحريم، ولا يصحّ في النّظر التّعلّق به من الطّرفين، والحديث ليس من قضايا الأعيان كما زعم الإمام ابن عبد الهاديّ وغيره، بل هو من حكايات الأحوال الّتي إذا تطرّق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال فلا يتمّ بها الاستدلال كما قال الإمام الشّافعيّ- رضي الله عنه-، وحكاية الحال لا تعمّ مطلقًا، وبالتّالي لا يصحّ التّعلّق بالخبر للجواز المطلق، ولا تختصّ بالشّخص كقضايا الأعيان، وبالتّالي يخصّ الحديث بالرّاعي أو بابن عمر، لما سبق من الاحتمالات التي أوردها ابن عبد الهادي على الحديث، وإنّما الشّأن في حكايات الأحوال أنّها تختصّ بالنّوع والحال المُحتفي بالواقعة، أو الشّخص الّذي وقع له ذلك، فعمومها بدلَيّ نوعيّ من جنس عموم المطلق وهو عموم الصّلاحة، فلا تعمّ عمومًا شموليًّا، ولا تختصّ بالشّخص، فإذا علم هذا فإنّ غاية ما يفيده هذا الخبر هو جواز الاستماع الّذي لم يقصده المستمع، وأنّه لا إثم فيه لمن لم يتعمّده، ولا يكلّف من هذا حاله بسدّ أذنيه ونحو ذلك من

الإعراض عن الاستماع، بدليل أنّه لم يأمر ابن عمر بسدّ أذنيه؛ لأنّ فيه حرجًا وتكليف ما لا يطاق، فيعارض أصلاً من أصول الشّرع الكلّيّة، وهذا كلّه إذا كان جنس المسموع محرّمًا، فإن كان مباحًا فلا يرد هذا الكلام»[1].

الدّليل الرّابع: عن عبد الله بن عمرو بن العاص[2] (ت 63هـ) أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- «نهى عن الخمر، والميسر، والكوبة، والغبيراء، وكلّ مُسكر حرام»[3].

«وقد فسّر بعضهم الكوبة بالطّبل، وقيل النّرد، واختلف في الغبيراء، فقيل الطّنبور، وقيل العود، وقيل البربط، وقيل مزر يصنع من الذّرة أو من القمح»[4]، وفي رواية زيادة: «والمزر، والكوبة، والقنين»[5]، «والمزر بالكسر نبيذ الشّعير، والقنين قيل: لعبة للرّوم يقامرون بها، وقيل: الطّنبور بالحبشيّة»[6].

---

(1) البغداديّ: بلال فيصل البحر؛ **مقالة طرق حديث زمارة الرّاعي وعلّله**، منشور في موقع هيئة علماء المسلمين في العراق، مرجع سابق، تأريخ الزّيارة: الثّلاثاء 11 يونيو 2019م، السّاعة السّادسة صباحًا. (بتصرف بسي).

(2) عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو محمّد، وقيل أبو عبد الرّحمن، أحد السّابقين المكثرين من الصّحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، توفي سنة 63هـ.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص517.

(3) أخرجه أبو داود باللّفظ والطّريق نفسه، حديث رقم 3685؛ وأخرجه أيضًا من طريق ابن عباس بلفظ: إنّ الله حرّم بدل نهى، حديث رقم 3696؛ وابن حبان بلفظ قريب من طريق ابن عباس، حديث رقم 5365.

(4) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص471.

(5) أخرجه أحمد من طريق عبد الله بن عمر، 10/ 108.

(6) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص471.

والرّواية بمفردها ضعيفة، حُسّنت وصُحّحت بمجموع الطّرق والشّواهد، فرواية أبي داود (ت 275هـ) مثلاً فيها الوليد بن عبدة (103هـ)، «قال أبو حاتم الرّازيّ: هو مجهول، وقال أبو يونس في تاريخ المصريين: وليد بن عبدة مولى عمرو بن العاص روى عنه يزيد بن أبي حبيب والحديث معلول»[1].

ويرى محمّد رشيد رضا (ت 1935م) «أنّ الحديثَين ليسا في موضوع المعازف وآلات السّماع اتّفاقاً»[2]، أي لعلّ مراده أنّ ذكرها في كتب الأشربة، فحرّم ما يصاحب هذه المجالس من خمر ولهو، فهذا أقرب إلى العليّة، أو اللّهو المحرّم، ومع هذا هذه الرّواية وإن ورد فيها لفظة حرّم أو نهى فهي محكومة بروايات أصحّ تقدّم بيانها، ومحكومة بالمصاديق القرآنيّة، ولكون أسانيدها في الجملة لا تخلو من علّة كما أسلفْنا.

الدّليل الخامس: عن عمران بن حصين[3] (ت 52هـ) أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «في هذه الأمّة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من

(1) العظيم آبادي: محمّد شمس الدّين؛ عون المعبود شرح سنن أبي داود، إشراف: صدقي محمّد جميل العطار، د دار الفكر، لبنان/ بيروت، ط 1415هـ/ 1995م، نسخة الكترونيّة.

(2) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص471.

(3) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعيّ، أبو نجيد، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، مات سنة 52هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص750.

المسلمين: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت القيان والمعازف، وشُربت الخمور»[1].

والحديث بمفرده لا يصحّ، لذا جعله البعض حسنًا لغيره بمجموع شواهده، ويقول محمّد رشيد رضا (ت 1935م): «أقول -أي رشيد رضا- وقد أخرجه من طريق عبّاد بن يعقوب، وكان من غلاة الرّوافض[2]، ورؤوس البدع، إلا أنّه صادق الحديث، وقد روى له البخاريّ حديثًا واحداً مقرونًا بغيره، وقال ابن عدي: أنكروا عليه أحاديث، وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدّوس، وهو رافضيّ مثله، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، والنّسائيّ: ليس بثقة، وضعّفه الدّارقطنيّ»[3].

والرّواية مضطربة؛ لأنّ شرب الخمر والغناء والقيان لم يتوقّف منذ زمنه -عليه الصّلاة والسّلام-، لذا اضطرّوا إلى حمله على الاستحلال، كذلك هل المسخ والخسف والمسخ على الحقيقة أو المجاز، ثمّ إنّ شرب الخمور قد

(1) ذكره البخاريّ باللّفظ والطريق نفسه في العلل الكبير، حديث رقم: 325، وفيه: يروى هذا عن الأعمش من حديث عبد الرّحمن بن سابط عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- مرسلاً؛ ورواه التّرمذيّ باللّفظ والطّريق نفسه، حديث رقم 2212، وفيه: حديث غريب؛ والدّيلميّ في الفردوس باللّفظ والطّريق نفسه، حديث رقم 8725.

(2) الرّفض له معنيان: الاتجاه السّياسيّ أو المذهبيّ، وهذه مشكلة أهل الجرح والتّعديل؛ لأنّه صيغ بصبغة مذهبيّة، فيرفضون غيرهم تحت مسمّى أهل البدع ولو كانوا ثقات، وإمّا أن يكون بمعنى وضع الرّواية واختلاق أسانيدها، فهذا كثر عند عامّة الأخباريين من الطّائفتين، والله المستعان.

(3) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص471-472.

نزل النّصّ القطعيّ في تحريمه خلاف المعازف، ممّا يشمّ رائحة وضع الرّواية لاحقـًا لشيوع الغناء والمعازف والقيان في مجالس الشّرب واللّهو، واستخدامها بشكل سلبيّ.

الدّليل السّادس: عن أبي هريرة (ت 59هـ): قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: «إذا اتّخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنمـًا، والزّكاة مغرمـًا، وتعلّم لغير الدّين، وأطاع الرّجل امرأته، وعقّ أمّه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وسادَ القبيلة فاسقُهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرّجل مخافة شرّه، وظهرت القينات والمعازف، وشُربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحـًا حمراء، وزلزلة وخسفـًا ومسخـًا وقذفـًا، وآيات تتابع كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع»[1].

والرّواية ضعيفة عند الأغلب، «أخرجه التّرمذي واستغربه، وقال ابن القطان: رميح لا يعرف انتهى، وقال في التّقريب مجهول»[2]، «راويه عن أبي هريرة رميح الجذاميّ: قال في الميزان: لا يُعرف»[3].

(1) أخرجه التّرمذيّ باللّفظ والطّريق نفسه، حديث رقم 2211، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(2) ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **عارضة الأحوذيّ شرح صحيح التّرمذيّ**، مصدر سابق، (نسخة إلكترونيّة) من الحاشية على شرح حديث رقم 2211.

(3) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص472.بتصرف بسيط جدّاً.

والرّواية كسابقتها مضطربة، ويشمّ فيها رائحة الوضْع، وما ذكر فيها صفات تتكرّر في أيّ مجتمع وأمّة، قد تزداد بالنّسبة للأفراد، وبالنّسبة للمجموع تزيد وتنقص حسب الوعي الفرديّ والمجتمعيّ.

الدّليل السّابع: عن أبي أمامة (ت 81هـ) عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم- قال: «تبيت طائفة من أمّتي على أكل وشرب ولهو ولعب، ثمّ يصبحون قردة وخنازير، فيُبعث على أحياء من أحيائهم ريح، فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم، باستحلالهم الخمور، وضربهم بالدّفوف، واتّخاذهم القينات»[1].

قال شعيب الأرناؤوط (2016م) في تخريج مسند أحمد (ت 241هـ): «له ثلاثة أسانيد، الأول: ضعيف، والثّاني: مرسل، والثّالث: معضل»[2]، وكلّها طرق ضعيفة، وقال رشيد رضا (ت 1935م): «قال في المنتقى: وفي إسناده فرقة السّبخيّ، قال أحمد: ليس بقوي، وقال ابن معين: هو ثقة، وقال التّرمذيّ: تكلّم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه النّاس»[3].

والرّواية هذه كالرّوايتين السّابقتين في الاضطراب والتّعليل، إلا أنّها أشارت إلى الاستحلال بدل الإطلاق.

(1) أخرجه أحمد من الطّريق واللّفظ نفسه، حديث رقم 22231.

2 الشّيبانيّ: أحمد بن حنبل؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م. (نسخة إلكترونيّة) والنّصّ من موقع الدّرر السّنيّة في نفس الحديث رقم 22231.

(3) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص472.

الدّليل الثّامن: رواية أنس بن مالك[1] (ت 93هـ): «من قعد إلى قينة يستمع منها؛ صُبّ في أذنيه الآنك الحارّ يوم القيامة»[2].

قال ابن رجب (ت 795هـ): «أبو نعيم الحلبيّ اسمه عبيد بن هشام، قلتُ: قد وثّقه أبو داود، وقال: إنّه تغيّر بآخره، وقد أنكر عليه أحاديث تفرّد بها، منها هذا الحديث، وفي النّهي عن بيع المغنّيات أحاديث تفرّد بها آخر عن عليّ وعائشة –رضي الله عنهما– وغيرهما، وفي أسانيدها مقال»[3].

والرّواية ظاهرة الضّعف بل الوضع، فالنّتيجة الشّديدة من صبّ الآنك الحارّ لمن استمع مغنّية غير متوازنة مع قضيّة فرعيّة كهذه.

الدّليل التّاسع: وردت روايات متقاربة بأسانيد ضعيفة، أشهرها رواية أبي أمامة (ت 81هـ) عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– «إنّ الله بعثني رحمة وهدى للعالمين، وأمَرني أن أمحق المزامير والكنارات»[4] أي البرابط والمعازف والأوثان الّتي كانت تعبد في الجاهليّة، قال شعيب الأرناؤوط (2016م):

---

(1) أنس بن مالك بن النّضر الأنصاريّ الخزرجيّ، خادم الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– عشر سنين، صحابيّ مشهور، توفي سنة 93هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج: 1، ص: 111.

(2) أخرجه الدّارقطنيّ من اللّفظ والطّريق نفسه، 7/ 77.

(3) ابن رجب: عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب؛ **نزهة الأسماع في مسألة السّماع**، تحقيق: وليد عبد الرّحمن الفريان، ط دار طيبة، المملكة العربيّة السّعوديّة، الرّياض، الطّبعة الأولى، 1407هـ/ 1986م، ص448.

(4) رواه أحمد من طريق أبي إمامة الباهليّ، حديث رقم 22218.

«إسناده ضعيف جدّاً»[1]، وقال رشيد رضا (ت 1935م): «رواه أحمد عن عبيد الله بن زخر عن عليّ بن يزيد عن القاسم بن عبد الرّحمن، قال البخاريّ: عبيد الله بن زخر ثقة، وعليّ بن يزيد ضعيف، وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زخر: إنّه صاحب كلّ معضلة، وقال يحيى بن معين: إنّه ضعيف، وقال مرّة: ليس بشيء، وقال ابن المدينيّ: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي موضوعات عن الإثبات، وإذا روى عن عليّ بن يزيد أتى بالطّامات»[2].

الدّليل العاشر: أثر ابن مسعود (ت 32هـ): «الغناء يُنبت النّفاق في القلب»[3]، رُوي مرفوعاً وموقوفاً، وجاء مرفوعاً عند زيد بن عليّ (ت 122هـ) بسنده إلى عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ) إلى رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بلفظ: «إياكم والغناء فإنّه يُنبت النّفاق في القلب كما يُنبت الماء الشّجر»[4].

والرّواية مرفوعة أو موقوفة عند الأكثر سندها ضعيف، والأغلب على تضعيفها، حتى قال الغزاليّ (ت 505هـ): «رفْعه لا يصحّ»[5]، «وفي إسناده شيخ

(1) الشّيبانيّ: أحمد بن حنبل؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مصدر سابق.[نسخة إلكترونيّة] والنّص من موقع الدّرر السّنيّة في نفس الحديث رقم 22218.

(2) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، ص 472 – 473.

(3) أخرجه أبو داود، حديث رقم 4927.

(4) المؤيديّ: مجد الدّين بن محمّد؛ **البلاغ النّاهي عن الغناء وآلات المناهي**، مصدر سابق، ص23.

(5) رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، مصدر سابق، ج2، 473.

لم يسمّ، وفي بعض طرقه: ليث بن أبي سليم، وهو متّفق على ضعفه كما قال النّوويّ»[1].

والرّواية في معناها ارتباك، فالغناء وسيلة حسب ما يُستخدم فيه، فقد يقوّي مشاعر الإيمان والقرب من الله، وقد يؤدّي إلى الشّهوات، والأول يقود إلى التّقوى، والثّاني إلى النّفاق، فإن صحّ الأثر فالمراد ما يؤدّي إلى الثّاني لا الأول، والله أعلم.

الخلاصة:

من خلال المقارنة بين أدلّة الفريقين نجد أنّ أدلّة المُجيزين في الجملة أقوى سنداً، وأقرب إلى روح الشّريعة، وأبعد عن التّكلّف في الصّناعة الحديثيّة، واستخدام العبارات التّهويليّة كاللّعن في قضايا فرعيّة، وارتبطت بجانب عمليّ في المدينة المنوّرة، لهذا نرى أَولى بالانطلاق منها لتفكيك روايات النّهي، فإنْ صحّ بعضها لا يخرج عن العليّة المصاحبة للسّلوك السّيّء لا لِذَات الغناء والمعازف، فيبقى على أصله في الحليّة والإباحة.

ثالثاً: المجوّزون من الصّحابة

لعلّ السّائل يسأل لماذا التّركيز على المجوّزين، ومن الصّحابة، مع وجود الرّأي المانع بكثرة -على الأشهر-، والجواب: التّركيز على المجوّزين لسببين: الأول لأنّ الرّأي بالحرمة أكثر صوتاً وتكراراً ممّا غلب على غيره، والثّاني وجود رأي آخر من الصّحابة يُبطل استدلال الإجماع، على الأقلّ

(1) المصدر نفسه، ج2، ص473.

إجماع الصّحابة وهو جانب قويّ في الإجماع لقربهم من عصر الرّسالة، وما لإجماعهم من تأثير في صحّة الرّواية.

أمّا من بعدهم فيشير محمّد أبو زهرة[1] (ت 1974م) لمّا دخل الغناء الفارسيّ بالألحان صاروا فريقَين: فريقٌ يميل إلى الاستماع، ولا يجد فيه ما يمسّ الدّين كالحسن البصريّ (ت 110هـ)، وفريقٌ لا يميل إليه، ويجده مُنافيًا للزّهادة والورع كالشّعبيّ[2] (103هـ)[3].

ومن هؤلاء الصّحابة:

أولاً: عمر بن الخطاب (ت 23)، حيث ذكر ابن عبد ربّه (ت 327هـ) في العقد الفريد من طريق عبد الله بن عمر (ت 73هـ) عن أبيه (ت 23هـ) قال: مرّ بنا عمر بن الخطّاب وأنا وعاصم بن عمر (ت 70هـ) نغنّي غناء النّصب[4]، فقال: أعيدا عليّ، فأعدْنا عليه، فقال: أنتما كحماريّ العباديّ، وقيل: أيّ حمارك شرّ؟ قال هذا ثمّ هذا[5]، وفي هذا أيضًا رواية حمزة بن عَبْد اللهِ بن عمر

(1) محمّد مصطفى أبو زهرة، من كبار فقهاء مصر المعاصرين في الشّريعة والقانون، من أهمّ كتبه: الجريمة في الفقه الإسلاميّ، ومحاضرات في النّصرانيّة، توفي سنة 1974م.

(2) عامر بن شراحيل الشّعبيّ، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، توفي سنة: 103هـ. ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص461.

(3) الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، مصدر سابق، ص6.

(4) غناء عند العرب أرقّ من الحداء.
ينظر: آبادي: فيروز؛ **القاموس المحيط**، مصدر سابق، ص177.

(5) ابن عبد ربه: شهاب الدّين أحمد بن محمّد؛ **العقد الفريد**، مصدر سابق، ج1، ص8.

(ت؟) قال: كنتُ أحسّ من نفسي بحسن صوت، وكان صوت سالم بن عَبْد اللهِ كرغاء البعير فقلت له: أنا أحسن منك صوتاً، فَقَالَ لنا عَبْد اللهِ بن عمر: خذا حتى أسمع؛ فغنّينا غناء الرّكبان، فقلتُ لأبي: أيّنا أحسن صوتاً؟ فَقَالَ: أنتما كحماريّ العباديّ[1].

والرّواية سندها ضعيف؛ لأنّ فيها أسامة بن زيد بن أسلم العدويّ، قال صالح بن أحمد بن حنبل[2] (ت 265هـ) عن أبيه (ت 241هـ): «منكر الحديث»، وقال النّسائيّ[3] (ت 303هـ): «ليس بالقويّ»، وقال ابن حبان (ت 354هـ): «كان واهياً يهيم في الأخبار، فيرفع الموقوف، ويصل المقطوع»[4].

(1) ابن القيسرانيّ: شرف الدّين أبو عبد الله محمد بن نصر؛ **كتاب السّماع**، القول في الغناء على الإطلاق، حديث رقم 13. (نسخة الكترونيّة).

(2) ابن الإمام أحمد بن حنبل الشّيبانيّ البغداديّ، أبو الفضل، قاض بأصبهان، وتوفي فيها سنة 265هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج3، ص188.

(3) أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ، النّسائيّ، من حفاظ الحديث، من كتبه: السّنن الكبرى في الحديث، والمجتبى وهو السّنن الصّغرى، وخصائص عليّ، توفي سنة 303هـ.

ينظر: النّسائيّ: أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب؛ **المجتبى من السّنن المشهورة بسنن النّسائيّ**، إعداد فريق بيت الأفكار الدّوليّة، ط بيت الأفكار الدّوليّة، الأردن، عُمان، ص12 – 16. (من ترجمة المؤلّف أول الكتاب).

(4) للمزيد ينظر: العسقلانيّ: ابن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص133 – 144؛ الذّهبيّ: أبو عبد الله شمس الدّين؛ **سير أعلام النّبلاء**، مصدر سابق، ج6، ص343.

ثـمّ الرّوايـة لا تشـير إلـى وجـود آلـة مصـاحبة للغنـاء، وفي الجملـة كمـا عنـد الجمهـور لـيس هـذا محـلّ الخـلاف، وإنّمـا محلّـه الغنـاء المصـاحب للآلـة، ويخرج من منع على الإطلاق، وهو قول ضعيف جدّاً لا يكاد يُذكر.

وفي روايـة أخـرى عـن عمـر أنّـه قـال للنّابغـة الجعـديّ[1] (ت تقريبـا 78هـ): اسمعني بعض ما عفا الله عنه من هناتك، وفي روايـة: غنائك، فأَسْـمعَه كلّـه لـه، قال: وإنّك لقائلها، قال: نعم، قال: لطالما غنّيت بهـا خلـف جمـال الخطـاب[2]، والرّواية خارجة عن محلّ بحثنا لأنّها أقرب إلى الحداء، أو رواية الشّعر بترتيـل وتلحين، وليس هذا محلّ الخلاف في الجملة.

وفي رواية ثالثة من طريق عبد الله بن عمر (73هـ) أنّـه قـال: يـا أبـا خالـد؛ إنّـي أرى أمير المؤمنين يَلزمك لزومـًا لا يَلزمه أحداً مـن أصـحابك، لا يخـرج سـفراً إلا وأنـت معـه، فـأخبرني عنـه، قـال: لـم يكـن أَولـى القـوم بالظّـل، وكـان يرحّـل رواحلنا، ويرحّل رَحْله، ولقد فرغنا ذات ليلة وهو يرحّل ويرتجز:

لا يأخذ اللّيل عليـك بـالهمّ ... والبسـنَّ لـه القمـيص واعـتمّ

وكـن شـريك نـافع وأسـلم ... واخـدِمِ الأقـوام حتـى تُخـدم[3]

وهذه الرّواية كسابقتها.

---

(1) عبد الله بن قيس بن عديّ بن الجعديّ، صحابيّ شاعر.

ينظر: ابن حجر العسقلانيّ: أحمد بن عليّ؛ **الإصابة في معرفة الصّحابة**، ج4، ص183.

(2) ابن عبد ربه: شـهاب الـدّين أحمـد بـن محمّـد؛ **العقـد الفريـد**، مصـدر سـابق، ج6، ص25 – 26.

(3) الذّهبيّ: أبو عبد الله شمس الدّين؛ **سير أعلام النّبلاء**، مصدر سابق، ج4، ص99.

ثانيـاً: عثمـان بـن عفـان (ت 35هـ)، ذكـر لـه الزّبيـديّ (ت 1205هـ) عـن الماورديّ (ت 450هـ) وغيره أنّ له جاريتين تغنّيان له، فإذا كان وقت السّحر قال لهما: أمسِكا، فإنّ هذا وقت الاستغفار[1].

وكلّ ما تتضمّنه الرّواية أنّه يسمع الغناء، وآل في الغناء إلى الاستغراق، ولكنّه يحتمل الغناء بدون آلة، وهذا ليس محلّ الخلاف في الجملة، والدّليل إذا تطرّق إليه الاحتمال؛ سقط به الاستدلال، كما إنّ الغناء من الجواريّ جائز اتّفاقاً.

ثالثاً: عبد الرّحمن بن عوف[2] (ت 31)، ذكر له الزّبيديّ (ت 1205هـ) في إتحاف السّادة[3]، والشّوكانيّ (ت 1255هـ) في نيل الأوطار[4]، والشّريف الحسنيّ (ت 1341هـ) في الغناء في الإسلام[5]، ومن ذلك قول الشّوكانيّ: «وأمّا مجرّد الغناء بغير آلة فقد قال الأذقويّ في الإمتاع: إنّ الغزاليّ في بعض تآليفه الفقهيّة نقل الاتّفاق على حلّه، ونقل ابن طاهر إجماع الصّحابة والتّابعين

(1) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص567.

(2) عبد الرّحمن بن عوف القرشيّ الزّهريّ، يكنّى أبا محمّد، اسمه في الجاهليّة عبد عمرو، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، وأسلَم قبل أن يدخل الرّسول دار الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، توفي عام 31هـ، وقيل 32هـ. ينظر: ابن عبد البرّ: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مصدر سابق، ج2، ص844 – 850.

(3) الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص566.

(4) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص115.

(5) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مرجع سابق، ص39.

عليه... وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصّحابة والتّابعين، فمن الصّحابة عمر بن الخطاب... وعبد الرّحمن بن عوف، كما رواه ابن أبي شيبة»[1].

وهذا القول في الغناء بغير آلة، وليس محلّ حديثنا.

رابعًا: عبد الله بن جعفر[2](ت 80هـ)، ذكر ابن عبد البر[3] (ت 463هـ) في الاستيعاب أنّ عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأسًا[4]، وذكر مثله الشّوكانيّ (ت 1255هـ)، وزاد: ويصوغ الألحان لجواريه، ويسمعها منهنّ على أوتاره، وكان هذا في زمن عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ)[5]، وبمثل هذا قال الزّبيديّ (ت 1205هـ) في إتحاف السّادة[6]، وقال الحسنيّ (ت 1341هـ): «عبد الله بن جعفر سماع الغناء عنه مشهور مستفيض، نقله عنه كلّ من أمعن في

(1) الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، ج8، ص115.

(2) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشميّ، أحد الأجواد، وُلد بالحبشة، وله صحبة، توفي سنة 80هـ.

ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، ج1، ص483.

(3) يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ، القرطبيّ المالكيّ، من كبار حفّاظ الحديث، ومؤرّخ، وأديب، من كتبه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والعقل والعقلاء، توفي سنة 463هـ.

ينظر: الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، مصدر سابق، ج8، ص240.

(4) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مصدر سابق، ج3، ص881.

(5) الشّوكانيّ: محمد بن علي بن محمد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، 8، ص100.

(6) الزّبيديّ: محمد بن محمد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، مصدر سابق، ج7، ص566.

المسألة من الفقهاء، والحفّاظ، وأهل التّأريخ الأثبات»[1]، وذكر ابن عبد ربّه (ت 327هـ) روايات مفادها أنّ عبد الله بن جعفر كان يسمع الغناء من جواريه، مع وجود آلة من الآلات كالعود مثلاً، وكان بحضرة أصحاب النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، منها أنّه غنّى بحضرة عبد الله بن عمر (ت 73هـ)، ومنها ما كان بحضرة معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ)[2]، وذكر الشّوكانيّ نقلاً عن الماورديّ (ت 450هـ) أنّ عمرو بن العاص[3] (ت 43هـ) سمع العود مع عبد الله بن جعفر[4]، وصحّح ابن حزم (ت 456هـ) ما جاء في سماع عبد الله بن جعفر مع ذكره للخلاف هل كان بمصاحبة دف أو عود[5].

واعترض أنّ عبد الله بن جعفر ليس ممّن يعارض به أركان الأمّة كابن مسعود (ت 32هـ)، وابن عباس (ت 68هـ)، وجابر[6] (ت 74هـ)، وابن عمر

(1) الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، مرجع سابق، ص42.

(2) ابن عبد ربه: شهاب الدّين أحمد بن محمّد؛ **العقد الفريد**، مصدر سابق، ج6، ص12.

(3) عمرو بن العاص بن وائل السّهميّ، الصّحابيّ المشهور، أسلم عام الحديبيّة، ووُلّي إمْرة مصر مرتين، وهو الّذي فتحها ومات فيها عام 43هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص738.

(4) الشّوكانيّ: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، مصدر سابق، 8، ص101.

(5) ابن حزم: عليّ بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى**، مصدر سابق، ج9، ص63.

(6) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريّ، صحابيّ ابن صحابيّ، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة سنة 74هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج1، ص153.

(ت 73هـ)، ومن احتجّ بفعل عبد الله بن جعفر فليحتجّ بقتال معاوية مع عليّ، مع اضطراب الرّواية هل كنّ الجواريّ يغنّين بصحبة العود أو الدّف.

وعموماً كلّا الفريقين لا حجّة لهم؛ لأنّ الدّين أتمّه الله بإكمال كتابه، وفعل الصّحابة ليس دليلاً حتى يكون حجّة، ويبقى في دائرة الاجتهاد البشريّ صحّ أم لم يصحّ، مع وجود روايات أخرى أيضاً كروايات عبد الله بن الزّبير (ت 73هـ)، والمغيرة بن شعبة[1] (ت 50هـ)، تركتها تجنّباً للإطالة، ولأنّها تسلك نفس المسلك.

رابعاً: الإجماع

لست هنا بصدد الحديث عن الإجماع وحجيّته، ولكن للإجابة عن إشكالية وجود إجماع في حرمة الغناء والمعازف أمْ لا، على الأقلّ الغناء الّذي يصاحبه آلة من الآلات، وهذا يُرتِّب علينا تعريف الإجماع وبيان شرطه بشكل عام، فالإجماع «في عرْف الأصوليّين والفقهاء وعامّة المسلمين عبارة عن اتّفاق علماء الأمّة على حكم في عصر، وقيل: اتّفاق أمّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- على أمر، وزاد بعضهم: ولم يسبقه خلاف مستمر»[2]، ومن شروطه أن

(1) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتب الثّقفيّ، صحابيّ مشهور، أسلم قبل الحديبيّة، ووُلّي إمْرة البصرة، توفي سنة 50هـ.
ينظر: العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، مصدر سابق، ج2، ص206.

(2) السّالميّ: نور الدّين عبد الله بن حميد؛ **طلعة الشّمس شرح شمس الأصول**، تحقيق: عمر حسن القيّام، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، سلطنة عُمان، ولاية بدية، الطّبعة الأولى 2008م، ج2، ص105.

يكون للمُجمِعين مستند يستندون إليه من كتاب أو اجتهاد، سواء كان ذلك المستند قطعيّاً أم ظنّيّاً[1]، وأن لا يكون هناك نصّ من كتاب أو سنّة أو إجماع يخالف ما أجمعوا عليه[2].

أقرّ الأغلب ممّن يرى الحرمة -خصوصاً مع حضور الآلات- الإجماع إلا ما خصّص كالدّف في العرس للنّساء، وفي المقابل كما رأينا في مبحث الرّؤى محاولة البعض نقْض هذا الإجماع كما فعل الشّوكانيّ (ت 1250هـ) في كتاب السّماع.

وبما أنّ الإجماع ينبني على دليل سابق من كتاب أو سنّة أو اجتهاد، رأينا أنّه لا يوجد دليل قرآني ظاهر في قضيّة الغناء بالكلّيّة، وإنّما تُرك الأمر للفهم البشريّ، وأمّا السّنّة والرّوايات فمتناقضة ما بين إقرار الجواز، وروايات المنع، ولكون التّناقض ممتنعاً لا بدّ أن يكون أحدهما صحيحاً والآخر باطلاً، فإذا أمكن الجمْع في التّرجيح فيها كان بها، وإلا لزم سقوط أحدهما لرفع التّناقض، وإلا كانت الأدلّة مضطربة ومتناقضة، فهناك مَن جَعَل أدلّة الجواز حاكمة لأنّها تتوافق مع أصل الإباحة، وهناك من أبْطلَها بأدلّة الحرمة، أو جمَع بينهما إذ خصّص الجواز لبعض ما يماثله كعرس، ونحن إذا تأمّلنا الأدلّة كما رأينا سلفاً نجد أدلّة الجواز أقرب إلى روح الشّريعة، وأبعد عن التّكلّف في الصّناعة، ولأنّها الأصل من الجواز، دلّ هذا على أنّ الإجماع أيضاً لم ينْبنِ على دليل صريح من السّنّة، فإذا بطُل مستند الكتاب والسّنّة بقي مستند الاجتهاد، ونحن

(1) المصدر نفسه، ج2، ص134.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص136.

نجد الخلاف ظاهراً من عهد الصّحابة وتابعيهم إلى يومنا هذا، فهذا دليل على عدم وجود إجماع في المسألة، وبقاء هذه القضيّة في دائرة الرّأي الواسع الذّي لا يترتّب عليه تفسيق، فضلاً أن يترتّب عليه تكفير، فمن أراد أن يتورّع فلنفسه، ومن انفتح سماعاً ومهنة فالأمر واسع له.

خامساً: سدّ الذّرائع

اختُلف اختلافاً كبيراً في قضيّة سدّ الذّرائع وتحديد مفهومه وشرائطه ما بين معمّم ومخصّص، ومتوسّع ومضيّق، فمن أشهر تعاريفه: التّوسّل بما هو مصلحة إلى مفسدة[1]، أو المسألة الّتي ظاهرها الإباحة ويتوصّل بها إلى ممنوع[2].

فتوسّع بعضهم في تطبيق هذه القاعدة على المعازف والغناء، باعتباره وسيلة إلى محرّم كشرب الخمر، أو الزّنا، أو إضاعة واجب، أو تلف مال، ونحوه، والسّبب في هذا إمّا ظاهر بعض الرّوايات كما أسلفنا، أو أنّ استخدامها سايرَ هذه السّوءات كما رأينا سابقاً أيضاً في الجانب التّأريخيّ.

وسدّ الذّرائع ليس دليلاً إطلاقيّاً بقدر ما يكون قرينة ظرفيّة تدبيريّة، وفي الوقت نفسه ليس دليلاً وحجّة مطلقة بقدر ما يسايرها الجوانب التّكليفيّة والوضعيّة، وعليه تحويل الظّرفيّ النّسبيّ إلى مطلق يؤثّر في أصل الإباحة وما

(1) العزّي: عبد الله بن حمود؛ **الذّرائع مظهر من مظاهر فقه التّوقع**، منشور ضمن بحوث ندوة تطور العلوم الفقهيّة في عُمان: الفقه الإسلاميّ والمستقبل، الأصول المقاصديّة وفقه التّوقع، تحرير: سليمان بن إبراهيم بابزيز، ط 1431هـ/ 2010م، ص297.

2 المرجع نفسه، ص297.

خلقه الله للعباد ليتمتّعوا به، ونحو هذا يقول محمّد باقر الصّدر[1] (ت 1980م): «وحينما يتحوّل النّسبيّ إلى مطلق، إلى إله من هذا القبيل؛ يصبح سبباً في تطويق حركة الإنسان، وتجميد قدراته على التّطور والإبداع، وإقعاد الإنسان عن ممارسة دوره الطّبيعيّ المفتوح في المسيرة»[2].

ونحن إذ نعذر بعض المتقدّمين لسوء استخدام هذا الجمال الفنيّ بقدر ما نتقد تأصيلهم المتشدّد وتعميمه كأنّه من قطعيّات الشّريعة، فضلاً عن صناعة نصوص روائيّة تدعمه من قِبل بعض الوعّاظ، وبقدر ما نحترم هذا الرّأي وإن رأيناه متشدّداً نلومه في الوقت المعاصر ونحن نرى أنّ الغطاء انكشف اليوم، فلم تعد سهرات الأمس المغلقة في قصور الخلفاء على الجواريّ والخمرة هي السّائدة، حيث أصبحت الموسيقى والغناء لها سبلها في التّعليم والعلاج والاستراحات والتّلفزة والأغاني العسكريّة والوطنيّة والاجتماعيّة والتّربويّة، والسّماع الدّينيّ والعرفانيّ، وغيره كثير، فلا معنى للتّضييق والتّشديد تحت قاعدة سدّ الذّرائع!!!

(1) محمّد باقر الصّدر مرجعية وفيلسوف عراقي شيعيّ كبير، له العديد من الكتب أشهرها فلسفتنا، واقتصادنا، وأصول الفقه، توفي سنة 1980م.

(2) الصّدر: محمّد باقر؛ **نظرة عامّة في العبادات**، ط دار التّعارف للمطبوعات، لبنان/ بيروت، الطّبعة الرّابعة، 1405هـ/ 1985م، ص23.

خلاصة مبحث الأدلّة

بعد هذا التّطواف في مباحث الأدلّة نجد أنّه لا يوجد دليل صريح لمنع الغناء والمعازف أو تحريمه، وإلا لذَكَرَه الله في كتابه صريحًا، وما جاء من نهْي لا يخرج عن دائرة العليّة السّلبيّة، فإن ارتفعت عاد إلى أصل الإباحة؛ لأنّه من الجمال الذّي بثّه الله تعالى في مخلوقاته، وما حاكاه الإنسان في صنع آلات وأشعار تُناغم هذا الجمال، حتى تحوّل إلى صنعة وعلم يُدرَّس ويُتقَن، وهذا لا يعني أنّه ليس للبشر حقّ التّقنين بما يحفظ المقاصد الخمس أو السّتّ الّتي تدور حولها مقاصد التّشريع والتّقنين، والله أعلم وأحكم.

تطبيقات حول الغناء والمعازف

- **المرأة والغناء**

المرأة كائن بشريّ، وهي سيّان الرّجل في التّشريع، فلا يخصّص أحدهما عن الآخر إلا بمخصّص واضح بما يوافق فِطرتَهما، وإلا الأصل عموم الإباحة والتّشريع.

وإذا جئنا إلى موضوع الغناء والمعازف سنجد فريقًا كبيراً من الفقهاء يمنع المرأة من الغناء، وبعضهم يخصّص الزّوجة لزوجها فقط، وبعضهم يتوسّع قليلاً حيث يُجيز المرأة لمثيلاتها، وفي حالات معيّنة كالعرس، وبآلة مُباحة وهي الدّفّ، وأن يكون المغْنى سليمًا، لا فاحشًا ولا فاجراً، وبعضهم بالَغ وأدخل الشّاب الأمرَدْ في جنس المرأة من المنع، وبطبيعة الحال تمّ مناقشة ما يتعلّق بعموم الغناء والآلة، والّذي يهمّنا هنا قضية غناء المرأة على الإطلاق.

ويستند هؤلاء إلى أربعة أدلّة رئيسة: الأول قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[1]، والأصل عموم الخطاب في الآية -أي ليس خاصّـًا بنساء النّبيّ عليه السّلام-، والثّاني: أنّ صوت المرأة عورة، ويُثير الغرائز، والثّالث: الأمر بسدّ الذّريعة، والرّابع: لم يعهد هذا في العهد الأول ولا السّلف الصّالح.

وأمّا الآية إذا سلّمْنا بعموم الخطاب فيها فمفهومها منع التّكسّر والخضوع في الكلام، ولا علاقة للغناء بالتّكسّر والخضوع؛ لأنّ الآية لا تخرج عن

(1) الأحزاب (32).

السّلوكيات المجلسيّة واللّقائيّة الّتي يصاحبها أحيانـاً ليونة، فإذا ارتفع ذلك ارتفع الأمر، فكيف والرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته سمعوه من الجواريّ، فإذا صاحَبَ الغناء خضوع وتكسّر شمله الحكم، وإذا كان غناء متّزناً شمله الجواز من رجُل أو امرأة.

أمّا كون صوت المرأة عورة فهذا يُخالف النّقل والعقل، والتّصديق التّشريعيّ والعمليّ، أمّا النّقل فقد أورد القرآن المرأة كشريك مُشارك بقوّة في القصص القرآنيّة، خلطة وحديثاً، كما في مريم (ع) مع قَومها، وبلقيس مع قومها ومع سليمان (ع)، وهذه المرأة حاضرة في حياة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ومن بعده إلى يومنا هذا، وعليه كان هذا لأنّه عقلاً لا يمكن نزْعه من التّكوين البشّريّ، فلَازمه التّصديقان التّشريعيّ والعمليّ، «فالمرأة والرّجل كلاهما كائن اجتماعيّ، ليس بمقدوره أن ينعزل عن الآخر مهما كانت الظّروف، وأنّ المطلوب هو تنظيم هذه الإفرازات والمنبّهات الجنسيّة، حتى ولو كان في أعماق كلّ منهما شعور جنسيّ حيال الآخر، إذ لا يعني ذلك أنّ حركة الجنس الدّاخلية الّتي لم تظهر بعد ممّا يجب إلغاؤها»[1].

وأمّا سدّ الذّرائع فسبق الحديث عنه وظرفيّته وعدم إطلاقه فليرجع إليه، وأمّا نظريّة السّلف الصّالح فلا حجّة فيها؛ لأنّه ليس دليلاً على الصّحيح، فهي تجربة بشريّة خاضعة للظّروف المجتمعيّة، وكيف وقد وجد الرّأي الآخر أيضاً ومن الجواريّ منذ فترة مبكرة جدّاً.

وعموماً نخلص أنّ المرأة والرّجل سيّان في الجواز، كأن تسمع المرأة من الرّجل والرّجل من المرأة، شريطة مراعاة الأدبيات الأخلاقيّة والعرفيّة، وأن لا

(1) النّابلسيّ: عباس؛ **الموسيقى والغناء**، مرجع سابق، ص114.

يكون المغنى داعيـًا إلى محرّمات قطعيّة، وما عداه يشمله عموم الإباحة، وما يجده البعض كأفراد من ميولات داخليّة جنسيّة، فهي إفرازات فرديّة لا تعطي حُكمـًا جمعيّـًا يؤثّر في أصل الإباحة المطلقة.

- **الأطفال والغناء**

الطّفل يعشق الصّوت الجميل، ورأينا في المبحث التّأريخيّ أنّ المرأة منذ القِدم ترقّص طفلها وتغنّي له لينام، واليوم توجد دمى تحوي أصواتـًا وأغانيَ موسيقيّة، بل وأصبحت الموسيقى مادّة تعليميّة للطّلاب منذ فترة مبكرة، تغذّي فيهم الحسّ الرّوحيّ والوجدانيّ، ولها حضور في الألعاب والأفلام التّعليميّة، ولا أحد يقول في هذا مَفسدة، أو دعوة إلى حرام، فبقي أصل الإباحة والجواز، إذ لا تَعارض فيها والمصالح التّكوينيّة للإنسان، بل تُساهم في تهذيبها ورقيّها.

- **السّماع العرفانيّ والدّفّ**

وأمّا السّماع العرفانيّ فقديم المنشأ، يصاحبه عادة دفّ، وبعضهم يستخدم الطّبل أو الشّبابة أو المزمار، والأغلب الدّفّ، وبما أنّ الدّف مشترك في الجمهور في جوازه إلا أنّ العديد كما أسلفْنا خصّه بالنّساء، وفي هذا يقول عبد الله الهرريّ (ت 2008م): «وأمّا من قال: جوازه خاصّ بالنّساء فقوله مردود؛ لأنّ إباحته عامّة للرّجال والنّساء، والتّخصيص بالنّساء لا يشهد له العرف ولا الشّرع؛ لأنّ أهل اليمن مشهور عندهم أنّ الرّجال يضربون به، وكذلك أهل برّ الشّام الصّوفيّة، وأهل الذّكر دأبهم.. وأمّا ضرب الرّجال فالأصل اشتراك الذّكور والإناث في الأحكام، إلا ما ورد فيه الشّرع بالفرق، ولم يرِد هنا في ذلك شيء، وليس ذلك ممّا يختصّ بالنّساء حتى يقال إنّه يحرّم على الرّجال التّشبه

بهنّ، فبقي على العموم»[1]، ويدخل في هذا باقي الآلات، وما يحدث عندنا في الخليج مثلاً الفنون الشّعبيّة باستخدام الطّبل عادة فيشمله الجواز.

- **الغناء والرّقص**

الرّقص قضيّة عرفيّة بحتة، وليست قضيّة شرعيّة، فقد يستهجن مجتمع رقصة ما ويمارس هو ما يستهجنه الآخر، كرقصات الفنون الشّعبيّة عندنا مثلاً، والرّقص عند بعض الأمم جزء من حياتهم كبعض الأفارقة، أو من شعائر طقوسهم الدّينيّة كالهندوس، أو من ذكرهم لله كبعض المتصوّفة، وأصبح عند العديد مادّة تعليميّة.

وعلى العموم يبقى الرّقص في دائرته العرفيّة، محكوم بأدبيات المجتمع ونظرته، فما تستهجنه اليوم قد تراه عاديّاً بل وتمارسه أنت في المستقبل!!

- **الغناء والصّفير والتّصفيق**

تحدّثنا في مبحث الأدلّة بإسهاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]، من أراد المزيد فليرجع إليه، وبيّنّا خصوصيّة الآية بالطّواف أو الصّلاة عند البيت، ويبقى الجواز على عموم، كالرّاعي الّذي يصفر لغَنمه، أو المشجّع الذّي يصفّق لفريقه المنتصر، ولا مانع منذ ذلك في أصل الإباحة.

(1) الهرريّ: عبد الله؛ **صريح البيان في الرّد على من خالف القرآن**، ط دار المشاريع، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1418هـ/ 1997م، ص263 – 264.
(2) الأنفال (35).

- **الموسيقى والعلاج**

الموسيقى تدخل في الاستخدام البشريّ، فإذا استخدمت استخداماً سيئاً كالموسيقى الصّاخبة لا شكّ سوف تضرّ الإنسان في سمعه مثلاً، وهكذا الموسيقى الاسترخائيّة أو العلاجيّة فهي مفيدة للإنسان، بما تعطيه من طاقات إيجابيّة، تخلّصه من بعض السّموم، وتركنه إلى الهدوء والرّاحة، فلا مانع منها عقلاً ولا شرعاً.

- **القرآن والتّغنّي به**

شنّ محمّد أبو زهرة (ت 1974م) هجوماً على الّذين يتغنّون بالقرآن لكونه مخالفاً لنهج الصّحابة، وهم الّذين تلقّوه من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، ولأنّه مُخالف لوصف القرآن في كتابه الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[1]، وهذا لا يتّفق مع قراءة هؤلاء المُصاحبة للضّجّات المتوالية، وردّ الرّوايات الّتي يظهر منها جواز التّغنّي كرواية: «زيّنوا أصواتكم بالقرآن»[2]، لمخالفتها المتواتر عمّا جاء به النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-[3].

وكلام أبي زهرة فيه مبالغة كبيرة، فلا تَعارض بين الآية والرّواية، مع الاستفادة من المقامات الموسيقيّة، ولكنّ المشكلة في التكلّف الّذي يخرج عن غاية القرآن الكريم، والّذي ينطلق من قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ

(1) مريم (58).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه.

(3) أبو زهرة: محمّد؛ **المعجزة الكبرى في القرآن**، ط دار الفكر العربيّ، ص592.

تَرْتِيلًا﴾[1]، وقول الرّسول الأكرم لأبي موسى الأشعريّ (ت 44هـ): «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[2]، فلا إشكاليّة في تحسين الصّوت والاستفادة من المقامات الموسيقيّة في ذلك، وإنّما الإشكاليّة في التّكلّف الّذي يخرج عن غايات قراءة القرآن وترتيله!!

- **موسيقى المؤثّرات الصّوتيّة والأخبار والموسيقى الحربيّة والسّاعات وقاعات الانتظار**

إذا كان من الحِكم المانعة للموسيقى عند الجمهور حتى لا تكون وسيلة إلى حرام، فهنا هذه الحكمة مرتفعة من خلال هذه الوسيلة، وإذا كانت العلّة ذاتيّة فبيّنّا بُطْلان ذلك، وعليه تطوّر الموسيقى وغاياتها النّبيلة يتطلّب منا مراجعة الحكم ليتوافق مع النّسبيّ لا مع المطلق كما أسلفنا في مبحث الأدلّة.

- **الغناء والكسب**

الغناء أصبح اليوم تخصّصاته كثيرة، وليس مجرّد ملاهي أو حفلات ليليّة، فهناك الأغاني والموسيقى الحربيّة، والمعلّم الّذي يفرّغ نفسه لتدريس هذا الفنّ، والملحّن الّذي يقطع الكثير من وقته في الإبداع وإنتاج الجديد، والمغنّي الّذي يُفرح النّاس في أفراحهم وأعيادهم، فهؤلاء يبذلون وقتهم في شيء نافع للمجتمع البشريّ، فلا مانع أن يكون منه كسبهم، فهو في دائرة الحلال المُباح بإذن الله تعالى.

(1) المزمّل (6).
(2) تقدّم تخريجه.

- **تعلُّم وقراءة كتب الغناء**

وهذا يندرج فيما أسلفنا الحديث حوله، فلا مانع من امتهان الغناء والاستفادة منه، وهذا يتطلّب تعلّمه وقراءة كتبه، وكلّ ذلك مباح مندوب إليه ما دام يقدّم النّافع للبشريّة.

- **إتلاف آلات اللّهو**

ذهب جمهور المانعين إلى جواز -بل بعضهم إلى وجوب- ذلك، أي إتلاف آلات اللّهو على تفصيل بينهم، وعدم ترتّب الضّمان على من فعل[1]، وانطلاق هؤلاء لكونها آلة محرّمة، والمحرّم يُباح إتلافه، ولا ضمان مترتّب عليه، فلمّا ظهر لنا عكس ذلك، وأنّ الأصل الإباحة، فبالتالي لا يجوز إتلاف آلات اللّهو، ويجوز التّكسّب بها، ومن فَعل ذلك فعَليه الضّمان.

- **الغناء وألحان أهل الفسوق**

ذهب بعض المعاصرين كمحمّد حسين فضل الله (ت 2010م) إلى التّفريق بين ألحان أهل الفسوق وغيرهم، فمنع إن كان عادة من ألحان أهل الفسوق، وهذا في الحقيقة تكلّف وغير منضبط، والأصل محكوم بغاياته لا بلُحونه.

- **الغناء والضّوابط**

«الفنّ -بما فيه الغناء والمعازف- في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الّذي يتلقّونه في حسّهم من حقائق الوجود، في صورة مؤثّرة جميلة، والفنّان شخص موهوب، ذو حساسيّة خاصّة، تستطيع أن تلتقط

(1) للمزيد ينظر: أحمد: سليمان محمّد؛ **ضمان المتلفات في الفقه الإسلاميّ**، ط دار السّعادة، مصر/ القاهرة، الطّبعة الأولى 1405هـ/ 1985م، ص281 وما بعدها.

الإيقاعات الخفيّة اللّطيفة الّتي لا تدركها الأجهزة الأخرى في النّاس العاديّين، وذو قدرة تعبيريّة خاصّة تستطيع أن تحوّل هذه الإيقاعات -الّتي يتلقّاها حسّه مكبّرة ضخمة- إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النّفس الانفعال، ويحرّك فيها حاسّة الجمال»[1].

من هذا المنطلق درج العديد من العاصرين إلى جوازه شريطة مراعاة هذه الضّوابط: عدم بلبلة التّصوّر الدّينيّ، وعدم نشر الفساد في الأرض، وعدم تزيين الرّذيلة، واتّباع الهوى، ووثنيّة التّصور، والاستدعاء السّلبيّ للأنبياء والرّموز المقدّسة، وفساد الرّؤية والصّورة[2].

وكما رأينا في مبحث الرّؤى أنّ القرضاويّ (معاصر) أرجع الضّوابط إلى أربعة: الأول: أن يكون موضوع الغناء متّفقًا مع أدب الغناء وتعاليمه، فلا يصحّ مثلاً غناء تمجيد الظّلمة، والثّاني: أن لا يكون الأداء متكسّراً يهيّج الغرائز، والثّالث: أن لا يقترن بشيء محرّم كخمر أو تبرّج، والرّابع: عدم الإسراف في الغناء.

وعمومًا موضوع الضّوابط يرجع إلى التّقنين العرفيّ والزّمنيّ مع أصل المنطلقات الواضحة والّتي تتّضح لك من قراءة الكتاب بعقل مفتوح ويتّسع للرّأي الآخر، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(1) القضاة: أحمد مصطفى علي؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، مرجع سابق، ص 19، نقلاً عن محمّد قطب.

(2) محمّد: حسين عليّ؛ **القرآن ونظريّة الفنّ**، ط الشّركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثّانية، ص339.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والبحوث

1. آبادي: فيروز؛ **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التّراث بإشراف محمّد العرمسوسيّ، ط مؤسسة الرّسالة، بيروت/ لبنان، ط 1413هـ/ 1993م.
2. ابن الأثير الجزريّ: مبارك بن محمّد؛ **جامع الأصول في أحاديث الرّسول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1403هـ/ 1983م.
3. ابن الأثير: عزّ الدّين أبو الحسن الجزريّ الموصليّ؛ **أسد الغابة**، صحّحه عادل أحمد الرّفاعيّ، ط دار إحياء التّراث العربيّ، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م.
4. ابن الجوزيّة: شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر؛ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار ابن حزم، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1420هـ/ 1999م.
5. ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **أحكام القرآن**، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1408هـ/ 1988م.
6. ابن العربيّ: أبو بكر محمّد بن عبد الله؛ **عارضة الأحوذيّ شرح صحيح التّرمذيّ**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت.
7. ابن القيسرانيّ: شرف الدّين أبو عبد الله محمد بن نصر؛ **كتاب السّماع**، (نسخة الكترونيّة).
8. ابن القيم؛ **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، تحقيق علي بن حسن الأثريّ، ط دار الكتاب العربيّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الخامسة، 1422هـ/ 2002م.
9. ابن الملقن الأنصاريّ: أبو حفص عمر بن محمّد؛ **البدر المنير في تخريج أحاديث الشّرح الكبير**، تحقيق محمّد عثمان، ط دار الكتاب العلميّة، لبنان/ بيروت.

10. ابن باز: عبد العزيز؛ **أدلّة تحريم الأغاني والرّدّ على من أباحها**، ط دار الوطن، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، ط 1418هـ/ 1997م.

11. ابن تيمية: تقي الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم؛ **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، المملكة العربيّة السّعوديّة/ المدينة، 1416هـ/ 1995م،

12. ابن حجر العسقلانيّ: أحمد بن عليّ؛ **الإصابة في معرفة الصّحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوّض، وآخرون، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م.

13. ابن حجر الهيتميّ: أحمد بن محمّد بن عليّ؛ **فتح الباريّ شرح صحيح البخاريّ**، ط دار الفكر، لبنان بيروت.

14. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد؛ **المحلى شرح المجلى**، تحقيق: أحمد شاكر، ط دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م.

15. ابن خلدون: عبد الرّحمن؛ **تاريخ ابن خلدون**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1413هـ/ 1993م.

16. ابن رجب: عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب؛ **نزهة الأسماع في مسألة السّماع**، تحقيق: وليد عبد الرّحمن الفريان، ط دار طيبة، المملكة العربيّة السّعوديّة، الرّياض، الطّبعة الأولى، 1407هـ/ 1986م.

17. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عليّ بن محمّد اليحاويّ، ط دار الجيل، بيروت/ لبنان.

18. ابن عبد ربه: شهاب الدّين أحمد بن محمّد؛ **العقد الفريد**، تقديم أحمد أمين، ط دار الكتاب العربيّ، بيروت/ لبنان، ط 1403هـ/ 1983م.

19. ابن منظور الأنصاريّ: محمّد بن مكرم؛ **لسان العرب**، ط دار صادر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1993م.

20. ابن هشام، عبد الملك بن هشام؛ **السّيرة النّبويّة**، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، ط مؤسسة علوم القرآن.
21. أبو الحسين: مسلم بن الحجاج؛ **صحيح مسلم بشرح النّوويّ**، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط 1401هـ/ 1981م.
22. أبو زهرة: محمّد؛ **المعجزة الكبرى في القرآن**، ط دار الفكر العربيّ.
23. أحمد: سليمان محمّد؛ **ضمان المتلفات في الفقه الإسلاميّ**، ط دار السّعادة، مصر/ القاهرة، الطّبعة الأولى 1405هـ/ 1985م.
24. أرسلان: شكيب؛ **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، حقّقه حسن السّماحيّ سويدان، ط دار ابن كثير، ودار التّربية، دمشق – سورية، الطّبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م.
25. الأسد: ناصر الدّين؛ **الغناء والقيان في العصر الجاهلي**، لا طبعة، لا تأريخ.
26. الأصبحيّ: مالك بن أنس؛ **المدونة الكبرى**، رواية سحنون بن سعد التّنوخيّ عن عبد الرّحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ)، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت.
27. الأصفهانيّ: أبو الفرج عليّ بن الحسين؛ **الأغانيّ**، تحقيق عليّ مهنا وسمير جابر، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1407هـ/ 1986م.
28. آل سميط: زين؛ **مسائل كثر حولها النّقاش والجدل**، تعليق: أسامة قاسم، ط دار غار حراء.
29. الألبانيّ: محمّد بن ناصر؛ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل**، إشراف زهير الشّاويش، ط المكتب الإسلاميّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1405هـ/ 1985م.
30. الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين، **سلسة الأحاديث الضّعيفة**، الطّبعة الثّالثة، 1406هـ. .
31. الألبانيّ: محمّد ناصر الدّين؛ **تحريم آلات الطّرب**، ط دار الصّدوق، السّعوديّة/ الجبيل، الطّبعة الثّانية، 1422هـ/ 2001م.

32. ألفرداتيشتين؛ **الموسيقى في العصر الرّومانتيكيّ**، ترجمة أحمد حمد محمود، مراجعة: حسين فوزيّ، ط الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط 1392هـ/ 1973م.

33. الألوسيّ: أبو الثّناء محمود بن عبد الله؛ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثانيّ**، ط دار الفكر، لبنان بيروت.

34. أولسن: بول روفسنج؛ **الموسيقى في البحرين: الموسيقى التّقليديّة في الخليج العربيّ**، ترجمة فاطمة الحلواجيّ، الطّبعة الأولى، ط المؤسسة العربيّة للنّشر والتّوزيع، بيروت/ لبنان، 2005م.

35. البحرانيّ: عماد بن جاسم؛ **زنجبار بملامح عُمانيّة**، ط دار سؤال، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 2017م.

36. **البحرانيّ:** هاشم الحسينيّ؛ **تفسير البرهان في تفسير القرآن**، (نسخة الكترونيّة).

37. البخاريّ: محمّد بن إسماعيل؛ **الجامع الصّحيح**، ط دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط 1420هـ/ 2000م.

38. البكريّ: عبد الرّحمن بن عمر؛ **فتاوى البكريّ**، تحقيق داود بن عيسى بورقيبة، ط المطبعة العربيّة، غرداية، الجزائر، الطّبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.

39. بكلّي: عبد الرّحمن؛ **رسائل البكريّ**، ط مكتبة البكريّ، غرداية/ الجزائر، ط 1427هـ/ 2007م.

40. البهنسيّ: عفيف؛ **الجماليّة الإسلاميّة في الفنّ الحديث**، ط دار الكتاب العربيّ، دمشق/ القاهرة، الطّبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م.

41. البوطيّ: محمّد سعيد رمضان؛ **فقه السّيرة النّبويّة**، ط دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، ودار الفكر، دمشق/ سورية، الطّبعة الحادية عشرة، 1991م.

42. البيمانيّ: حمد بن سيف بن سالم؛ درر المعاني من أسئلة البيمانيّ، لا طبعة، لا تاريخ.

43. بيوض: إبراهيم بن عمر؛ **فتاوى الشّيخ بيوض**، ط مكتبة أبي الشّعثاء، ولاية السّيب، سلطنة عُمان، الطّبعة الثّانية 1411هـ/ 1990م.

44. توفيق: سعيد؛ **مدخل إلى موضوع علم الجمال: بحث عن معنى الاستطيقى**، ط دار النّص للنّشر والتّوزيع، مصر، 2002م.

45. التّويجانيّ: مهني وآخرون، **أشعة من الفقه الإسلاميّ**، ط وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عُمان، ط 1422هـ/ 1990م.

46. جاد: يحيى رضا؛ **فقه الغناء والموسيقى: دراسة تأصيليّة تجديديّة في ضوء القرآن والسّنة والمقاصد (القسم الأول)**، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، عدد (22)، ربيع 2012م، 1433هـ.

47. الجبرين: عبد الله؛ **اللّؤلؤ المكين من فتاوى الجبرين**، تجميع: عبد الله بن سعد الحوطيّ، ط دار الفرقان، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م.

48. الجوزيّة: ابن القيم؛ **كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**، تحقيق: ربيع بن أحمد خلف، ط دار الجيل، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1412هـ/ 1992م.

49. الجوهريّ: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد؛ **الصّحاح في اللّغة**، (نسخة الكترونيّة).

50. حبنكة: عبد الرّحمن؛ **معارج التّفكر ودقائق التّدبر**؛ ط دار القلم، سوريّة/ دمشق، الطّبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م.

51. الحجيّ: عبد الرّحمن عليّ؛ **أندلسيات**، ط دار الانشاد، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1388هـ/ 1969م.

52. حسن: ياسين محمّد؛ **الإسلام وقضايا الفنّ المعاصر**، ط دار الألباب، دمشق – بيروت، الطّبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م.

53. الحسنيّ: الشّريف عبد الحي، **الغناء في الإسلام**، قدّم له أبو الحسن علي النّدويّ، ط مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشّهيد لإحياء المعارف الإسلاميّة، الهند، ط 1417هـ/ 1996م.

54. الحلو: سليم؛ **الموسيقى الشّرقيّة**، ط منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان/ بيروت.
55. الحمدان: عبد العزيز؛ **أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسّنّة وأقوال العلماء**، ط دار المجتمع للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة/ جدّة، الطّبعة الثّانية، 1413هـ/ 1993م.
56. الخضريّ: محمّد؛ **محاضرات في تاريخ الأمم (الدّولة العباسيّة)**، ط دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م.
57. الخطيب: محمّد عجاج؛ **مختصر علوم الحديث**، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الثّالثة، 1407هـ/ 1987م.
58. الخفيّ: محمد أحمد؛ **الموسيقى المصريّة حتى الفتح العربيّ**، بحث منشور ضمن كتاب محيط الفنون، ط دار المعارف/ مصر.
59. الخوئيّ: أبو القاسم الموسويّ؛ **محاضرات في الفقه الجعفريّ: المكاسب المحرمة**، كتبها عليّ الحسينيّ الشّاهروديّ، ط دار الكتاب الإسلاميّ، إيران/ قم، الطّبعة الأولى 1408هـ.
60. الخوئيّ: أبو القاسم الموسويّ؛ **مصباح الفقاهة في المعاملات**، ط دار الهادي، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.
61. الخيون: رشيد؛ **آراء إخوان الصّفا وخلّان الوفا: إعجاب وعجب**، كتاب مجلّة العربيّة، عدد 193، الرّياض، 1434ه.
62. الذّهبيّ: محمّد بن أحمد بن عثمان؛ **سير أعلام النّبلاء**، تحقيق: محبّ الدّين أبو سعيد عمر، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1977م.
63. الرّازيّ: زين الدّين محمد بن أبي بكر؛ **تحفة الملوك في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة**، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، ط دار البشائر الإسلاميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
64. الرّازي: فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر؛ **مفاتيح الغيب: التّفسير الكبير**، (نسخة الكترونيّة).

65. الرّازيّ: محمد بن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصّحاح**، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م.

66. **رسائل إخوان الصّفا وخلّان الوفا**، ط مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ط 1426هـ/ 2005م، بيروت/ لبنان.

67. رضا: محمّد رشيد؛ **فتاوى الإمام محمّد رشيد رضا**، تجميع وتحقيق صلاح الدّين المنجد، ويوسف خوري، الدّار العمريّة، الطّبعة الأولى، 1426هـ/ 2005م.

68. الزّبيديّ: محمّد بن محمّد الحسينيّ؛ **إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، ط دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان.

69. الزّحيليّ: وهبة؛ **الفقه الإسلاميّ وأدلّته**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1405هـ/ 1985م.

70. الزّركليّ: خير الدّين؛ **الأعلام**، ط دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطّبعة السّابعة، 1986م.

71. زعيمة: عبد الرّحمن؛ **تفنيد أخطاء الشّيخ الغزاليّ في كتابه حول السّنة النّبويّة**، ط دار المنطلق، الإمارات العربيّة المتحدة/ دبي، الطّبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م.

72. الزّمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمر؛ **الكشاف**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت.

73. زيد: زيد بن عليّ؛ **مسند الإمام زيد**، جَمعَه عبد العزيز بن إسحاق البغداديّ، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1403هـ/ 1983م.

74. زيدان: عبد الكريم، **المفصّل في أحكام المرأة**، ط مؤسسة الرّسالة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م.

75. السّالميّ: عبد الله بن حميد؛ **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، الحيل/ سلطنة عُمان، ط 2000م.

76. السّالميّ: نور الدّين عبد الله بن حميد؛ **جوهر النّظام في علميّ الأديان والأحكام**، تعليق أبو إسحاق اطفيش وإبراهيم العبريّ، ط الألوان الحديثة، الطّبعة الحادية عشر، 1410هـ/ 1989م.

77. السّالميّ: نور الدّين عبد الله بن حميد؛ **طلعة الشّمس شرح شمس الأصول**، تحقيق: عمر حسن القيّام، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، سلطنة عُمان، ولاية بدية، الطّبعة الأولى 2008م.

78. السّباعيّ: مصطفى؛ عظماؤنا في التّاريخ، ط المكتب الإسلاميّ، بيروت/ لبنان – دمشق/ سوريا.

79. السّعديّ: جميل بن خميس؛ **قاموس الشّريعة الحاوي طرقها الوسيعة**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م.

80. السّعديّ: عبد الرّحمن؛ **تيسير الكريم الرّحمن من كلام المنان**، تحقيق محمّد النّجار، ط عالم الكتب، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.

81. السّعدي: فهد بن عليّ بن هاشل، **معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضيّة**، ط الجيل الواعد، سلطنة عُمان/ مسقط، الطّبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م.

82. السّلمي: أبو عبد الرّحمن محمّد بن الحسين؛ **تفسير حقائق التّفسير**، نسخة الكترونيّة.

83. السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **الوسيط في التّاريخ العُمانيّ**، ط مكتبة الضّامريّ للنّشر والتّوزيع، السّيب/ سلطنة عُمان، الطّبعة الثّانية، 1434هـ/ 2013م.

84. السّيابيّ: خلفان بن جميل؛ **فصل الخطاب في المسألة والجواب**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

85. السّيوطيّ: جلال الدّين عبد الرّحمن بن كمال الدّين؛ **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، ط دار الفكر لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة.

86. الشّاذليّ: محمد؛ **فرح الأسماع برخص السّماع**، تحقيق محمد الشّريف الرّحمونيّ، ط الدّار العربيّة للكتاب، 1985م.

87. الشّرباصيّ: أحمد، **يسألونك في الدّين والحياة**، ط دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى.

88. شلتوت: محمود؛ **الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليوميّة العامّة**، ط دار الشّروق، الطّبعة السّابعة عشرة، لا تأريخ.

89. الشّوكاني: محمّد بن عليّ بن محمّد؛ **نيل الأوطار**، ط مكتبة التّراث، القاهرة/ مصر.

90. الشّوكاني: محمّد بن عليّ؛ **إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السّماع**، تحقيق محمّد صبحي بن حسن حلاق؛ نسخة حجريّة.

91. الشّوكانيّ: محمّد بن عليّ؛ **فتح القدير**، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1405هـ/ 1994م.

92. الشّيبانيّ: أحمد بن حنبل؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م.

93. الشّيديّ: جمعة بن خميس؛ **أنماط المأثور الموسيقيّ العُمانيّ**: دراسة توثيقيّة وصفيّة، ط مركز عُمان للموسيقى التّقليديّة، وزارة الإعلام/ سلطنة عُمان، 1429 –2008م.

94. الصّابونيّ: محمّد؛ **صفوة التّفاسير**، الطّبعة الخامسة، ط دار العلم، لبنان/ بيروت، 1406هـ/ 1986م.

95. الصّالحي: محمّد بن طولون؛ **تشييد الاختيار لتحريم الطّبل والمزمار**، تحقيق: مجدي فتحي السّيد، ط دار الصّحابة للتّراث، مصر/ طنطا، الطّبعة الأولى 1413هـ/ 1993م.

96. الصّانعيّ: يوسف؛ **الموسيقى والغناء: مطالعة في الموقف الشّرعيّ**، منشور في مجلّة الاجتهاد والتّجديد، عدد (22)، ربيع 2012م.

97. الصّدر: محمّد باقر؛ **نظرة عامّة في العبادات**، ط دار التّعارف للمطبوعات، لبنان/ بيروت، الطّبعة الرّابعة، 1405هـ/ 1985م.

98. الصّفديّ: صلاح الدّين؛ **رسالة في علم الموسيقى**، تحقيق: عبد الملك دياب وغطاس عبد الملك خشبة، ط الهيئة المصريّة للكتاب، الطّبعة الأولى 1411هـ/ 1991م.

99. ضويان: إبراهيم بن محمّد، **منار السّبيل في شرح الدّليل على مذهب أحمد بن حنبل**، تحقيق: زهير الشّاويش، ط المكتب الإسلاميّ، لبنان/ بيروت، وسورية/ دمشق، الطّبعة الرّابعة، 1399هـ/ 1997م.

100. ضيف: شوقي؛ **الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ**، ط دار المعارف، مصر، الطّبعة التّاسعة.

101. الطّاهر: محمّد بن عاشور؛ **التّحرير والتّنوير**، ط دار الجماهيريّة للنّشر والتّوزيع، تونس.

102. الطّبرسيّ: الفضل بن الحسن؛ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، (نسخة الكترونيّة).

103. الطّبريّ: محمّد بن جرير؛ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط دار الفكر، لبنان بيروت، 1408هـ/ 1988م.

104. الطّبطبائيّ: محمّد حسين؛ **الميزان في تفسير القرآن**، (نسخة الكترونيّة).

105. الطّوسيّ: أبو الفتوح أحمد بن محمّد؛ **بوارق الألماع في تكفير من يحرّم السّماع**، مخطوط.

106. الطّوسيّ: أبو جعفر محمّد بن الحسن؛ **تفسير التّبيان الجامع لعلوم القرآن**، (نسخة الكترونيّة).

107. العامليّ: عليّ حسن محمّد؛ **الغناء في الموقف الفقهيّ**، ط دار الأمير، لبنان بيروت، الطّبعة الأولى 1415هـ/ 1994م.

108. عبد التّواب: أحمد؛ **التّرقيص والغناء للأطفال عند العرب**، ط دار الفضيلة، القاهرة/ مصر.

109. عبد الوهاب: أحمد؛ **المهارات الموسيقيّة**، ط مركز الرّاية، القاهرة/ مصر، ط 2014م.

110. العبريّ: بدر بن سالم؛ **الأعمال الكاملة**، مرقون.
111. العثيمين: محمّد بن صالح؛ **فتاوى الشّيخ العثيمين**، ط دار عالم الكتب، المملكة العربيّة السّعوديّة/ الرّياض، الطّبعة الرّابعة، 1414هـ/ 1994م.
112. العزّي: عبد الله بن حمود؛ **الذّرائع مظهر من مظاهر فقه التّوقع**، منشور ضمن بحوث ندوة تطور العلوم الفقهيّة في عُمان: الفقه الإسلاميّ والمستقبل، الأصول المقاصديّة وفقه التّوقع، تحرير: سليمان بن إبراهيم بابزيز، ط 1431هـ/ 2010م.
113. العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تقريب التّهذيب**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلميّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 1415هـ/ 1995م.
114. العسقلانيّ: أحمد بن عليّ بن حجر؛ **تهذيب التّهذيب**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.
115. العش: يوسف؛ **الدّولة الأمويّة والأحداث الّتي سبقتها ومهّدت لها ابتداء من فتنة عثمان**، ط دار الفكر، دمشق/ سورية، الطّبعة الثّانية 1406هـ/ 1985م.
116. عطا: عبد القادر أحمد؛ **هذا حلال وهذا حرام**، ط دار الفضيلة، مصر/ القاهرة.
117. العظيم آبادي: محمّد شمس الدّين؛ عون المعبود شرح سنن أبي داود، إشراف: صدقي محمّد جميل العطار، د دار الفكر، لبنان/ بيروت، ط 1415هـ/ 1995م.
118. العفيفيّ: مجدي؛ **منظومة الثّقافة العُمانيّة في عصر النّهضة**، ط وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عُمان، ط 2006م.
119. العقاد: عباس محمود؛ **المجموعة الكاملة، قسم الأدب والنّقد**، ط دار الكتاب اللّبنانيّ، لبنان/ بيروت.
120. العقريّ النّزويّ: أبو زكريا يحيى بن سعيد، **الإيضاح في الأحكام**، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.
121. عليّ: سيّد أحمد بخيت: **تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة: دراسة تحليليّة نقديّة**، ط المعهد العالي للفكر الإسلاميّ، هرندن – فرجينيا/ الولايات المتحدة الأمريكيّة، الطّبعة الأولى، 1433هـ/ 2012م.

122. العماديّ: أبو السّعود محمّد؛ **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان/ بيروت.

123. عمارة: محمّد؛ **الإسلام والفنون الجميلة**، الطّبعة الأولى، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة، 1411هـ/ 1991م.

124. عيد: يوسف وعكاري: أنطوان؛ **الموسوعة الموسيقيّة الشّاملة**، ط دار الفكر اللّبنانيّ، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1994م، القسم التّطبيقيّ العمليّ (2).

125. العينيّ: بدر الدّين محمّود بن أحمد؛ **عمدة القاري في شرح صحيح البخاريّ**؛ دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان/ بيروت.

126. الغزاليّ: أبو حامد محمّد؛ **إحياء علوم الدّين**، ط دار الفكر، بيروت لبنان، الطّبعة الثّالثة، 1418هـ/ 1997.

127. الغزاليّ: محمّد؛ السّنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة، الطّبعة الثّالثة عشر.

128. الفارابيّ: أبو نصر محمّد بن محمّد؛ **الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، ط دار الكتب العربيّ للطّباعة والنّشر، مصر/ القاهرة.

129. الفاروقيّ: لويس لمياء؛ **المولد والمالد: نمطان من الموسيقى الدّينيّة الإسلاميّة من سلطنة عُمان**، بحث طبع في كتاب الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة (6–16 أكتوبر 1985م)، ط مطبوعات مركز عُمان للموسيقى التّقليديّة.

130. **فتاوى سماحة الشّيخ الخليليّ**، مرقون.

131. فضل الله: محمّد حسين؛ **المسائل الفقهيّة**، ط دار الملاك، لبنان/ بيروت.

132. فضل الله: محمّد حسين؛ **من وحي القرآن**، ط دار الملاك، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م.

133. فوزي: حسين؛ **الموسيقى الأوربيّة من اليونان حتى القرن التّاسع عشر**، بحث للمؤلّف مطبوع ضمن كتاب محيط الفنون، ط دار المعارف، مصر.

134. القرضاويّ: يوسف؛ **الإسلام والفنّ**، مكتبة وهبة/ مصر.
135. القرطبيّ: محمّد بن أحمد بن أبي بكر؛ **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر لبنان/ بيروت.
136. القزوينيّ: أبو عبد الله محمّد؛ **سنن ابن ماجه**، ط دار إحياء الكتب العربيّة.
137. قسّوم: عبد الرّازق؛ **قراءة مالكيّ لفتاوى الشّيخ بيوض**، بحث منشور ضمن أعمال الملتقى الأول لفكر الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، القرارة 8 –9 محرّم 1421م، 13 –14 أبريل 200م، ط جمعيّة الحياة، القرارة –غرداية/ الجزائر، ط 2002م.
138. القضاة: أحمد مصطفى عليّ؛ **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، ط دار الجيل، لبنان/ بيروت، ودار عمار، الأردن/ عُمان، الطّبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.
139. قطاط: محمود؛ **آلة العود بين دقّة العلم وأسرار الفنّ**، ط وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، ط 2006م.
140. قطب: سيّد؛ في ظلال القرآن، ط دار العلم للطّباعة والنّشر، المملكة العربيّة السّعوديّة، جدّة، الطّبعة الثّانية عشرة، 1406هـ/ 1986م.
141. القنوبيّ: سعيد بن مبروك؛ **فتاوى الشّيخ سعيد القنوبيّ**، مرقون.
142. القيروانيّ: أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد؛ **كتاب الجامع**، تحقيق محمّد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط مؤسسة الرّسالة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الثّالثة، 1406 هـ/ 1985م.
143. الكثيريّ: مسلم بن أحمد؛ **الموسيقى العُمانيّة: مقاربة تعريفيّة وتحليليّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة.
144. الكنديّ: محمّد بن إبراهيم؛ **بيان الشّرع**، ط وزارة التّراث القومي والثّقافة/ سلطنة عُمان، ط 1408هـ/ 1988م.

145. اللّواح الخروصيّ: سالم بن غسان؛ **ديوان اللّواح**، تحقيق: محمّد علي الصّليبيّ، ط وزارة التّراث القومي والثّقافة، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى 1409هـ/ 1989م.

146. المالكيّ: السّيد علويّ؛ **مجموع فتاوى ورسائل الإمام السّيد علوي المالكيّ الحسنيّ**، جمع وترتيب محمّد بن علويّ المالكيّ الحسنيّ، ط 1413هـ.

147. الماورديّ: عليّ بن محمّد بن حبيب؛ **النّكت والعيون**، ط مؤسسات الكتب الثّقافيّة، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1412هـ/ 1992م.

148. محمّد: حسين عليّ؛ **القرآن ونظريّة الفنّ**، ط الشّركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثّانية.

149. مصطفى: إبراهيم، والزّيات: أحمد حسن، وآخرون؛ **المعجم الوسيط**، (نسخة الكترونيّة).

150. مصطفى: يوسف شوقيّ، والشّيديّ: جمعة بن خميس؛ **الهوامة والتّوحّد في فنّ المالد: دراسة مقارنة في بعض ولايات الباطنة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة.

151. مصطفى: يوسف شوقيّ، وهوك: كورين؛ **حصر وتصنيف فنون عُمان التّقليديّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة.

152. مصطفى: يوسف؛ **آلات موسيقى عُمان التّقليديّة**، منشور في الوثائق الكاملة للنّدوة الدّوليّة لموسيقى عُمان التّقليديّة.

153. مطر: أميرة حلميّ؛ **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للنشر والتوزيع، مصر/ القاهرة، ط 1998م.

154. المطغي: عبد العظيم؛ **الفراغ وأزمة التّديّن عن الشّباب الدّاء والدّواء**، ط دار الأنصار، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1398هـ/ 1978م.

155. معتوق: فريدرك؛ **سوسيولوجيا الفنّ الإسلاميّ**، ط منتدى المعارف، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 2017م.

156. **معجم أعلام الإباضيّة (قسم المغرب)**، ط جمعيّة التّراث، الجزائر/ القرارة – غرداية، ط 1420هـ 1999م.
157. المقدسيّ القيسراني: محمّد بن طاهر بن عليّ، **كتاب السّماع**، مخطوط.
158. **المنجد في اللّغة والأعلام**، ط دار المعرفة، لبنان/ بيروت.
159. **موسوعة الأعلام**، وزارة الأوقاف المصريّة.
160. المؤيديّ: مجد الدّين بن محمّد؛ **البلاغ النّاهي عن الغناء وآلات المناهي**، ط مكتبة أهل البيت، اليمن/ صعدة، الطّبعة الثّانية، 1436هـ.
161. النّابلسيّ: عباس؛ **الموسيقى والغناء**، ط دار الرّسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى 1421هـ/ 2000م.
162. النّبهانيّ: وليد؛ **من تاريخ الموسيقى في عُمان: إشكاليات ونصوص**، كتاب مجلّة نزوى، ط مؤسسة عُمان للصّحافة والنّشر والاعلان، عدد 30، جمادى الآخرة 1437هـ/ 2016م، ص: 17.
163. نجاد: حسين هاشم؛ **مدخل إلى فلسفة الفنّ من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين**، ترجمة عن الفارسيّة: وسيم حيدر، بحث منشور غي مجلّة نصوص معاصرة، عدد: 41، 1437هـ/ 2016م.
164. النّدويّ: أبو الحسن؛ **السّيرة النّبويّة**، ط دار عمر بن الخطاب، 1401هـ/ 1981م.
165. النّسائيّ: أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب؛ **المجتبى من السّنن المشهورة بسنن النّسائيّ**، إعداد فريق بيت الأفكار الدّوليّة، ط بيت الأفكار الدّوليّة، الأردن، عُمان.
166. النّسفيّ: أبو البركات عبد الله بن أحمد؛ **مدارك التّنزيل ومعارج التّأويل**، ط دار الفكر، لبنان بيروت.
167. النّووي: أبو زكريا يحيى الدّين بن شرف؛ **المجموع شرح المهذب**، تحقيق: محمود مطرجيّ، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م.

168. الهرريّ: عبد الله؛ **صريح البيان في الرّدّ على من خالف القرآن**، ط دار المشاريع، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1418هـ/ 1997م.

169. الونشريسيّ: أحمد بن يحيى؛ **المعيار المعرّب والجامع المغرّب عن فتاوى أهل أفريقيّة والأندلس والمغرب**، ط دار الغرب الإسلاميّ، المغرب/ الرّباط.

170. الوهيبيّ: خالد، **ورقة عمل الموسيقى وتقاليد الحكم السّياسيّة في عُمان**، ورقة مقدّمة للنّادي الثّقافي بسلطنة عُمان، مرقون.

171. اليازجيّ: فوزيّ وشربل: راغد؛ **المعجم الشّامل للعلماء والمخترعين**، إشراف: موريس شربل، ط دار الفارابي، لبنان/ بيروت، الطّبعة الأولى، 2007م.

ثانيًا: المقالات واللّقاءات

1. البغداديّ: بلال فيصل البحر؛ **مقالة طرق حديث زمارة الرّاعي وعلله**، منشور في موقع هيئة علماء المسلمين في العراق.

2. الرّبيعيّ: عبد الرّزاق؛ **مقال من كتب السّلام السّلطانيّ؟**، نشر في مجلة أثير الإلكترونيّة، الخميس 27 مارس 2014م.

3. سحاب: إلياس؛ **الموسيقى العربيّة في القرن العشرين**، موقع قناة الجزيرة.

4. سليم: عبد السّتار؛ **دندنة على سنّ القلم**، مقال منشور في مجلّة السّراج العُمانيّة، عدد (5)، ذو القعدة 1412هـ/ مايو 1992م.

5. شمس الدّين: عبد الحليم؛ **مقالة تعريف العصر الجاهليّ**، موقع موضوع.

6. العبريّ: بدر بن سالم؛ **مقال نظريّة الوحدة من خلال شعائر الحجّ**، مجلّة التّكوين، عدد 23، ذو الحجة 1438هـ/ سبتمبر 2017م.

7. لقاء ابن عقيل الظّاهريّ مع شقران الرّشيديّ، صحيفة سبق الالكترونيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 24 ربيع الآخر 1438هـ/ 22 يناير 2017م.

8. لقاء في الخليجيّة مع الفنان سالم بن عليّ في برنامج وينك للمذيع محمد الخميسيّ.

9. **لقاء مع الباحث اليمنيّ محمّد يحيى عزان**، في برنامج الفيسبوك على الخاص.
10. لقاء مع سماحة الشّيخ الخليليّ، مجلّة جبرين، من أعداد عام 1984م.
11. لقاء مع وديع الصّافي ونجاح سلام مع القناة الأردنيّة، أجرت اللّقاء ليلى رستم بتأريخ: 1966م.
12. مقال: **الصّفويّون من البداية إلى النّهاية**، الرّاصد، مجلّة الكترونيّة، العدد الثّاني والأربعين، ذو الحجة 1427هـ .
13. مقال: جواري السّلطان، نشر في موقع مصر، نشر في 27/ 5/ 2012م.
14. مقال **عصر النّهضة**، موقع المعرفة.
15. مقال: **الموسيقى في العصر الأندلسيّ**، موقع الحكواتيّ.

ثالثاً: الدّوريات والمواقع والأقراص والمطويّات

1. جمال عزيز: توفيق بن محمد؛ **مذكّرة توثيق النّشيد السّلطانيّ العُمانيّ، توثيق الكلمات واللّحن الموسيقيّ**، بتاريخ 20 يناير 2009م، مرقون.
2. صفحة إعلام القاهرة على الفيس بوك.
3. العدويّ: خميس بن راشد؛ **مطوية الشّيخ حمد بن سيف البيمانيّ**، إصدار مكتبة النّدوة ببهلا، سلطنة عُمان، لا تاريخ.
4. مجلّة الوعي الإسلاميّ، ملحق براعم الإيمان، عدد: 319، ذو الحجة 1423هـ/ مارس 2003م، دولة الكويت.
5. **معجم أعلام الإباضيّة** (قسم المشرق)، نسخة الكترونيّة.
6. الموسوعة العالميّة ويكيبيديا.
7. موقع تادرات، مركز الدّراسات الإباضيّة.
8. موقع جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ.
9. موقع فيدو على الشّبكة العالميّة.

فهرس المحتويات

تقدمة 5

مدخل مصطلحات وإشكاليّة الكتاب 7

الشّقّ الأول: الفنّ 9

الشّق الثّانيّ: الجمال 20

الغناء وتطوّره في التّأريخ

الغناء والمعازف في العصور القديمة 23

الغناء والمعازف في العصر الجاهليّ 33

الغناء والمعازف في العصر النّبويّ 39

الغناء والمعازف في عصر ما بعد العصر النّبويّ 45

الغناء والمعازف في التّراث والتّأريخ العُمانيّ 65

الغناء والمعازف في عصر النّهضة الأوربيّة 84

الغناء والمعازف في العصر الحديث والوطن العربيّ خصوصاً 90

الغناء والمعازف وفلسفة الجمال 95

الجمال في المنظور القرآنيّ

رؤية أبي حامد الغزاليّ في الغناء والمعازف 103

رؤية ابن حزم الأندلسيّ في الغناء والمعازف 109

رؤية أبي الفتوح أحمد بن محمّد الطّوسيّ الغزاليّ 111

رؤية إخوان الصّفا وخلّان الوفا 117
رؤية محمّد الشّاذليّ التّونسيّ 122
رؤية محمّد بن عليّ الشّوكانيّ..... 128
رؤية محمّد رشيد رضا 131
رؤية محمود شلتوت حول الغناء والمعازف 138
رؤية بيوض بن عمر وتلميذه البكريّ..... 141
رؤية محمّد الغزاليّ 145
رؤية محمّد حسين فضل الله 148
رؤية محمّد عمارة 149
رؤية يوسف القرضاويّ 156

القراءة العامّة للرؤى

فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصور القديمة 165
فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصرين الجاهليّ والنّبويّ ... 168
فلسفة الجمال في الغناء والمعازف ما بعد العصر النّبويّ 171
فلسفة الجمال في الغناء والمعازف في العصر الحديث 174

الغناء والمعازف في المدارس الفقهيّة

رؤية المدرسة الإباضيّة 177
رؤية المدرسة الزّيديّة 181
رؤية المدرسة الجعفريّة..... 185
رؤية المدرسة الحنفيّة..... 189

رؤية المدرسة المالكيّة 192
رؤية المدرسة الشّافعيّة 199
رؤية المدرسة الحنبليّة 203
رؤية المدرسة الظّاهريّة 206
قراءة الخطوط العامّة للمدارس الفقهيّة الثّمانية 208

الغناء والمعازف ومبحث الاستدلال

أولاً: الأدلّة من القرآن الكريم..... 210
الفريق الأول: فريق من يرى الإباحة 210
الفريق الثّاني: فريق من يرى المنع 219
ثانيـًا: الأدلّة من الرّوايات..... 238
الفريق الأول: فريق من يرى الإباحة 238
الفريق الثّانيّ: فريق من يرى المنع والتّحريم 246
ثالثـًا: المجوّزون من الصّحابة 261
رابعـًا: الإجماع 268
خامسـًا: سدّ الذّرائع 270
خلاصة مبحث الأدلّة 272

تطبيقات حول الغناء والمعازف

المرأة والغناء 273
الأطفال والغناء 275

السّماع العرفانيّ والدّفّ 275
الغناء والرّقص 276
الغناء والصّفير والتّصفيق 276
الموسيقى والعلاج 277
القرآن والتّغنّي به 277
موسيقى المؤثّرات الصّوتيّة والأخبار والموسيقى الحربيّة والسّاعات
وقاعات الانتظار 278
الغناء والكسب 278
تعلُّم وقراءة كتب الغناء 279
إتلاف آلات اللّهو 279
الغناء وألحان أهل الفسوق 279
الغناء والضّوابط 279
المصادر والمراجع 281